T
126A
1.1 -

الامارة الطائيـة في بلاد الشـام
في القرنيـن الثالث عشر والرابـع عشـر الميـــلاديين

مصطفى علي مصطفى الحيارى

رسالة مقدمة الى دائرة التاريخ في الجامعة الاميركية في بيروت
لاتمام المطلوب للحصول على درجة أستاذ فـــي الآداب

بيروت ــ لبنان

نيسان ١٩٦٩

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

Thesis Title:

AL-EMARĀTU AL - TĀ'IYATU FĪ BILĀD AL-SHĀM
FĪ AL-QARNAYN AL - THĀLITH 'ASHAR WA AL - RĀBI' 'ASHAR

By

MUSTAFA ALI HIYARI
(Name of Student)

Approved:

Kamal S. Salibi	~~Advisor~~ (Chairman)
Professor A. Duri	Member of Committee
Professor N. Ziadeh	Member of Committee
Professor K. Zurayk	Member of Committee

Date of Thesis Presentation: April 10, 1969.

"THESIS RELEASES FORM"

American University of Beirut

I, - MUSTAFA ALI HIYARI :

[ ] authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals upon request.

[X] do not authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals.

mustafa Hiyari
Signature

April 19, 1969 "
Date

T
126A
.A1

الامارة الطائيـة في بلاد الشـام
في القرنيـن الثالث عشر والرابـع عشـر الميـــلاديين

مصطفى علي مصطفى الحياري

رسالة مقدمة الى دائرة التاريخ في الجامعة الاميركية في بيروت
لاتمام المطلوب للحصول على درجة أستاذ فـــي الآداب

بيروت ــ لبنان

نيسان ١٩٦٩

خـــلاصـــة

تهدف هذه الدراسة الى البحث في تاريخ الامارة الطائية في بلاد الشام في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين .

وكانت امارة آل الجراح من طيء زمن الفاطميين امارة قبلية ليس لها ارتباط رسمي بالدول التي قامت في بلاد الشام . ولكنها أصبحت، في فترة إمرة بني ربيعة من آل الجراح ، امارة رسمية لها ارتباط بملوك الأيوبيين في دمشق وحلب خلال النصف الأول من القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ، ثم بسلاطين المماليك في القاهرة بعد سيطرة المماليك على مصر وبلاد الشام .

وكان آل فضل من ربيعة طيء، زمن المماليك ، أصحاب الامرة على جميع "عرب الطاعة" في بلاد الشام والبادية ، ولذلك فقد ارتبطت الامارة الطائية بالامارة الرسمية على العرب. فقد كان أمير آل فضل من طيء، أمير جميع عرب الشام في الوقت ذاته.

وتهدف هذه الدراسة أيضا الى البحث عن الدور الذى لعبته الامارة الطائية في الحياة السياسية للمنطقة الواقعة بين البحر المتوسط غربا ونهر الفرات شرقا . ولكن بحث هذا الدور من ناحية ، والتعرف على تاريخ الامارة الرسمية من ناحية أخرى ، يتطلب دراسة الجذور التاريخية للامارة الطائية من بداية نفوذها في بلاد الشام الى أن أصبحت لها السيطرة والنفوذ في جميع مناطق بادية العرب الشمالية ، كما يتطلب أيضا دراسة تطور هذه الامارة منذ أن كانت امارة قبلية صغيرة بين عدد آخر من الامارات القبلية الى أن أعطيت لها الامارة الرسمية على العرب والحقت بها معظم القبائل العربية في بلاد الشام والبادية .

ولذلك فقد جرى معالجة الموضوع في هذه الدراسة على الشكل التالي :

فبعد عرض موجز للمصادر التي اعتمد عليها في هذه الدراسة ، وتحليل لأهميتها لدراسة تاريخ الامارة الطائية وتاريخ القبائل العربية التي كانت على علاقة بالامارة الرسمية للعرب ، عرضنا في الفصل الأول لمحة جغرافية عن المنطقة التي اطلقنا عليها اسم "بادية العرب الشمالية". وركز في هذا العرض على مواطن القبائل العربية في البادية أو على اطرافها وعلى البلدان التي كان لها علاقة بالقبائل والتي كان بعضها اقطاعات لآل فضل بن ربيعة زمن المماليك البحرية .

وتحتل هذه المقدمة الجغرافية القسم الأول من الفصل الأول ، أما القسم الثاني فقد خصص لعرض موجز لتوزيع وحركة القبائل العربية في بادية العرب الشمالية مع التركيز على ثلاث فترات : الأولى ما كان عليه توزيع القبائل في القرن السادس للميلاد ، والثانية ما اصبح عليه وضع القبائل في القرن العاشر للميلاد ، واخيرا ما استقرت عليه اوضاع ومناطق نفوذ القبائل خلال فترة امرة طيء الرسمية على العرب في بلاد الشام وباديتها في القرن الرابع عشر للميلاد .

أما الفصل الثاني فقد عالج جذور الامارة الطائية من بداياتها الأولى زمن الفاطميين ، عندما كان يقتصر نفوذها على المناطق الجنوبية من فلسطين وشرقي الاردن . ولم يقتصر في هذا الفصل ، على بحث تطورات الامارة الطائية الداخلية ، وانما درست علاقاتها بالقوى التي أثرت في حياة بلاد الشام السياسية ابتداء من النصف الثاني للقرن العاشر للميلاد وحتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي .

وخصص الفصل الثالث لمعالجة الامارة الرسمية لآل فضل بن ربيعة من طيء على جميع العرب . وقد أخذ بعين الاعتبار في هذا الفصل ، كيفية نشوء الامارة الرسمية ،

ونوعية العلاقة الرسمية التي كانت بين امراء العرب وسلاطين المماليك . واعطيت، في القسم الاخير من هذا الفصل — حتى تكتمل صورة الامارة الرسمية للعرب — لمحات من سير أشهر الامراء الذين تولوا منصب امير العرب مثل مانع بن حديثة وعيسى بن مهنا واحمد بن حجي وغيرهم . واختير هؤلاء الامراء على أساس طول المدة الزمنية التي تولوا فيها منصب امير العرب ، وذلك لتوضيح علاقة امارة العرب الرسمية بالمماليك في ضوء علاقة هؤلاء الامراء بالسلاطين .

وبحث موضوع دور امارة العرب الرسمية في الحياة السياسية في بلاد الشام في الفصول : الرابع والخامس والسادس . وقد وضعت هذه الفصول الثلاثة تحت عنوان واحد هو "امراء العرب وسلطنة المماليك" . فالفصل الرابع يبحث في الامور التالية : في أن امرة العرب كانت منصبا رسميا، وان السلطان يعين أمير العرب ويعزله، وفي مهام امراء العرب وقبائلهم تجاه الدولة المملوكية خاصة المحافظة على طرق المواصلات ، والامتيازات التي حصل عليها امراء العرب مقابل المهام التي كانوا يقومون بها خاصة الاقطاعات التي كانت جزءا من النظام الاقطاعي المملوكي .

والفصل الخامس يبحث في دور وأثر العرب أصحاب الامرة على القبائل في اوضاع بلاد الشام الداخلية من تدخلهم في شؤون السلاطين والدولة ، الى علاقاتهم بالقبائل العربية والتركمانية ، الى دورهم — وهذا هو القسم الهام من الفصل — في الحركات التي قام بها بعض الامراء والنواب المماليك في بلاد الشام ضد السلاطين مثل حركات سنقر الاشقر زمن السلطان قلاوون الألفي ، وقراسنقر زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، ويلبغا الناصري ومنطاش ضد السلطان الظاهر برقوق .

أما الفصل السادس فقد خصص لمعالجة دور العرب من آل فضل في الصراع بين المماليك والتتار، ذلك أن هؤلاء العرب لعبوا ، بحكم موقع مواطنهم الجغرافي بين ارضي الدولتين وعلاقتهم الرسمية مع دولة المماليك ، دورا كان له أثره في النزاع بين هتين القوتين مدة قرن ونصف من الزمان .

وفي الفصل الأخير (السابع) حاولت استخلاص بعض النتائج عن دور امارة العرب في بلاد الشام ، وتقييم هذا الدور — وكذلك الاثر — الذى كان لاصحاب امرة العرب على أساس مقارنة دورهم واثرهم في فترتين زمنيتين متساويتين تقريبا : فترة ما قبل الامارة الرسمية وفترة الامارة الرسمية ، وذلك لمعرفة نجاح امارة العرب او فشلها في تحقيق الأهداف التي انشئت من أجلها .

المحتويات	الصفحات

مقدمـــة جـ — و

فهرس المحتويات ز — ى

فهرس الملاحق ك

فهرس الخرائـط ل

العناوين المختصرة التي استعملت في الحواشي م — ع

مصادر البحث : عرض وتحليـل ١ — ٢٢

الفصل الأول : بادية العرب الشمالية ومراكز تجمع وحركة القبائل العربية فيها . ٢٣ — ٤٨

١ — بادية العرب الشمالية .
أ — حدودها .
ب — أهم المدن والمراكز فيها او على اطرافها .
١ — نجد الشمالي
٢ — المنطقة شرقي الخط بين أيلة (العقبة) وبالس (مسكنة) .
٣ — تدمر وما حولها من البلاد .

٢ — منازل وحركة تنقل القبائل في بادية العرب الشمالية
أ — توزيع القبائل العربية في البادية في القرن السادس الميلادى .
ب — توزيع القبائل العربية في البادية في القرن العاشر الميلادى .
جـ — توزيع القبائل العربية في البادية في القرن الرابع عشر الميلادى .

الفصل الثاني : جذور الامارة الطائية ٤٩ — ٧٣

١ — الامارة الطائية الأولى ٣٦٠هـ / ٩٧٠م — ٤٣٠هـ / ١٠٣٨—١٠٣٩ م
أ — تغلب آل الجراح من طيء على فلسطين .
ب — اعتراف الخلفاء الفاطميين بامارة آل الجراح .

جـ ـعلاقة آل الجراح مع
١ ـ الفاطميين .
٢ ـ القبائل العربية الاخرى .
٣ ـ الروم .
د ـ اشهر امراء هذه الامارة
١ ـ المفرج بن دغفل بن الجراح .
٢ ـ حسان بن المفرج بن دغفل .
هـ ـ اختفاء الامارة بعد ٤٣٠هـ/ ١٠٣٩ م .

٢ ـ بنو ربيعة امراء طيء في بلاد الشام زمن آل طغتكين وآل زنكي والايوبيين
أ ـ دورهم في حياة بلاد الشام خلال هذه الفترة .
ب ـ أشهر امراء بني ربيعة
١ ـ مرا بن ربيعة .
٢ ـ فضل بن ربيعة .

الفصل الثالث : امارة العرب الرسمية ٧٤ ـ ٩٩

١ ـ امرة العرب الرسمية لطيء على جميع قبائل بادية العرب الشمالية
أ ـ بداية الامرة لآل فضل بن ربيعة من طيء .
ب ـ قسمة الامرة على القبائل قسمين زمن المماليك .
١ ـ امرة غرب البلاد الشمالية والشرقية لآل فضل بن ربيعة .
٢ ـ امرة عرب البلاد القبلية لآل مرا بن ربيعة .
٣ ـ امرة الجميع لآل فضل : آل مهنا وآل علي .

٢ ـ أشهر امراء العرب في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين
أ ـ مانع بن حديثة .
ب ـ عيسى بن مهنا واحمد بن حجي .
جـ ـ مهنا بن عيسى .
د ـ حيار بن مهنا .
هـ ـ محمد نعير بن حيار .

الفصل الرابع : امراء العرب وسلطنة المماليك ـ ١ ـ ١٠٠ ـ ١٢٥

١ ـ امرة العرب منصب رسمي في دولة المماليك .

٢ ـ مهام امراء العرب تجاه الدولة المملوكية
أ ـ المحافظة على طرق المواصلات
١ ـ البريد ٠
٢ ـ الحجاج ٠
٣ ـ التجارة ٠
ب ـ مشاركة جيوش المماليك في الدفاع عن البلاد ٠
١ ـ التجسس ٠
٢ ـ الاستكشاف والتجاريد ٠
٣ ـ المعارك ٠
جـ ـ تزويد السلطان والجيوش السلطانية بالخيل والجمال ٠
هـ ـ أعمال أخرى
١ ـ الدلالة على الطرق في البادية
٢ ـ تتبع أخبار بلاد الشام وحركات العصيان فيها ٠
٣ ـ عدم الخروج الى البرية عند الحاجة اليهم، وعدم العودة منها الا بعد شيل الغلال ٠
٤ ـ المساعدة في جمع زكاة الغنم (العداد).
٥ ـ واجبات أخرى ٠

٣ ـ اقطاعات أمراء العرب
أ ـ اقطاعات امراء العرب جزء من النظام الاقطاعي المملوكي ٠
ب ـ أهم البلاد التي أقطعت لأمراء العرب ٠
جـ ـ بعض الآثار السيئة لاقطاعات امراء العرب ٠

الفصل الخامس: امراء العرب وسلطنة المماليك ـ ٢ ـ ١٢٦ ـ ١٣٥١

أثر امرة العرب في شؤون بلاد الشام الداخلية
١ ـ تدخل امراء العرب في شؤون الدولة المملوكية
أ ـ الشفاعات لدى السلاطين ٠
ب ـ علاقة امراء العرب مع بعض شخصيات بلاد الشام ٠

٢ ـ علاقة امراء العرب مع القبائل العربية والتركمانية ٠

٣ ـ موقف امراء العرب من الفتن والثورات الداخلية ٠

أ — حركة سنقر الاشقر ٦٧٩—٦٨٠ هـ/ ١٢٨٠—١٢٨١ م .
ب — حركة قراسنقر ٧١١هـ/ ١٣١١ م .
جـ — ثورة يلبغا الناصرى ومنطاش ٧٩٠هـ وما بعدها/ ١٣٨٩ م وما بعدها .

الفصل السادس : امراء العرب وسلطنة المماليك — ٣ — ١٥٢ — ١٦٥

موقف امراء العرب من الصراع بين المماليك والتتار
١ — تأييد امراء العرب للمماليك ضد التتار .
٢ — خروج امراء العرب على طاعة المماليك وتقربهم من التتار ومساعدتهم لهم .

الفصل السابع : دور الامارة الطائية في بلاد الشام ١٦٦ — ١٨١
١ — في فترة الامارة غير الرسمية
٢ — في فترة الامارة الرسمية .

الملاحق والخرائط ١٨٢— ٢٠٦

مصادر البحث ٢٠٧ — ٢٢٣

فهرس الملاحق

الصفحات

(١) ملحق رقم (١) نسب فروع طيء في بلاد الشام من آل الجراح الى آل حيار بن مهنا . ١٨٣ — ١٨٩

(٢) ملحق رقم (٢) : نسخة تقليد الأمير فخر الدين عثمان سنة ٦٧٩ هـ/ ١٢٨٠ م . ١٩٠ — ١٩٤

(٣) ملحق رقم (٣) : نسخة منشور الامير مهنا بن عيسى "بدومة" سنة ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م . ١٩٥—١٩٧

(٤) ملحق رقم (٤) : وصية امير العرب ١٩٨ — ١٩٩

(٥) ملحق رقم (٥) : نصوص كتب تتعلق بآل مهنا زمن نعير ٢٠٠ — ٢٠٢

فهـرس الخرائـط

الصفحات

(١) الخريطة رقم (١) : بلاد الشام والبادية ٢٠٣

(٢) الخريطة رقم (٢) : مواطن وتوزيع القبائل العربية في بادية العرب الشمالية في القرن السادس للميلاد ٢٠٤

(٣) الخريطة رقم (٣) : مواطن وتوزيع القبائل العربية في بادية العرب الشمالية في القرن العاشر للميلاد ٢٠٥

(٤) الخريطة رقم (٤) : مناطق نفوذ فروع طيء في بادية العرب الشمالية وبعض مواطن القبائل في القرن الرابع عشر للميلاد . ٢٠٦

العناوين المختصرة التي استعملت في الحواشي

آثار البلاد	آثار البلاد واخبار العباد للقزويني
احسن التقاسيم	أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي .
اخبار مصر	أخبار مصر لابن ميسّر .
الأعلاق الخطيرة	الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة لابن شدّاد .
اعلام النبلاء	اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للطباخ
انباء الغمر	انباء الغمر بابناء العمر لابن حجر العسقلاني
بدائع الزهور	بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن اياس .
البداية والنهاية	البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير .
بسط الارض	بسط الارض في الطول والعرض لابن سعيد .
بغية الطلب	بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم .
تاريخ ابن الفرات	تاريخ ابن الفرات لابن الفرات .
تاريخ ابن الفرات (الرباط)	لمخطوطة مكتبة الزاوية الناصرية بالرباط .
تاريخ ابن الفرات (م . خوري)	للقطعة من الجزء السادس التي حققها ميخائيل خوري .
تاريخ بيروت	تاريخ بيروت واخبار الامراء البحتريين لصالح بن يحي .
تاريخ العراق بين احتلالين	تاريخ العراق بين احتلالين لعباس العزاوي .
تاريخ يحي بن سعيد	تاريخ يحي بن سعيد الانطاكي
تتمة المختصر	تتمة المختصر في اخبار البشر لابن الوردي .

التعريف	التعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمرى .
التعريف بابن خلدون	التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا لابن خلدون
الجامع المختصر	الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير لابن الساعي .
الخطط	المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزى .
الدر الفاخر	الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر للدواداري
الدر المنتخب	الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب لابن الشحنة .
الدرر الكامنة	الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني .
درة الاسلاك	درة الاسلاك في دولة الاتراك لابن حبيب .
الدرة المضيئة	الدرة المضيئة في تاريخ الدولة الفاطمية للدواداري
الدرة المضيئة	الدرة المضيئة في الدولة الناصرية لابن صصرى
ذيل تاريخ الاسلام	الذيل على تاريخ الاسلام لابن قاضي شهبة
ذيل تاريخ دمشق	ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي .
ذيل مرآة الزمان	ذيل مرآة الزمان لليونيني .
زبدة الحلب	زبدة الحلب في تاريخ حلب لابن العديم .
زبدة الفكرة	زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة لبيبرس الدوادار .
زبدة كشف الممالك	زبدة كشف الممالك في بيان الطرق والمسالك لابن شاهين الظاهرى .
السلوك	السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي .
شذرات الذهب	شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي .

صبح الاعشى	صبح الاعشى في صناعة الانشاء للقلقشندى .
صفة جزيرة العرب	صفة جزيرة العرب للمهمداني
صورة الارض	صورة الارض لابن حوقل
الضوء اللامع	الضوء اللامع لاهل القرن التاسع للسخاوى
العبر	العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون .
الكامل	الكامل في التاريخ لابن الاثير
المختصر	المختصر في أخبار البشر لابي الفداء .
مسالك الابصار	الجزء الثالث — من مخطوط طبقبوسراى — من مسالك الابصار في ممالك الابصار لابن فضل العمرى .
مسالك الابصار (أيا صوفيا)	من مخطوط أيا صوفيا .
مسالك الابصار (طبقبوسراى)	من مخطوط طبقبوسراى .
المسالك والممالك	المسالك والممالك للاصطخرى .
المنتظم	المنتظم في تاريخ الامم والملوك لابن الجوزى
المنهل الصافي	المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغرى بردى .
النجوم الزاهرة	النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى .
نخبة الدهر	نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشيخ الربوة الدمشقي .
نهاية الارب	نهاية في معرفة الادب للنويرى .

Ascensus Barcoch	Ascensus Barcoch by De Mignanelli in Arabica.
BSOAS	Bulletin of the School of Oriental and African Studies.
Egypt and Syria	Egypt and Syria Under the Circassian Mamluks.
EI^1	First edition of the Encyclopaedia of Islam.
EI^2	Second edition of the Encyclopaedia of Islam.
Feudalism	Poliak's Feudalism in Egypt, Syria and the Lebanon.
GAL	Borckelmann's Geschechte der Arabischen Literatur.
GALS	Brockelmann's Supplement to GAL.
JRAS	Journal of the Royal Asiatic Society.
Urban Life	Ziadeh's Urban Life in Syria Under the Early Mamluks.

مصـــادر البحـــــث

عرض وتحليـــــل

تعددت المصادر التي اعتمد عليها في هذه الدراسة وتنوعت. ويرجع هذا التعدد وذلك التنوع الى طبيعة الموضوع ذاته، ذلك ان مجاله الزمني يمتد على فترة تبدأ من النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى(العاشر الميلادى)وتمتد حتى نهاية القرن الثامن الهجرى(الرابع عشر الميلادى). هذا بالاضافة الى ان مثل هذه الدراسة تتطلب : الالمام بجغرافية المنطقة التي كانت مسرحا للاحداث ـ بلاد الشام والبادية حتى نهر الفرات شرقا وهضبة نجد الشمالية ـ ، كما عرفها وصورها الجغرافيون المسلمون خلال تلك الفترة ، والتتبع لحركات تنقل القبائل العربية فيها، ولنفوذ القبائل السياسي وانتقاله من مجموعة قبلية الى أخرى الى ان استقر في نهاية القرن السادس الهجرى(الثاني عشر الميلادى)او بداية القرن السابع الهجرى(الثالث عشر الميلادى)لفروع قبيلة طيء ببلاد الشام ، آل فضل وآل مرا من بني ربيعة من طيء .

واصبح لفروع طيء هذه الامارة على جميع العرب. ونتج عن ذلك قيام علاقات رسمية مع السلطة المركزية المملوكية في القاهرة ، وأخرى مع القبائل العربية الاخرى بحكم كونها صاحبة الامرة عليها جميعا . يضاف الى ذلك انها كانت تحتل مركزا جغرافيا ممتازا بين السلطنة المملوكية في مصر والشام ودولة التتار في العراق .

ولذلك فقد شملت المصادر التي تم الرجوع اليها كتب : الجغرافية والرحلات ، والحوليات ، والتراجم ، وسير السلاطين ، والموسوعات والنظم .

ولم تكن الاستفادة من هذه المصادر واحدة ، وانما تفاوتت بتفاوت الموضوعات

والفترة الزمنية التي تعرض لها كل مصدر، باستثناء الموسوعات (كمسالك الابصار لابن فضل الله العمرى ، وصبح الاعشى للقلقشندى) وبعض الحوليات (كالكامل في التاريخ لابن الاثير، والمختصر في اخبار البشر لابي الفداء ، والسلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى) التي تعددت موضوعاتها وامتدت فتراتها الزمنية التي عالجتها ، اكثر من غيرها .

ولما كان اهتمامنا في هذه الدراسة هو دور القبائل العربية في بادية الشام وقبيلة طيء منها بشكل خاص، فسيكون التركيز، عند البحث في اهمية كل مصدر من المصادر التالية ، على مقدار ما يساعد على توضيح جانب او اكثر من جوانب حياة "العربان" — او الاعراب او العرب — في البادية وعلى اطرافها، بايراد معلومات جديدة لم تتوفر عند غيره ، سواء أكان ذلك مباشرة ونتيجة لمعاصرة الاحداث ، اوغير مباشرة بالنقل عن مصادر معاصرة مفقودة اوغير متوفرة لدينا . وعلى ذلك فان الاسس التي اتخذت منطلقا في عرض وتحليل مصادر هذه الدراسة هي :

١ — معاصرتها للاحداث التي سجلتها .(١)

٢ — قرب او بعد أصحاب هذه المصادر عن الاحداث التي دونوها .(٢)

---

(١) مع الاهمية الكبيرة لمعاصرة المؤلفين للاحداث التي دونوها، الا ان هنالك ظاهرة تسترعي الانتباه في التأليف زمن المماليك — وربما قبل ذلك ، خاصة في كتب الحوليات ، وهي ، كثرة الاخبار المدونة عن الفترة السابقة لزمن المؤلف وقلتها في الفترة التي عاصرها — رغم ان هذه القلة هامة جدا . وربما كان سبب ذلك هو ان المؤلف نقل، في ما تعلق بالفترات السابقة ، عن مؤلفات جاهزة بين يديه، اما فترته فهي من نتاجه الخاص الذى اعتمد فيه على جهده الشخصي ومدوناته الخاصة .

(٢) هنالك مثلا المؤلفون الذين كانوا موظفين رسميين في الدولة ، والمؤلفين الذين كانوا قريبين من السلاطين ونوابهم، ومنهم من كان من رجال العلم والبعض من الناس العاديين .

٣ ــ المادة الجديدة التي تقدمها مباشرة اوغير مباشرة (١) .

يمكننا تقسيم مصادر هذه الدراسة الى المجموعات التالية (٢) :

١ ــ الجغرافية والرحلات .

٢ ــ الحوليات : العامة ، والاقليمية ، والمتعلقة بفترة حكم سلطان من السلاطين .

٣ ــ التراجم .

٤ ــ الموسوعات .

وسأقوم في القسم التالي من هذا العرض بدراستها على أساس هذا الترتيب :

١ ــ الجغرافية والرحلات

اهتم الجغرافيون والرحالة المسلمون منذ القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) بدراسة جغرافية العالم الاسلامي ووصف اقطاره واهم مراكز الحياة السياسية والعلمية فيها لاغراض كثيرة يهمنا منها تلك التي تتعلق بموضوع القبائل ومواطن سكناها في "بادية العرب الشمالية" . وما طرأ على هذه المواطن من تغير نتيجة للظروف السياسية لهذه المنطقة . ونتج عن هذا الاهتمام عدد من المؤلفات التي اهتم اصحابها فيها بوصف الطرق والمسالك والمراكز الحضرية وما هو خارج عنها ، وبوصف حياة الناس في المدن الكبيرة والبلدان الصغيرة من عادات واخلاق ومذاهب سياسية ومعاملاتهم

---

(١) نجد مثلا ابن ايبك الدوادارى ينقل ، في الدرة المضية في تاريخ الدولة الفاطمية عن مؤلفات كانت معاصرة للاحداث ،
وابن العديم ينقل في كتاب في تاريخ حلب معظم ما تعلق بتاريخ قبائل حلب عن كتاب محمد بن احمد الاسدى ديوان العرب وجوهرة الادب وايضاح النسب :
(مخطوط كتاب ابن العديم مصور وموجود في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم MS956.8: I 131 KA .

(٢) لم احاول ان اتطرق في هذا العرض للمصادر الاجنبية سوى لمؤلفين احدهما كتاب وليم الصورى A History of Deede Done Beyond the Sea (English Trans. New York, 1943.
وسيرة برقوق لـ De Mignanelli التي ترجمها لترفشل بعنوان

Ascensus Barcooch, Arabica, Vol (1959) pp.57-114 & 153-172.

التجارية ، وتحدث بعضهم عن مواطن سكنى القبائل العربية في البادية وعلى اطرافها قرب المراكز الحضرية ، ومن استقر منها في هذه المراكز وترك حياة التنقل بين المصائف والمشاتي التقليدية .(١)

ومصادر هذا القسم، بالنسبة لهذه الدراسة ، تتكون من فئتين: الاولى تلك التي وصفت البادية ومراكز البريد على اطرافها، ومدنها وبلدانها، والثانية تلك التي حاولت تحديد مراكز تجمع القبائل في بادية بلاد العرب الشمالية وحتى في المناطق الجبلية والساحلية .

وتضم الفئة الاولى مجموعة كبيرة من المؤلفات(٢) التي وصلتنا كاملة او اجزاء منها . ولعل اهم كتب هذه المجموعة المسالك والممالك للاصطخرى، وصورة الارض لابن حوقل

---

(١) فصل كراتشكوفسكي في كتابه تاريخ الادب الجغرافي العربي (قسم ١ ترجمة صلاح الدين هاشم، القاهرة، ١٩٦٠) القول عن الجغرافيين .

(٢) من المؤلفات الجغرافية : المسالك والممالك لابن خرداذبه (ت : نهاية ق ٣ هـ / ٩ م) ، وكتاب البلدان لابن الفقيه الهمذاني (ق ٣هـ/ ٩م) والمسالك والممالك للاصطخرى (ت: النصف الاول من ق ٤هـ/ ١٠م) ، وصورة الارض لابن حوقل (ت: النصف الاول من ق ٤هـ/ ١٠م) ، واحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدسي (ت حوالي ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م) . كل ما تقدم حتى نهاية القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى . وابتداء من القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى تكثر كتب الرحلات وغيرها من الكتب الجغرافية وكتب الجغرافيا التاريخية مثل سفرنامه لناصر خسرو (ت حوالي ٤٨٠هـ/ ١٠٨٨م) ، ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق للادريسي (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٠م) ، ومؤلفات ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) مثل بسط الارض في الطول والعرض، وكتاب الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة لابن شداد (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) وكتاب من تاريخ حلب لابن العديم (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) ونخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشيخ الربوة الدمشقي الانصارى (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م) وتقويم البلدان لابى الفداء (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) ، والاقسام الجغرافية من مسالك الابصار لابن فضل الله العمرى (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م) وصبح الاعشى للقلقشندى (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) ، وزبدة كشف الممالك لابن شاهين الظاهرى (٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م) . هذا عدا عن رحلتي ابن جبير وابن بطوطة المشهورتين .

خاصة الثاني منها الذى اصبح مصدرا هاما لكل من كتب في المسالك والممالك بعد ذلك كابن سعيد المغربي ، وابي الفداء وابن فضل الله العمرى والقلقشندى وغيرهم .

اما المقدّسي ، فرغم انه يختلف عن سابقيه في اتساع مجالات كتابه ، فانه لا يختلف عنهم في وصفه للمدن والطرق والمسافات وموارد المياه والآبار . واهم قسم في كتابه بالنسبة لنا هو ذلك الذى افرده للبادية ومناهلها والطرق التي تخترقها ، والذى وضعه خدمة للمسافرين والحجاج .

ورحالة هذه الفئة كناصر خسرو والادريسى وابن جبير لا يبدون اهتماما خاصا ببادية العرب الشمالية وقبائلها مثل ما فعلوا عند كتابتهم عن المدن والبلدان الجبلية والساحلية . ومع ذلك فالملاحظات القليلة التي ترد عندهم عن البلدان الواقعة على اطراف البادية تساعد ، ولو قليلا ، في معرفة احوالها . وقد كتب ناصر خسرو بشكل خاص ، ملاحظات قيمة عن عرب وسط وشرق الجزيرة العربية ضمن عرضه لرحلته من مكة الى البصرة عبر البادية . وهذه الملاحظات تصلح لان تقال عن الاعراب ليس في وسط الجزيرة فحسب ، بل ربما في كل مكان شبيه بمكانهم . اما ابن سعيد المغربي ، الجغرافي والرحالة والمؤرخ ، فان له ملاحظات قيمة عن منازل القبائل في زمانه لا نجدها كلها في مؤلفاته المطبوعة وانما لدى المؤرخين المتأخرين كأبي الفداء وابن خلدون .

أما جغرافيو ورحالة عصر المماليك فانهم كانوا على الاغلب نقلة لاقوال من سبقهم . وبعضهم كان يصرح بمصادره كأبي الفداء الذى ينقل كثيرا عن ابن حوقل والمهلبي (١) (ت: ق ٤هـ/ ١٠م) ، وآخرون لا يذكرونها كشيخ الربوة الدمشقي . ومع ذلك فان معلوماتهم الخاصة تضيف اشياء جديدة عن احوال البلدان الواقعة على اطراف البرية ،

---

(١) الف كتاب المسالك والممالك للخليفة العزيز الفاطمي ، وقد عرف هذا الكتاب بعد ذلك باسم العزيزى .

تاريخيا كأعلاق ابن شداد وجغرافيا كتقويم أبي الفداء ونخبة شيخ الربوة .

ورحلة ابن بطوطة (ق ٨هـ/ ١٤م) لا تزودنا بالكثير عن جغرافية البادية ، لكن فيها من المعلومات التاريخية عن بعض امراء آل فضل من ربيعه طيء ما لم أجده عند اى رحالة او مؤرخ آخر. (١)

والفئة الثانية من مجموعة المصادر الاولى هي تلك التي تبحث في مواطن القبائل . وهذه المجموعة من المصادر تشارك الفئة الاولى في الاهتمام بتحديد الطرق والمناهل ووصف المدن والبلدان، الا انها تختلف عنها في اهتمام واضعيها بتحديد اماكن سكنى المجموعات القبلية .

فاليعقوبي (ت نهاية ق ٣هـ/ ٩م) ، صاحب كتاب البلدان، يركز عند ذكر كل بلد او منطقة يوردها على تحديد من يسكنها، حاضرها وبرها، وبعمله هذا قدم لنا صورة واضحة عن منازل قبائل العرب في البادية او قريبا منها . ووضع الهمداني (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٩م) كتاب صفة جزيرة العرب، وهذا الكتاب وكتاب اليعقوبي والفقرات الموجودة في كتاب ابن حوقل احسن ما وصلنا من معلومات عن القبائل ومواطن سكناها في نهاية القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) ومطلع القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى). (٢)

---

(١) اورد قصة لامير من آل فضل كان في الهند . ارجع الى رحلة ابن بطوطة (بيروت ، ١٩٦٠). وما سجله عن دور آل فضل في المحافظة على طريق الحاج العراقي .

(٢) وضع البكرى (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) مقدمة طويلة لكتابه معجم ما استعجم (ط . القاهرة ، ١٩٤٥) ص ص. ١—٩ بحث فيها في تفرق القبائل العربية في الجزيرة العربية وخارجها قبل الاسلام . وارجع الى ص٣ حاشية ١ عن كتاب الاسدى ، ديوان العرب الذى توجد مقتطفات منه في كتاب ابن العديم . كما ان كتاب بلاد العرب للاصفهاني (الرياض، ١٩٦٨) وكتاب ابو علي الهجرى وابحاثه في تحديد المواضع (الرياض، ١٩٦٨) لحمد الجاسر فيها معلومات من هذه الفترة عن مواطن القبائل .

يبقى اخيرا مجرد ذكر(١) ما اورده ابن فضل الله العمرى في مسالك الابصار(٢) عن القبائل ومواطنها في القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) وهو المصدر الوحيد، حسب ما اعرف، الذى جمع اخبار القبائل في تلك الفترة. وقد اعتمد في اخبار القرن السابع على الحمداني النسابة، اما القرن الثامن فقد اعتمد فيه على مصادره الخاصة.(٣)

٢ — الحوليات(٤)

كانت معالجة المؤرخين لاحوال آل فضل وآل مرا وغيرها من قبائل بلاد الشام، تقتصر على الفترات التي اثرت فيها هذه القبائل واحلافها على الحياة في المراكز الحضرية مثل حلب ودمشق وحماه، واحيانا لارتباط نشاط هذه القبائل بالخلفاء والسلاطين، او نتيجة للاهتمام الشخصي للمؤرخ كما هي الحال عند ابن فضل الله العمرى مثلا.

وادى موقف المؤرخين هذا الى ظهور فجوات كثيرة في اخبار فروع قبيلة طيء منذ بداية امارتها زمن الفاطميين ولاربعة قرون تلت. والامثلة على ذلك كثيرة، فالفترات بين ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م — ٥٠٠هـ/ ١١٠٧م و ٥٢٨هـ/ ١١٣٤م — ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م تكاد

---

(١) سيرد ذكره بتفصيل اكثر عند بحث الموسوعات.

(٢) ج ٣ من مخطوطة طبقبوسراى باسطنبول ص.ص. ١—٧٥،

(٣) سترد بعض المعلومات عن الحمداني عند بحث كتاب مسالك الابصار.

(٤) اعتبرت سير السلاطين مثل النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لابن شداد، والروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، وتشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور، لابن عبد الظاهر، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر لابن ايبك الدواداري، من كتب الحوليات، لانها تعالج (عدا الاول) موضوعها على اساس ترتيب السنين.

تكون خالية من اخبارهم . ومع ذلك فان في المصادر المعاصرة لهذه الفترات ما يكفي لتكوين صورة واضحة ومتصلة زمنيا، عن امراء فروع طيء الشام وبعض نشاطهم، لكنها تبقى غير متوازنة في كثير من جوانبها .

وقسمت هذه المجموعة الى فئتين: الاولى التي تبحث في الفترة بين ٣٥٠هـ/ ٩٦١م — ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م والثانية من ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م — ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م[١] . وكل مؤرخي الفترة الاولى من الشام والعراق ، اما مؤرخو الفترة الثانية فمن الشاميين والمصريين . وهذا التمييز بين المؤرخين له اثره في دراسة موضوعنا، فالمصادر الشامية تزودنا بمعلومات، عن عرب آل فضل وآل مرا من ربيعة طيء، اوفر من غيرها . وسبب ذلك واضح ، فقد كانوا اقرب الى مصادر المعلومات من اقرانهم المصريين، وكان لهم اهتمام خاص لا نجده الا عند من عرف عن قرب ما كان يجرى من الامور . ولكن المؤرخين المصريين اكثر فائدة في ناحية اخرى هي العلاقة الرسمية بين القبائل والسلطنة المملوكية في القاهرة . وهذا التحديد ليس نهائيا، ولا ينطبق على المؤرخين المتأخرين من الجانبين الذين وجدوا امامهم مؤلفات شامية ومصرية فنقلوا عنها[٢] .

ومن المؤرخين المعاصرين لبداية الفترة الاولى مسكويه (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) صاحب كتاب تجارب الامم، والوزير ابو شجاع محمد بن الحسين الروذراوري (ت ٤٨٨هـ/

---

(١) وضع هذا التقسيم لمجرد التنظيم، ولا علاقة لاختيار التواريخ باحداث معينة .

(٢) لم تتوافر لدى اية مصادر توضح وجهة نظر الجانب العراقي عن دور القبائل في الصراع بين المماليك والتتار، والكتاب المنسوب لابن الغوطي — الحوادث الجامعة — ليس فيه معلومات تذكر . كما ان عباس القزاوى ، في مؤلفه تاريخ العراق بين احتلالين، الذى ينقل عن مصادر فارسية وتركية لا يورد شيئا من هذه المصادر مما له علاقة بالقبائل التي كان المؤلف يهتم بأخبارها . ويؤكد ذلك ان ما نجده في جامع التواريخ (الترجمة العربية ج ٢ قسم ١—٢) عن القبائل، وعن العلاقات مع المماليك شيئا لا يكاد يذكر .

١٠٩٥م) الذى وضع ذيلا لكتاب مسكويه - والمؤلفان لم يعاصرا الاحداث التي يدونانها، والاغلب انهما نقلا عن مصادر سابقة لهما - ، ويحى بن سعيد الانطاكي (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م) الذى كتب تكملة لتاريخ ابن البطريق (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩- ٩٤٠م) المعروف باسم التاريخ المجموع على التحقيق والتدقيق الذى انتهى به الى حوادث سنة ٣٢٦هـ/ ٩٣٧م. واذا كان مسكويه وابو شجاع يذكران احداثا معينة لها علاقة بآل الجراح من طيء في بلاد الشام - وهي هامة - فان يحى بن سعيد يقدم لنا معلومات مفصلة عن آل الجراح وغيرهم من العرب لفترة تزيد على نصف قرن من الزمان . ولا يقتصر ما يورده على علاقات آل الجراح مع الفاطميين والقبائل الاخرى، وانما يفصل علاقاتهم مع الروم في فترة تجدد فيها اهتمام الاباطرة البيزنطيون ببلاد الشام . وهذه المعلومات هي الوحيدة ، بتفصيلها، التي وصلت الينا . ومما يلفت النظر أن المتأخرين من المؤرخين المسلمين الذين نقلوا عن ابن سعيد او غيره، اهملوا ما تعلق بلجوء آل الجراح الى بلاد الروم(١) .

هذا بالنسبة للقرن الاول من هذه الفترة الاولى . أما النصف الثاني من القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) فلا تتوفر مصادر معاصرة عنه، وكل ما نعرفه مستمد من مصادر كتبت خلال القرن السادس الهجرى (الثاني عشر الميلادى). وهذه المصادر تمدنا ليس فقط باخبار الفترة المعاصرة وانما بما قبلها .

فابن القلانسي (ت ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م) كتب ذيل تاريخ دمشق الذى هو ذيل لتاريخ هلال بن المحسن الصابي(٢) (ت ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م) . وهو ينقل عن تاريخ هلال

---

(١) ترد عند ابن القلانسي، وابن الاثير، وابن العديم، وابو الفداء بعض هذه الاشارات الا انها غامضة ولا يمكن ان تفهم دون الرجوع الى "تاريخ يحى بن سعيد".

(٢) وهذا بدوره كتبه ذيلا لتاريخ ثابت بن سنان .

وذيل ابنه محمد (ت ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م) عليه او من مصادر أخرى . وايا كان مصدر معلوماته، فانها من الاهمية بحيث لا يستغنى عنها في هذه الدراسة ، فكثير من المعلومات التي نجدها عنده توضح بعض الجوانب في حياة القبائل التي لم تؤرخ في المصادر الاخرى .

والمؤرخ العظيمي (ت ٥٥٦هـ/ ١١٥٦م) كان معاصرا لابن القلانسى ، وقد وضع تاريخا (١) مرتبا على السنين ركز فيه اهتمامه على أخبار الشام . واخباره أشد ايجازا من أخبار معاصره، وتتشابه وايا ها بالنسبة لموضوعنا، وتقدم أحيانا معلومات جديدة ومفيدة .

وجدير أن يذكر مع ابن القلانسى والعظيمي المؤرخ المجهول الذى ترك تاريخا مرتبا على السنين شمل اخبار اجزاء من القرنين الخامس والسادس الهجريين (الحادى عشر والثاني عشر الميلاديين)(٢) ويبدو انه نقل عن ابن القلانسي او عن العظيمي او كليهما .

اما عماد الدين الكاتب الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) فهو من اشهر مؤرخي الحروب الصليبية المسلمين . وكتابه المنشور الفتح القسي في الفتح القدسي فيه ذكر لأخبار العربان ولأخبار اربعة من امراء ربيعة طيء كانوا مع صلاح الدين في حروبه، احدهم ابن امير من امراء وادى موسى في الشراة والذى كان صديقا لاسامة بن منقذ(٣)

---

(١) يوجد مختصرا له نشره كلود كاهن Claude Cahen بعنوان
"La chronique Abregee D'al Azimi" in Journal Asiatique, vol. 230 (Juill-Sep. 1938) pp. 353 ff.

(٢) نشره ايضا كلود كاهن بعنوان
Une chronique Syrienne Du VIe/XIIe Siecle'Le "Bustan Al-Jami",
Bulletin D'Etudes Orientales, Institut Francais De Damas, T. VII-VIII (1937-38), pp.113-158.

(٣) ساعدت هذه الاشارة مع تلك التي في كتاب الاعتبار لأسامة على توضيح شجرة نسب آل ربيعة ، كما حددت مواطن بعض طيء — الشراة — والتي كانت من مواطنهم في بداية حكم الفاطميين .

(ت ٥٨٠هـ/ ١٨٤م) . وهذه الاشارة من الاهمية بمكان كبير، ذلك انها توضح انساب آل مرا من ربيعة طيء خلال القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي). واما كتاب العماد الثاني الذي له اهميته فهو البرق الشامي، ولكن لا يمكننا قول شيء عنه، فهو او ما هو موجود منه غير مطبوع ولم اتمكن من الاطلاع على المخطوط منه. ومع ذلك فان بعض الاشارات تدفع الى الاعتقاد بفائدته لهذه الدراسة (١).

ولا يقل ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) شأنا عن العماد الاصفهاني كمؤرخ للحروب الصليبية واخبار الدولتين الزنكية والايوبية، لكنه محدود الفائدة بالنسبة لدراستنا — عن آل فضل وآل مرا وليس تاريخ القبائل —، فكتابه الباهر في الدولة الاتابكية ليس فيه شيء يذكر، والكامل في التاريخ فيه الشيء الكثير عن دور القبائل في العراق والجزيرة الفراتية وحلب، والقليل عن قبائل بلاد الشام الجنوبية وباديتها. واخباره عن قبائل جنوبي الشام وبني ربيعة طيء معروفة لدينا من المصادر السابقة الا اشارة واحدة لاحظ ابن خلدون اهميتها فنقلها وثبتها في تاريخه في اكثر من موضع، وتلك هي التي يذكرها في حوادث سنة ٥٠١هـ (١١٠٨م) والتي لا نجدها عند غيره من المؤرخين الذين جاءوا قبله او كانوا معاصرين له. وتتعلق هذه الاشارة بالامير فضل بن ربيعه الذي ينسب اليه آل فضل امراء العرب في بلاد الشام زمن المماليك.

---

(١) اورد ابن خلدون، العبر، ج ٥ ص. ٩٣٧ (ط. بيروت)، وج ٦ ص. ٩ (ط. بولاق) اشارة صريحة بانه ينقل عن البرق الشامي. كما ان هاملتون جب يرجع في مقالته "جيوش صلاح الدين" في دراسات في حضارة الاسلام، (الترجمة العربية، بيروت، ١٩٦٤) الى عدة اجزاء من هذا الكتاب. ارجع الى بروكلمان GAL I, 315, GALS, II, 548, وتذكرة النوادر من المخطوطات العربية (حيدر اباد الدكه ١٣٥٠) حيث ورد في ص ٨١ رقم ٩٠ ذكر لسبع مجلدات من الكتاب في متحف بطرسبرغ.

ويرد عند ابن شداد (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥ م) في كتابه النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية اشارات قليلة عن القبائل ردها من بعده مؤرخو الدولة الايوبية : ابو شامه (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م) من الروضتين في اخبار الدولتين ، وابن واصل (ت ٦٩٧ هـ/ ١٢٩٨م) في مفرج الكروب في أخبار بني أيوب .

وجدير ان نذكر هنا وليم الصورى (William of Tyre) مؤلف تاريخ بعنوان : Historia rerum in partibus transmarinis gesturum.

ففي كتابه(١) ملاحظات ذكية تتوافق وما يورده معاصروه من المؤرخين المسلمين في مضمونها العام، كما يبدى ملاحظات هامة عن اخلاق البدو العسكرية نجد مثلها عند ابن فضل الله العمرى(٢) .

هنالك ظاهرة عند مؤرخي الدولة المملوكية تستحق ان نشير اليها وهي أن اكثرهم كان له ارتباط مباشر او غير مباشر بالجهاز الادارى للدولة (٣) . وساعدهم ذلك على معرفة احوال البلاد واخبارها على المستوى الرسمي . ولذا فقد جاءت تواريخهم متشابهة ، في كثير الحالات ، في اخبارها عن قبائل بلاد الشام وعلاقتها بسلاطين المماليك. ويستثنى من ذلك التواريخ المتأخرة التي نقلت عن مصادر شامية اضافة

---

(١) ترجم الى الانجليزية بعنوان :
A History of Deeds Done Beyond the Sea, by E.A. Babock & A.C. Krey, New York, 1943.

(٢) نقل ابن فضل الله عن الحمداني النسابة رواية في نفس المعنى . مسالك الابصار، ج ٣ ص ٤٩ .

(٣) مثل: ابن عبد الظاهر، وابن شداد، وبيبرس الدوادار، ووالد ابن ايبك .

لما أخذت عن المؤرخين المصريين الأول . اما المؤرخون الشاميون فقد كان ارتباطهم بالادارة الرسمية قليلا حتى في مراكز الممالك في الشام، وكانوا في اغلبيتهم من العلماء الذين اهتموا بتراجم الرجال كثيرا، وربما اكثر من الاحداث، في المؤلفات التي وضعوها (١) . ومع ذلك فأن احداثهم تختلف عن الاحداث التي يوردها المؤرخون المصريون .

وناحية ثانية تستلفت النظر هي الفرق بين المؤرخين الشاميين والمصريين في تدوين اخبار امراء قبائل الشام . فالمصريون ركزوا على الرسمي منها، بينما نجد معاصريهم من الشاميين يهتمون بمعظم الحوادث المتعلقة بهولاء الامراء . ونجد حتى عند المتاخرين من مؤرخي هذه الفترة فرقا في معلوماتهم، فابن الفرات وابن قاضي شهبة والعيني (٢) يختلفون في ما يقدمونه عن المقريزي وابن تغرى بردى، وقد كانوا جميعا نقلة لما وجدوه في المصادر السابقة لهم — هذا اذا استثنينا الفترات التي عاصروها .

وأول مؤرخي هذه الفترة ابن عبد الظاهر (٣) (ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م) مؤلف سير ثلاثة من اشهر سلاطين المماليك البحرية : الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر،

---

(١) مثل اليونيني وابن كثير .

(٢) لابن قاضي شهبة كتاب الذيل على تاريخ الاسلام في مجلدين منه ميكروفيلم مصور عن النسخة في المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٥٩٨، في مكتبة الجامعة الاميركية رقم AS:144 اما كتاب العيني (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) عقد الجمان فيقع في النسخة المصورة في دار المكتب بالقاهرة (ج ٥ ص.ص. ٢٦٧—٢٦٩ من الفهرس، ورقم ٧١ م تاريخ) في ٢٣ جزءا في ٦٩ مجلدا .

(٣) ومعاصر لابن عبد الظاهر هو المؤرخ ابن شداد الذي الف سيرة الملك الظاهر، التي لم اتمكن من الاطلاع عليها لانها لا تزال مخطوطة، في ادريانوبل، مكتبة سليم . انظر GAL, I, 312.

وتشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور ، والالطاف الخفية في السيرة الاشرفية (١) .

وليس في هذه المؤلفات ما يخص موضوعنا سوى اشارات قليلة رسمية في معظمها ، ومن هنا كانت اهميتها .

واليونيني (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م) وابن الجَزَري (ت ٧٣٨هـ/ ١٣٣٨م) مؤرخان شاميان عاصرا الربع الاخير من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) والثلث الاول من القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي). وكتب الاول ذيلا لمرآة الزمان والثاني تاريخا مرتبا على السنين (٢) . والمؤلفان هامان لدراستنا ، الاول لاهتمامه باخبار آل فضل وآل مرا والعلاقات بينهما ، ويبدو الثاني وكأنه لا يختلف كثيرا عن سابقه لكن لا مجال للحكم عليه لان ما وصلنا منه قطعة واحدة ليست بلغتها الاصلية وانما ملخصة ومترجمة الى الفرنسية (٣) .

اما بيبرس الدوادار (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م) فقد الف كتاب زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة الذي يمكن ان يعتبر في اجزائه الاخيرة من ابرز المصادر عن تاريخ المماليك

---

(١) ما هو منشور من هذه الكتب: قطعة من الروض الزاهر نشرتها فاطمة صديقي مع ترجمة انجليزية ضمن دراستها عن حياة الظاهر بيبرس بعنوان
Baybars I of Egypt(Pakistan, 1956) والقسم الذي وجد من تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور الذي نشره مراد كامل (القاهرة ، ١٩٦١) ونبذة من الالطاف الخفية في السيرة الاشرفية التي نشرها موبرغ (ليبسك، ١٩٠٢) .

(٢) ارجع الى بروكلمان GALS, II, 33 ، حيث ذكر اسم كتاب حوادث الزمان الذي اعتبره تكملة لكتاب العماد لكاتب من حوادث ٥٩٣—٦٩٩هـ منه قطعة من المكتبة الوطنية بباريس رقم ٦٧٣٩ تحت عنوان جواهر السلوك في الخلفاء والملوك .

(٣) وقد لخص سوفاجيه هذه القطعة بالفرنسية ونشرها تحت عنوان:
La chronique de Damas d'al-Jazari, (Paris, 1949)
وذكر عباس العزاوي (مجلة المجمع العلمي العربي ، م ١٩ سنة ١٩٤٤، ص ص ٥٢٤—٥٣٠) ان منه قطعة باسطنبول (كوبريلي زاده رقم ١٠٣٧) تشمل حوادث السنوات ٧٢٦ هـ — ٧٣٨هـ— انظر ايضا فهرس دار الكتب المصرية ، ج ٥، رقم ٩٩٥ تاريخ .

البحرية وعلاقاتهم مع التتار لكثرة ما فيه من الوثائق (١)، الا انه كان قليل العناية باخبار العرب الا ما كان له علاقة مباشرة بالسلاطين، علما بانه تولى نيابة الكرك مدة من الزمن، وكان على معرفة وثيقة باخبار عربانها.

ويمكن ان يوصف كتابا النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد لابن ابي الفضائل (ت بعد ٧٥٩هـ/ ١٢٦١م) وتاريخ سلاطين المماليك الذى نشره زيترستين، بانهما من الكتب الهامة لدراسة تاريخ المماليك الا انهما لا يختلفان كثيرا عن زبدة الفكرة — وربما اقل اهمية — في ما تعلق باخبار القبائل.

ويأتي كتاب ابن ايبك الدواداري (ت حوالي ٧٥٠هـ/ ١٣٥٠م) عن الملك الناصر محمد بن قلاوون، متمما من ناحية لكتاب زبدة الفكرة — في اجزاء منه — ومكملا لسلسلة سير ابن عبد الظاهر من ناحية أخرى. فكتابه الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر هام لدراستنا لناحيتين توفرتا فيه: اولهما بضع فقرات عن محطات البريد بين مصر والشام ودور العربان في المحافظة عليها، وثانيهما قصة فراسنقر وهروبه الى التتار ودور امير العرب من آل فضل في ذلك، كما رواها بيخان مملوك فراسنقر. ولا نجد هذه المعلومات عند غيره من المؤرخين.

ومن بين مؤرخي الشام البارزين ابو الفداء (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) الذى وضع تاريخا اطلق عليه اسم المختصر في اخبار البشر. والجزء الاكبر من هذا المؤلف، وكما يصرح هو نفسه، منقول عن الكامل في التاريخ لابن الاثير، لكن القسم المعاصر منه، رغم ايجازه، من ادق واشمل ما كتب عن علاقات قبائل الشام — واصحاب الامرة منها خاصة —

---

(١) ما تمكنت من الاطلاع عليه هو الجزء العاشر. ميكروفيلم عن مخطوطه المتحف البريطاني رقم (١٢٣٣). وهو يحتوى على حوادث السنوات ٦٥٥—٧٠٩ مع بعض النقص. ارجع بروكلمان GAL, 44, GALS, II, 43.

مع نواب الشام وملوك الايوبيين بحماه ودولة التتار في العراق . اما تتمة هذا الكتاب التي وضعها ابن الوردي (ت ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩—١٣٥٠م) فقيرة في احداثها، محدودة الفائدة في وفياتها . ومع ذلك فالاشارات القليلة التي ترد فيها لها أهميتها التي لا تنكر.

وابن كثير (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) من مؤرخي الشام البارزين ايضا، وكتابه البداية والنهاية مرجع أساسي لتاريخ بلاد الشام السياسي والاجتماعي . والاجزاء منه التي تبحث في احداث القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، اما منقولة عن تاريخ البرزالي (١) (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٩م) او غيره من المؤرخين، او من مشاهداته ومصادره الخاصة . وهو يصرح بذلك اذ يذكر متى توقف عن الاخذ عن البرزالي، وما يهمنا من معلوماته، بالاضافة الى ما اورده من اخبار آل فضل، هو ما ذكره عن علاقة هؤلاء الامراء بالشيخ احمد بن تيمية وغيره من الشخصيات الدينية في بلاد الشام، وهي معلومات معاصرة لم اجدها عند غيره من المصادر التي اتيح لي الاطلاع عليها .

وابن حبيب (ت ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م) مؤرخ شامي آخر معاصر لابن كثير، الف كتابا في تاريخ دولة الاتراك سماه درة الاسلاك في دولة الاتراك، واهتم فيه بالصناعة اللفظية اكثر من اهتمامه بالاخبار التاريخية . وقد يعد مصدرا مفيدا لدراسة تاريخ المماليك البحرية الا ان ما تضمنه من اخبار تهمنا يكاد يقتصر على من تولى ممن ولي الامرة من آل فضل دون غيرهم من امراء ربيعة طيء او امراء القبائل الاخرى .

ومن المؤرخين الذين سجلوا نهاية دولة المماليك البحرية وقيام دولة المماليك

---

(١) له تاريخ على السنين من ٦٠١هـ — ٧٣٦ هـ . انظر بروكلمان GALS, II, 34-35, GAL, II, 36.

الجراكسة ابن الفرات (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م) وابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) ٠ ومؤلفاتهما (١) اكثر المصادر التي اطلعت عليها — مع مسالك الابصار للعمرى — غنى بالمعلومات الجديدة والوافية عن الامارة الطائية في بلاد الشام٠ فابن الفرات الذى اتبع سلوب الحوليات يورد ، في الاجزاء التي تمكنت من الاطلاع عليها حقائق ووثائق عن احوال امارة قبائل العرب في بلاد الشام لا نجدها عند غيره من المؤرخين (٢) ، خاصة ما وقع منها في الفترة التي عاصرها، والفترة بين ٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م) — ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) (٢) ، حيث تشكل المعلومات الموجودة لديه عن الفترة الاخيرة المادة الوحيدة تقريبا عن آل فضل في الفترة الاولى من قيام الامارة الرسمية ٠ اما ابن خلدون الذى عاصر الاحداث في مصر والشام في الجزء الاخير من النصف الثاني من القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى، وكان على اتصال بالسلطان برقوق وابنه السلطان فرج ، فان اهميته لاترجع الى ذلك فحسب ، وانما تعود الى معالجته لموضوع الامارة الطائية (آل فضل) كموضوع مستقل، واعتبارها مثلا من الامثلة التي توضح نشوء الامارات٠ وهو بعمله هذا يقدم لنا معلومات وحقائق جديدة مستمدة من مصادر مفقودة اوغير مطبوعة ٠

---

(١) تاريخ ابن الفرات ، وهو مرتب على السنين ٠ وما تمكنت من الاطلاع عليه الاجزاء المطبوعة ٧، ٨، ٩، والجزء السادس (ميكروفيلم مصور عن مخطوطة الزاوية الناصرية بالرباط ، في مكتبة الجامعة الاميركية ببيروت تحت رقم AS 128) ، والقسم الاول من الجزء السادس من مخطوطة فينا (رسالة ماجستير في مكتبة الجامعة الاميركية رقم T: 83A) والقسم الاول من الجزء الرابع (ط٠ البصرة ، ١٩٦٧) ٠ اما تاريخ ابن خلدون، العبر، فمطبوع في طبعتين غير محققتين في القاهرة وبيروت٠ وله كتاب آخر هو التعريف بابن خلدون لم استفد منه بالنسبة لتاريخ القبائل ٠

(٢) يرد بعضها بشكل موجز جدا عند ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج ٣ (ط٠ دمشق ، ١٩٦٨) ٠

ولابن صصرى (ت بعد ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م) تاريخ اسمه الدرة المضيئة في الدولة الناصرية ، والمطبوع منه يضم فترة تسع سنوات تكاد تقتصر حوادثها على حركتي "الناصرى" و "منطاشى" ضد السلطان برقوق . وهو معاصر للاحداث التي يدونها ، ولديه معلومات مفصلة عن هذه الحركات ودور آل فضل وآل مرا فيها ، كما يحتوى على اشارات هامة عن دور "العشير" والفلاحين في هذه الاحداث .

ولكي تكتمل الصورة عن كتب الحوليات واهميتها لدراستنا ، لا بد من ذكر ، ولو سريع ، لثلاثة من اشهر مؤلفات عصر المماليك : السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) وذيل تاريخ الاسلام لابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م) والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى (ت بعد ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) .

وهذه المؤلفات من اهم المراجع عن تاريخ دولة المماليك ، لكنها محدودة الفائدة لدراستنا خاصة وان المادة الكثيرة فيها عن القبائل اصبحت متوفرة في مصادرها الاصلية والمعاصرة . ومع ذلك فلكل منها جانب خاص يستحق الذكر . فالمقريزى لديه معلومات جديدة تبحث في تجارة الخيول بين امراء العرب والسلاطين واثرها الاجتماعي على العربان بسبب الاموال التي كانوا يحصلون عليها من السلطان مقابل ذلك ، ويضاف الى ذلك اشارات أخرى متفرقة لها اهميتها . وابن قاضى شهبة مؤرخ جامع ومنظم حاول المقابلة بين ما وجده عند المؤرخين الشاميين والمصريين في الاحداث التي ينقل اخبارها ، كما ينقل عن مؤرخيين لا تزال مؤلفاتهم غير مطبوعة . اما ابن تغرى بردى فمادته اقل ومحددة بالاحداث البارزة التي يعالجها كوحدة ضمن سير السلاطين - الاسلوب الذى اتبعه في معالجة موضوعه .

وجدير بالذكر اخيرا سيرة السلطان الظاهر برقوق التي وضعها De Mignanelli .

والمعروفة بـ Ascensus Barcoch

وقد عاش المؤلف في مصر ودمشق مدة وكان معاصرا للاحداث الاخيرة في سلطنة الظاهر برقوق . وسيرته الموجزة فيها معلومات جيدة عن ثورة منطاش ودور العرب فيها تتفق في كثير من جوانبها مع روايات المؤرخين المعاصرين .

٣ - التراجم

تعتبر كتب تراجم الرجال من المصادر الرئيسية لدراسة تاريخ الدول الزنكية والايوبية والمملوكية ، ذلك لانها نقلت ونظمت الاخبار المتناثرة المتعلقة باخبار الشخصيات التي تترجم لها، من المصادر المعاصرة على اختلاف انواعها . واكثر كتب التراجم التي اتيح لي الاطلاع عليها ليس فيها من معلومات جديدة لا نجدها في المصادر الاخرى المعاصرة . واحيانا نرى ان النص الواحد يتكرر في اكثر من مصدر واحد من هذه المصادر. فما نجده من اخبار لها علاقة بموضوعنا عند ابن عساكر (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٦م) في تاريخ دمشق نراه مكررا عند ياقوت (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) في معجم الادباء ، وابن خلكان (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) في وفيات الاعيان (١) مع ان هذا المؤلف الاخير فيه معلومات اكثر من غيره. وبعض هذه المعلومات موجودة عند ابن الصيرفي (ت ٥٤٢هـ/ ٤٧-١١٤٨م) في كتابه الاشارة الى من نال الوزارة . اما ابن العديم (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) فانه وضع مؤلفا ضخما عن رجالات حلب - على غرار ما عمله ابن عساكر - وسماه بغية الطلب في تاريخ حلب. وما تمكنت من الاطلاع عليه من هذا المؤلف لا يكفي للحكم عليه، لكننا نجد فيه ترجمة وافية للامير حسان بن المفرج الطائي ، اشهر امراء آل الجراح زمن الفاطميين، لا نجدها عند غيره.

---

(١) لم اجد في كتاب ابن شاكر الكتبي فوات الوفيات اى شيء يذكر.

ولدينا من فترة المماليك عددا من كتب التراجم التي نجد فيها الكثير من المعلومات المنقولة عن المصادر السابقة لها، لكنها قليلة الفائدة لموضوعنا . واول هذه الكتب الوافي بالوفيات للصفدي (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م) والدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م) والمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) . وما هو مطبوع من الكتاب الاول، وما تمكنت من الاطلاع عليه من المخطوط[١] لا يكفي للحكم عليه، والاشارات القليلة التي وجدتها فيه لا تختلف عما اوردته مصادر فترة المماليك الاولى . ومثل ذلك يمكن ان يقال عن الكتاب الثالث المذكور، ذلك ان الجزء الاول المنشور منه والملخص الذي نشره جاستون فيت (G. Wiet.) باللغة الفرنسية للكتاب كله لا يكفيان لابداء رأي حول اهميته، لكن يبدوان مادته غزيرة وتبحث في تراجم امراء آل فضل وآل مرا بشيء من التفصيل[٢] . اما كتاب ابن حجر العسقلاني فمعلوماته غزيرة ايضا وفي اغلبها منقولة عن ابن فضل الله العمري وغيره من اصحاب التراجم . ومع ذلك فان فيه شيئا جديدا، ذلك انه يورد خبرا يتعلق بأحد امراء آل فضل تولى امارة الموصل مدة من الزمن في عهد التتار.

٤ — الموسوعات والنظم

ثلاثة من كتب الموسوعات لها اهمية خاصة في دراسة تاريخ القبائل العربية في

---

(١) الموجود منه في المعهد الالماني الشرقي ببيروت.

(٢) ترد مقتطفات من تراجم المنهل الصافي عند العماد الحنبلي في شذرات الذهب في اخبار ذهب، محمد راغب الطباخ في اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء. وقد نشر فيت الملخص بعنوان :

Les biographies du Manhal Safi (Le caire, 1932).

الشام هي : مسالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م) وصبح الاعشى في صناعة الانشاء للقلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي . وكتاب مسالك الابصار افضل مصدر لدراسة تاريخ القبائل العربية في القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، وصبح الاعشى مصدر هام ايضا لسبب يختلف عن ذلك المتعلق بكتاب ابن فضل الله العمري . اما الخطط فمفيدة في دراسة النظم المملوكية وعلاقة القبائل بهـا .

واذا كانت مؤلفات ابن فضل الله العمري والقلقشندي بهذه الاهمية التي افترضناها، فلا بد من اعطاء فكرة اكثر وضوحا عنها .

ويهمنا من كتاب ابن فضل الله ثلاثة اشياء وردت متفرقة في اجزائه العديدة : الاول وصفه لطرق الحجاج وليس المهم هو وصفه الطرق بحد ذاتها وانما الاجراءات التي اتخذها سلاطين المماليك لتنظيم اشراف قبائل العرب القاطنة على او قريبا من الطريق عليها . وكان مصدره في ذلك المشاهدة والخبرة المباشرة . والثاني "الباب" الذي خصصه في نهاية بحثه "للقسم" الاول من الكتاب ـ الارض ـ ورتبه تحت عنوان "في ذكر العرب الموجودين في زماننا ..." ، ومصادره لهذا الباب موثوقة : الحمداني المهمندار[1] (ت ٧٧٠هـ/ ١٣٠١م) الذي عاش قريبا من قرن من الزمان وشغل منصب المهمندارية ، وكان نسابة ، ووضع كتابا عن قبائل العرب في زمانه، وامراء العرب الذين عاصرهم المؤلف وقابلهم وتحدث معهم ووثق بكلامهم، وملاحظاته الشخصية . والثالث ما نجده في الجزء الاخير من القسم التاريخي من كتابه ، من وثائق ومعلومات قيمـة .

---

(١) له ترجمة في الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة (ط. دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد الذكن) ج ٤ ص ٤٥٥-٤٥٦

واذا كان القلقشندى قد نقل حرفيا - مع اضافات احيانا - عن مسالك الابصار معتمدا بعض الاقسام وتوسع في بحثها على مصادر اخرى، ونسخ معظم ان لم يكن كل كتاب التعريف بالمصطلح الشريف - الكتاب الثاني لابن فضل الله - ، فان في صبح الاعشى من المعلومات ما لا نجده عند ابن فضل الله والمقريزى، كالملاحظات التي اضافها والوثائق الكثيرة التي زودنا بها من مراسيم ومناشير كتبت لامراء عربان الشام في ذلك الزمان، وهي معلومات لا يمكن الاستغناء عنها في معرفة نوع العلاقة التي كانت قائمة بين امراء العرب والدولة المملوكية .

ولا يمكن ان نختتم هذا العرض دون الاشارة السريعة الى المصادر الكثيرة التي لم يتناولها التعليق في ما تقدم، ككتاب انباء الغمر في ابناء العمر لابن حجر العسقلاني (١)، وبدائع الزهور في وقائع الدهور لابن اياس، وتاريخ بيروت لصالح بن يحيى، والجوهر الثمين في سيرة نور الدين لابن قاضى شهبة . وكذلك المصادر التي لم اتمكن من الاطلاع عليها - لانها لا تزال مخطوطة وغير متوافرة لدى - مع اهميتها كتاريخ الاسلام للذهبى ، وعقد الجمان للعينى والاجزاء التي لا تزال مخطوطة من السلوك للمقريزى .

---

(١) طبع الجزء الاول من هذا الكتاب في حيدر اباد الدكن سنة ١٩٦٨ .

الفصل الأول

باديـــة العرب الشماليـــة

وتوزيـــع وحركـــة القبائـــل العربية فيهـــا

تتكون المنطقة الواقعة بين البحر الابيض المتوسط غربا، ونهر الفرات شمالا وشرقا ، وبلاد نجد جنوبا من عدة اقسام جغرافية هي ، من الغرب الى الشرق ، : السهل الساحلي ، وسلسلة الجبال الغربية ، والسهول والوديان ، وسلسلة الجبال الشرقية ، والبادية . فالسهل الساحلي ضيق في معظم اجزائه لكنه يتسع بالتدريج كلما اتجهنا جنوبا مع الساحل الفلسطيني . أما سلسلة الجبال الغربية فتمتد من الشمال ، حيث تتصل بجبال طوروس، الى الجنوب حيث تنتهي بالنقب الذى كان يعرف عند الجغرافيين المسلمين بتيه بنى اسرائيل . وتختلف ارتفاعات هذه الجبال لكن اكثرها ارتفاعا هي جبال لبنان الغربية . ويتخلل سلاسل الجبال هذه مجارى انهار وعدد من الوديان . والى الشرق من سلسلة الجبال الغربية تقع سهول ووديان أنهار، مثل سهل العمق الذى يجرى فيه نهر العاصي ، وسهل البقاع الذى يجرى فيه نهر الليطاني ، وغور الاردن الذى يجرى فيه نهر الاردن . وتعرف هذه الوديان "بحفرة الانهدام". وتطل على حفرة الانهدام هذه سلسلة الجبال الشرقية التي تمتد جنوبا حتى تتصل بجبال غربى الجزيرة العربية . وهذه الجبال ، كالجبال الغربية ، شديدة الانحدار باتجاه "حفرة الانهدام" لكنها تنخفض بالتدريج كلما اتجهنا شرقا حتى تتصل ببادية العرب الشمالية التي تغطي القسم الاكبر من المنطقة التي حددناها اعلاه.(١)

ومعظم بادية العرب الشمالية هذه سهوب مستوية تتخللها احيانا بعض الهضاب والمرتفعات مثل "جبل بشرى" شمالي تدمر، و "الجبل الشرقي" شمالي شرقي دمشق

---

(١) . ويقصد "ببادية العرب الشمالية" في هذه الدراسة المنطقة الواقعة بين سفوح الجبال الشرقية لبلاد الشام (شرقي الخط الواصل بين بالسن (مسكنة حاليا على نهر الفرات ، وأيلة او العقبة على خليج العقبة) وبلاد نجد الشمالية وامتدادها غربا الى البحر الاحمر وشرقا الى الخليج الفارسي .

وجبل بنى هلال المعروف بـ "جبل الدروز" جنوبي شرقي دمشق ، و "جبل شمر" في هضبة نجد الشمالية . وتتكون هذه البادية من عدة اقسام أهمها (١) : الوديان وهي تضم المنطقة الواقعة الى الشرق من تدمر والرطبة وتمتد الى وادى الفرات ، والمنطقة بين تدمر والقريتين، ووادى السرحان ، والحماد وهو المنطقة الممتدة من جنوبي تدمر حتى صحراء النفود جنوبا، والحرات الواقعة الى الجنوب الشرقي من جبل العرب ، والحجرة الممتدة بمحاذاة الجزء الجنوبي من حوض الفرات الغربي بين الكوفة والبصرة (٢) .

وهذه البادية ـ باستثناء صحراء النفود ـ قليلة الرمال وكل ما فيها من مناطق رملية محصور في الاجزاء الواقعة الى الشرق من تدمر، وما بين العراق والكويت (٣) .

اهتم الجغرافيون والرحالة المسلمون ، خلال العصور المختلفة ، بالبادية وطرقاتها والمراكز التي كانت تقع فيها او على اطرافها . ويرجع سبب هذا الاهتمام الى اهميتها بالنسبة للمواصلات بين اجزاء العالم الاسلامي . ففيها او على اطرافها كانت تسير طرق الحجاج والقوافل التجارية القادمة من العراق والشام ومصر، ومن اجزاء العالم الاسلامي الاخرى . ولذلك فقد اهتموا بدراستها وتحديد طرقاتها ومراكزها التجارية . فقد اعتبرها قسم من الجغرافيين امتدادا للجزيرة العربية (٤) مع ضمها

---

(١) وصفى زكريا، عشائر الشام (دمشق ، ١٩٤٥) ج ١ ص٢٦ـ٢٨، عبد الجبار الراوى ، البادية (بغداد ، ١٩٤٩) ص٥ـ٧) .

(٢) هنالك اقسام اخرى وردت في مصادر الحاشية رقم ١ مثل "المناظر" و "الدو" التي اوردها وصفي زكريا ، عشائر الشام ، ص٢٤ـ٢٦، و "الدبدبة" و "الرحاب" التي اوردها الراوى ، البادية ، ص٦ـ٧ .

(٣) عشائر الشام ، ج ١ ص٢٩، البادية ، ص٧ .

(٤) الاصطخرى ، المسالك والممالك (القاهرة ، ١٩٦١) ص٤٣، ابن حوقل، صورة الارض (ليدن ، ١٩٣٩) ص٦٥، وقد تبعهم في ذلك معظم من جاء بعدهم من الجغرافيين . انظر: البكرى ، معجم ما استعجم (القاهرة ، ١٩٤٥) ج ١ ص١ـ٧، ياقوت ، معجم البلدان (بيروت ، ١٩٥٥ـ١٩٥٧) ج ٢ ص١٣٧، ابو الفداء ، تقويم البلدان (باريس ، ١٨٥٤) ص٧٧ـ٧٨ .

اداريا للوحدات الادارية القريبة منها: الاجناد في بلاد الشام والامصار في العراق.

اما المقدّسي، الذي ادرك أهميتها اكثر من غيره، فقد اعتبرها وحدة جغرافية منفصلة "لان احدا من أهل الاقاليم الثلاثة عشر [حسب تقسيمه] لا طريق له الى مكة في البر الا فيها ولا غنى له عن معرفتها". (١)

ورغم الاختلاف بين المقدسي وسابقيه من الجغرافيين حول اهمية البادية (٢) وكيفية اعتبارها جغرافيا، الا انه لا يختلف عنهم في تعيين حدودها. وحدودها في رأيه تبدأ من أيلة على بحر القلزم الى بالس على نهر الفرات والى عبادان على الخليج الفارسي. فمن أيلة الى الشراة والبلقاء من عمل فلسطين، الى اذرعات وحوران والبثنية من عمل دمشق، الى سلمية من عمل حمص، الى بالس من عمل قنسرين (٣). ومن بالس يسير الحد مع نهر الفرات حتى يصل الى الانبار التي كانت تعتبر الحد الفاصل بين الجزيرة

---

(١) المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ليدن، ١٩٠٦) ص٢٤٨.

(٢) ذكر المقدسي كل الطرق التي كانت تخترق البادية في زمانه، المصدر السابق، ص٢٤٩—٢٥٢، كما قدم وصفا عاما وجيدا لها لا نجد مثله عند غيره من الجغرافيين السابقين او المعاصرين له، فقد وصفها بانها "بادية ذات مياه وغدران وآبار وعيون وتلال ورمال وقرى ونخيل، قليلة الجبال، كثيرة العرب، مخيفة السبل، خفية الطرق، طيبة الهواء، ليس بها بحيرة ولا نهر الا الازرق، ولا مدينة الا تيماء" وقد اعتبر مدينة تدمر من المعمور وليس من البادية. المصدر ذاته، ص٢٤٨.

(٣) حاولت جعل الخط بين أيلة وبالس مستقيما بعض الشيء فحذفت بعض المراكز التي جعلها الجغرافيون من الحدود مثل زغر مدينة قوم لوط، ونواحي بعلبك، وتدمر، والخناصرة.

الفراتية والعراق (١) . ومن الانبار يأخذ الحد بالابتعاد عن النهر الى جهة الغرب فيسير مع المدن والبلدان الواقعة على اطراف البادية جهة العراق كالكوفة والقادسية حتى يصل الى عبادان على خليج البصرة . اما ما بين عبادان وأيلة فيكاد يسير خط الحدود مستقيما، ويمر من صحراء النفود قريبا من الاطراف الشمالية لهضبة نجد عند جبلي طيء (٢) .

وقد قسم الجغرافيون الاوائل هذه البادية الى عدة بواد حسب المنطقة القريبة منها، ولذلك نجد عندهم ذكر لبادية الشام وبادية الجزيرة وبادية العراق والسماوة وبرية خساف (٣) . ومجموع هذه البوادي هو الذي اطلقنا عليه اسم "بادية العرب الشمالية".

كانت القبائل العربية تقيم مضاربها، صيفا وشتاء في البادية او على اطرافها، في الاماكن التي كان يتوفر فيها الماء والمرعى . فقد كانت تنتقل في اواخر الربيع واوائل الصيف من مناطقها الشتوية المألوفة الى الاطراف المزروعة من الريف حتى تتمكن من اطعام مواشيها مما يترك في الارض بعد موسم الحصاد . وتبقى في هذه المناطق حتى فصل

---

(١) صورة الارض، ص ٢٣١، تقويم البلدان، ص ٣٠١ عن ابن حوقل، M.R. Al-Feel, "Iraq and al-Jazira as Described by Ibn Said al-Maghribi, in مجلة كلية الآداب — بغداد vol.5 (1962, English Sec.) p. 95.

(٢) كانت منطقة نجد الشمالي موطن قبيلة طيء وغيرها من القبائل التي استوطنت بعض فروعها فيما بعد العراق والجزيرة والشام، ولذلك اعتبرت هنا تابعة للبادية الشمالية .

(٣) المسالك والممالك، ص ٢١—٢٥، صورة الارض، ص ٢١—٢٢، معجم البلدان، ج ٣ ص ٢٤٥ . وكتاب Hudud al-'Alam (اكسفورد، ١٩٣٧) ص ٣١ .

الخريف وبداية الشتاء ، عندها تتنقل الى المناطق القريبة من أرياف العراق والشام ، ثم الى المناطق الداخلية من القفار " لرعى شجرها ، ونتاج ابلهم في رمالها ، . . . وفرار بانفسهم وظعانهم من أذى البرد لدفاء مشاتيها ، فلا يزالون كل عام متردد ين بين الريف والصحراء . . . صاعدين ومنحدرين على ممر الايام ".(١)

والمناطق التي كانت تلجأ اليها القبائل في تنقلها المستمر هي تلك التي تقع على اطراف الارض المزروعة ، ومجارى الوديان الغنية بالمياه ، والمراكز التي تتوفر فيها البرك والصهاريج التي يخزن بها ماء المطر . وهي نفس المناطق التي كانت تمر بها طرق المواصلات في البادية ، حيث اصبحت مراكزها محطات للراحة والتجارة لقوافل الحجاج والتجار ولأهل البادية ، كما كانت أهم مراكز تجمع القبائل مختلف فصول السنة . وهذه المناطق هي : نجد الشمالي وامتداده الى الشمال الشرقي بمحاذاة طريق الحاج العراقي ، والى الغرب حيث تقع تيماء وتبوك ، والمنطقة الواقعة على طول الخط الذى اعتبر حدا فاصلا بين الشام والبادية والممتد من أيلة جنوبا حتى بالس شمالا ومارا بحوران وحدود دمشق وحمص وحماه الشرقية ، ومناطق الوديان والينابيع والآبار كتدمر والازرق ووادى السرحان الذى يصل بين سهول حوران وصحراء النفود وهضبة نجد الشمالية . هذا بالاضافة الى المراكز القريبة من الفرات والتي يتردد ذكرها كثيرا في اخبار القبائل التي استوطنت الاجزاء الشمالية والشرقية من البادية .

ونظرا لاهمية هذه المناطق لهذه الدراسة ، فان اعطاء فكرة مجملة عنها شيء ضرورى .

---

(١) العبر ، ج ٢ ص ٢٦ ، ابن سعيد ، كتاب نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب (ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم Mic-A, 133) ورقه ١٧ ، وكانت منازل هذه القبائل ، الصيفية والشتوية محددة ومعروفة ، ولم تكن دائمة التنقل دون استقرار — انظر :
W.R. Smith, Kinship and Marriage in Early Arabia (ed. S.A. Cook & E. Peters, Boston, N.D.) p 41.

١ - نجد الشمالي

يقع جبلا أجا وسلمى المعروفان بجبلي طيء (شمّر في الوقت الحاضر) على الطرف الشمالي لهضبة نجد والحد الجنوبي لصحراء النفود الكبرى. وجعل هذا الموقع المتوسط لمنطقة الجبلين بين بلاد العرب أهمية خاصة، حيث كانت مركزا للمواصلات تمر بها او قريبا منها طرق الحجاج القادمة من العراق والشام(١)، لتوفر المياه فيهـا من ناحية، ولانه كان يتم في محطاتها البيع والشراء بين الحجاج وبين الاعراب من ناحية أخرى(٢).

ومن اهم المراكز التي كانت على طريق الحجاج العراقي وقريبا من جبلي طيء، فيد (٣). فقد كانت المكان الوحيد الذى "يستقل بالعمارة والاهل طوال السنة"(٤)، وتكثر فيها الاسواق خاصة في موسم الحج، كما كانت مركز العامل في زمن قدامة بن

---

(١) عن طريق الحجاج العراقي خاصة انظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك (ليدن، ١٨٨٩) ص١٢٥-١٢٧، قدامة بن جعفر، كتاب الخراج (ليدن، ١٨٨٩) ص١٨٦، احسن التقاسيم، ص٢٥٣-٥٤، ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة (بيروت، ١٩٦٠) ص١٧٣-٧٦. اما طريق الحجاج الشامي فقد كان يمر من طرف نجد الغربي.

(٢) ابن سعيد، بسط الارض في الطول والعرض (تطوان، ١٩٥٨) ص٦٥، ابن جبير، رحلة ابن جبير، (القاهرة، ١٩٥٥) ص١٩١، رحلة ابن بطوطة (بيروت، ١٩٦٠)، ص١٧٣.

(٣) عن فيد ارجع الى كتاب الخراج، ص١٨٦، ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٨٦، Hudud al-'Alam, p.148، احسن التقاسيم، ص٢٥٤، رحلة ابن جبير، ١٩١، معجم البلدان، ج ٤ ص٢٨٢ - ٨٣، ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج ٢ ص٣٧-٧٦، تقويم البلدان، ص٩٦ نقلا عن كتاب العزيزي للمهلبي، رحلة ابن بطوطة، ص١٧٤، EI^2, III, pp. 893

(٤) احسن التقاسيم، ص٢٥٤.

جعفر(١) . أما أهلها فقد كانوا "بادية" من طيء(٢) .

والى الشمال من جبلي طيء تمتد صحراء النفود، وعلى الطرف الشمالي لهذه الصحراء تقع دومة الجندل . أما تيماء وتبوك فقد كانتا الى الغرب من الجبلين . ولا تذكر المصادر الجغرافية عن هذه المراكز الا ما تعلق بتحصيناتها، وتوفر المياه فيها، واهميتها للبادية (٣) . فتيماء "ممتار البادية"(٤)، وتبوك "حاضر طيء"(٥) .

٢ — أطراف البادية الغربية(٦)

يقع على طول الخط الذى رسم كحد فاصل بين بلاد الشام — في عرف الجغرافيين الاولين(٧) — والبادية، عدد من المراكز التي كان لها علاقة دائمة مع القبائل العربية المجاورة خاصة فروع قبيلة طيء في بلاد الشام وباديتها:

---

(١) كتاب الخراج، ص ١٨٦ .

(٢) المسالك والممالك، ص ٢٤، صورة الارض، ص ٣٣، احسن التقاسيم، ص ٢٥٤ . و"بادية" بدو او أعراب .

(٣) عن دومة الجندل ارجع الى ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٢٩، الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (نسخة مصورة في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم MS910:121 nuA ص ٢٣٧، معجم البلدان، ج ٢ ص ٤٨٨ EI² II, pp. 593-594 وعن تيماء . المسالك والممالك، ص ٢٥، صورة الارض، ص ٣٤، احسن التقاسيم، ص ٢٥٢—٥٣، نزهة المشتاق، ص ٢٣٨ معجم البلدان، ج ٢، ص ٦٧ EI¹, IV, pp. 622-623

(٤) المسالك والممالك، ص ٣٥، صورة الارض، ص ٣٤ .

(٥) كتاب البلدان، ص ٨٧ نقلا عن كتاب العزيزي .

(٦) ادخل ضمن هذه المنطقة بعض المراكز التي تقع خارجها مثل الرملة والازرق، الاولى لاهميتها في دراسة تاريخ قبيلة طيء، والثانية لوفرة المياه فيها .

(٧) جعل الجغرافيون الشام المنطقة الواقعة الى غربي الخط الذى رسمناه: صورة الارض، ص ١٦٥، ابن شداد، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ج ١ ورقه (مخطوط مصور في مكتبة الجامعة الاميركية رقم (956.9:I 138aIA نقلا عن ابن العديم، تقويم البلدان، ص ٢٢٥،
Le Strange, Palestine Under the Moslems (Beirut, 1965) p.27.

فمدينة أيلة كانت مدينة عامرة ذات نخيل واسماك[١] ، ومن قواعد اليهود التي خربت[٢] ، ثم أصبحت قرية صغيرة يأوى اليها العرب ويتصرفون في امورها[٣] ، وبها كان يجتمع حجيج الشام ومصر[٤] ، ثم صارت اخيرا مركزا لوال يعين من مصر زمن ابي الفداء[٥] .

أما منطقة الجبال والشراة [٦] فقد كانت كثيرة القرى[٧] ، وغاية في الخصب والسعة [٨] . وكان سكانها زمن الفاطميين من العرب المتغلبين عليها ، ثم أصبح غالبهم زمن المماليك من الفلاحين [٩] .

ومدينة الرملة من أشهر مدن فلسطين في فترة صدر الاسلام . فقد كانت مركز الجند ، عامرة كثيرة البنيان والسكان[١٠] . ثم توالى عليها الخراب والعمار في القرون

---

(١) احسن التقاسيم ، ص١٧٨

(٢) بسط الارض ، ص ٨٤ .

(٣) نزهة المشتاق ، ص٢٣٦ .

(٤) القزويني ، آثار البلاد واخبار العباد (بيروت ، ١٩٦٠) ، ص١٥٣ .

(٥) تقويم البلدان ، ص٨٧ .

(٦) من مدن وبلاد هذه المنطقة اذرح ومآب ومعان . المسالك والممالك ، ص ٤٨ ، صورة الارض ص١٧٣ ، ١٨٥ ، احسن التقاسيم ، ص١٧٨ .

(٧) احسن التقاسيم ، ص ١٧٨ .

(٨) المسالك والممالك ، ص ٤٤ ، صورة الارض ، ص١٧٣ ، احسن التقاسيم ، ص ١٧٨ .

(٩) بسط الارض ، ص ٨٥ ، تقويم البلدان ، ص ٢٢٨ .

(١٠) المسالك والممالك ، ص ٤٤—٤٨ ، صورة الارض ، ص ١٧١ ، احسن التقاسيم ، ص١٦٤ — ٦٥ .

التالية (١)، الى أن أصبحت مركز "اقليم" صغير في القرن التاسع الهجرى (٢) (الخامس عشر الميلادى) .

والى الشمال من الشراة تقع كورة البلقاء "معدن الحبوب والاغنام" (٣)، وهي في ذلك مشابهة لحوران والبثنية (٤) "الرستاقين العظيمين" (٥) . وقد تقلبت الاحوال بهذه المناطق كثيرا حسب الظروف السياسية للمنطقة كلها (٦)، لكنها كانت دائما من المراكز الرئيسية لتجمع القبائل خاصة في فصلي الربيع والخريف. ومن مدن حوران المشهورة بصرى وصرخد "صلخد" واذرعات "درعا" و زرع "اذرع" (٧) . ويقع الازرق الى الجنوب من صرخد والى الشرق من عمان . وهو الماء الغزير الوحيد في البادية في نظر

---

(١) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة (بيروت ، ١٩٦٣) ج ٢ قسم ٢ ص ١٨٢-٨٣، نزهة المشتاق ، ص ٢٣٩، تقويم البلدان ، ص ٢٤٠-٤١، رحلة ابن بطوطة ، ص ٦٠ .

(٢) ابن شاهين الظاهرى ، زبدة كشف الممالك (باريس، ١٨٩٤) ، ص ٤٢ .

(٣) احسن التقاسيم ، ص ١٧٥، معجم البلدان ، ج ١ ص ٣٣٨، EI², I, pp.997-998

(٤) كان يطلق على جزء من حوران والبثنية اسم "النقرة" وهو قلب هذه المنطقة . EI¹,III, p.951. EI², I, pp.1275f. وليس اسم النقرة حديثا كما تصور E. Honigmann في مقالته Al-Nukra في EI¹,III,p.951 فقد ورد ذكرها عند العماد الكاتب في الفتح القسي في الفتح القدسي (القاهرة ، ١٣٢١) ص ١٣٨-١٣٩ .

(٥) المسالك والممالك ، ص ٤٨، صورة الارض، ص ١٨٥، الاعلاق الخطيرة ، ج ٢ قسم ٢ ص ٥٥، ٥٦، EI², I, p.1093 "والرستاق" السواد والقرى ، معرب رستا .

(٦) ارجع الى مصادر حاشية (٥) ومعجم البلدان، ج ١: ٣٣٨، احسن التقاسيم، ص ١٦٠، تقويم البلدان ، ص ٢٥٣، القلقشندى ، صبح الاعشى في صناعة الانشاء (القاهرة ، ١٩١٣-١٩) ج ٤ ص ١٠٥، ابن فضل الله العمرى، مسالك الابصار، ج ٣: ٧٣ أ، القزويني ، اثار البلاد ، ص ١٨٥ EI² I, pp.12275f.

(٧) ارجع الى مصادر الحاشيتين ٥، ٦ .

المقدّسي حتى انه عدّه نهرا (١)، وقد بنى الملك المعظم عيسى الايوبي عليه قلعة (٢) للمحافظة على طريق الحاج الشامي (٣).

ومن ضواحي مدينة دمشق الشرقية وحتى نصل الى بلدة بالسر على نهر الفرات نجد عددا من المدن الواقعة على طرف البرية والتي اصبحت زمن المماليك اقطاعات لامراء العربان. وهذه المدن هي سلمية ومعرة النعمان وسرمين (٤). اما بالس فقد كان لها اهمية خاصة لانها كانت تعتبر الحد الفاصل بين الجزيرة الفراتية والشام، ومركزا لالتقاء طرق القوافل التجارية القادمة من العراق والجزيرة الى الشام. واذا كانت المدن الثلاثة الاولى قد اشتهرت بخصبها وكثرة زراعاتها وبساتينها، فان شهرة بالس ترجع الى كونها مركزا تجاريا وصناعيا. وقد مرّ على هذه المدن جميعا الكثير من التقلبات من عمار وخراب وازدهار وبوار تبعا للظروف السياسية المتغيرة التي

---

(١) احسن التقاسيم، ص ٢٤٨.

(٢) بسط الارض، ص ٨٦.

(٣) بسط الارض، ص ٨٦، معجم البلدان، ج ١ ص ١٦٨، تقويم البلدان، ص ٢٢٩ حاشية ١ نقلا عن ابن سعيد.

(٤) لم تكن سرمين على طرف البادية كسلمية لكنها كانت من اقطاع آل فضل.

تعاقبت على شمالي بلاد الشام والجزيرة الفراتية (١) .

٣ — تدمر وما حولها من البلاد

تقل الحواضر كلما ابتعدنا عن خط الحدود — الذي وصف في السابق — وتوغلنا في البادية . وتتركز هذه البلدان والقرى حول الينابيع والآبار والبرك التي كان يجمع فيها مياه الامطار. ولا نجد في مثلث البادية الذي رأسه القريتين وقاعدته الفرات الممتد بين بالس (٢) والرحبة (٣) سوى عدد قليل من المراكز تتجمع في الجزء الجنوبي منه. واشهر هذه المراكز تدمر، المركز التجاري الهام في وسط القسم الشمالي من البادية . ويحيط بتدمر من جهة الشمال وجهة الجنوب بلدان أخرى أقل شأنا منها مثل السخنة وأرك وعرض . ويتوفر الماء في هذه المراكز جميعا، وان كانت مياه كبريتية . وادى ذلك الى شهرتها بكثرة البساتين والمزروعات. وكانت هذه المنطقة من مواطن

---

(١) انظر عن سلمية ومعرة النعمان وسرمين وبالس وما طرأ عليها من تطورات: المسالك والممالك، ص ٤٦، صورة الارض، ص ٨٠، ١٧٨، معجم ما استعجم، ج ٣ ص ٧٥١، احسن التقاسيم، ص ١٥٥، ناصر خسرو، سفرنامه (القاهرة، ١٩٤٩) ص ١١، بسط الارض، صص ٨٦—٨٨، معجم البلدان، ج ١ ص ٣٢٨ — ٣٢٩، ج ٣ ص ٢١٥—٢٤٠، ج ٤ ص ١٥٦، ابن العديم، كتاب في تاريخ حلب (خط) ج ١ الاوراق ٩٤، ٢٨٥—٢٩٠، الاعلاق الخطيرة (خط) ج ١: ورقه ١٢٥، نخبة الدهر، ص ٢٠٢—٢٠٧، تقويم البلدان، صص ٢٦٥، ٢٦٩، ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف (القاهرة، ١٣١٢ هـ) ص ١٧٩، صبح الاعشى، ج ٤ ص ١١٤—١٢٦، ١٤٢، زبدة كشف الممالك، ص ٤٩—٥٣، EI[2] I, pp. 995-996, EI, IV, pp. 90-93، مجلة كلية الآداب (بغداد، ١٩٦٢)، ص ٨٥ من القسم الانجليزي .

(٢) بلدة مسكنة الحالية .

(٣) كانت تقع الى الجنوب الشرقي من مدينة دير الزور الحالية .

القبائل العربية منذ فترة ما قبل الاسلام(١) وحتى زمن المماليك ، كما أصبحت تدمر منذ النصف الثاني من القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) جزءاً من اقطاعات امراء القبائل من آل فضل من ربيعة طي٠٠

واما مدينة الرحبة على الفرات فانه لم يكن لها أهمية تذكر في الفترات السابقة لحكم المماليك رغم كثرة من سيطر عليها من الدول ٠ لكنها أصبحت ذات شأن زمن المماليك لانها أصبحت من الثغور الاسلامية (المملوكية) الرئيسية التي اقيمت لمواجهة التتار، فقد انشأوا فيها قلعة وجعلوها نيابة وشحنوها بالمماليك من "الجند والخيالة والكشافة ومختلف طوائف المستخدمين"(٢) ، ليكونوا عيونا تراقب حركات اعداء السلاطين على حدود البلاد ٠

ويجدر بنا أخيرا ان نذكر الوديان المنتشرة على طرف البادية الشرقي والتي تنحدر نحو الفرات ، ووادى السرحان الذى تصب فيه وديان فرعية من الجانبين ٠ فقد

---

(١) عن تدمر واهميتها انظر: احسن التقاسيم، ص١٥٦، بسط الارض، ص٨٨-٨٩ معجم البلدان، ج ٢ ص١٧، تقويم البلدان ، ص٨٩، آثار البلاد ، ص١٦٩، رحلة ابن بطوطة ، ص٦٥٠، ابن فضل الله العمرى، مسالك الابصار (مخطوطة أيا صوفيا) ج ٣ ورقة ١٧٣ ب، صبح الاعشى ، ج ٤ ص١١٤، ابن الشحنة ، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب (بيروت، ١٩٠٩) ص٢٥٧، وعن السخنة وأرك وعرض انظر: معجم البلدان ، ج ١ ص١٥٣، ج ٣ ص١٩٦، ج ٤ ص١٠٣، نخبة الدهر، ص٢٠٢ ، رحلة ابن بطوطة ، ص٦٥٠٠

(٢) التعريف ، ص١٨٠ ٠ ايضا: صبح الاعشى ، ج ٤ ص١١٥، زبدة كشف المماليك ، ص٥٠٠

كانت هذه الوديان من مراكز تجمع القبائل المشهورة ، خاصة في فصل الشتاء . ففي هذا الفصل كانت تترك القبائل مراكزها الصيفية الى هذه المناطق حيث يتوفر الدفء لها والمرعى لمواشيها (١) .

استقر عدد من القبائل العربية ، منذ فترة ما قبل الاسلام، في بادية العرب الشمالية . وقد انتقلت هذه القبائل تدريجيا من الجزيرة العربية الى اطراف العراق والجزيرة والشام . وتعددت الاسباب التي كانت تدفع القبائل او بطون منها الى ترك مواطنها والانتقال الى مواطن جديدة . ولعل من اهم الأسباب هو النزاع المستمر بين القبائل المختلفة وحتى بين فروع القبيلة الواحدة ، اذ ان ذلك كان يؤدي الى انتقال القبيلة او الفرع المغلوب على امره واللجوء الى قبيلة من القبائل والتحالف معها (٢) او طرد قبيلة اضعف منها عن مواطنها والاستيلاء عليها .

وقد كانت حركة القبائل داخل الجزيرة العربية وخارجها، حركة مستمرة ، بطيئة احيانا سريعة أحيانا أخرى، حسب الظروف التي اثرت فيها . وسنرى في القسم الباقي من هذا الفصل كيف كان توزيع القبائل العربية وحركتها في بادية العرب الشمالية

---

(١) ارجع الى الخارطة رقم ١ .

(٢) من امثلة ذلك ما حصل لفرع جديلة من طيء بعد "حرب الفساد" التي كانت بينها وبين الغوث من طيء ايضا، فقد لحقت بعد هزيمتها بكلب واقامت عندهم . ابو الفرج الأصفهاني، الاغاني (بيروت، ١٩٥٨) ، ج ١٣ ص ص ٩—١٠، ابن الاثير، الكامل في التاريخ (ط. بيروت ، ١٩٦٥—١٩٦٧) ، ج ١ ، ص ص ٦٣٥—٦٣٦ . وانتقل قسم منها الى منطقة حلب واستقروا في "حاضر قنسرين" الذي عرف فيما بعد "بحاضر طيء" . البلاذري، فتوح البلدان ، ص ١٩٧—١٩٨، المسعودي ، التنبية والاشراف (ليدن ، ١٨٩٣) ص ٢٠٨، كتاب في تاريخ حلب ، ج ١ ورقه ٩٣ .

من الفترة السابقة لظهور الاسلام مباشرة وحتى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) .

وكانت مواطن القبائل العربية ، في القرن السابق لظهور الاسلام مباشرة ، موزعة على الشكل التالي : (١)

ففي منطقة نجد الشمالية كانت تسكن قبائل : طيء في منطقة الجبلين أجأ وسلمى وما حولهما ، وأسد الى الجنوب الشرقي من طيء ومع طريق الحاج العراقي شمالا حتى لينة .

والى الشرق من منازل أسد كانت مواطن قبيلة تميم ، ثم عبد قيس في البحرين وساحل خليج البصرة .

أما القبائل التي كانت تسكن الى الغرب من جبلي طيء وفي شمالي الحجاز فقد كانت بلى ، وجذام ، ولخم التي كان يمتد نفوذها شمالا الى جنوبي فلسطين .

وفي المنطقة الواقعة بين البصرة جنوبا وبالس شمالا كانت تقطن قبائل : بكر ، والنمر ، وتغلب في الجزيرة الفراتية (٢) .

---

(١) استند في تحديد مواطن القبائل هنا بالمصادر التالية : معجم ما استعجم ، ج ١ ص ص ١ — ٩٠ ، العبر ، ج ٢ ص ص ٤٩٤—٦٩٩ ، احسان النص ، العصبية القبلية في الشعر الاموى (بيروت ، ١٩٦٧) ص ص ١٣٠—١٣٤ ، والمقالات المتعلقة بالقبائل في دائرة المعارف الاسلامية (بالانجليزية ، الطبعتان الاولى والثانية) ، والخرائط التالية : خارطة لتوزيع القبائل في The Historical Atlas of Islamic People, p.2 والخرائط في كتاب رابين Ancient West - Arabian (London, 1951) والخارطة ضمن المقال عن " البدو " في دائرة المعارف الاسلامية (بالانجليزية ، الطبعة الثانية) ص ٨٩١ .

(٢) كانت مواطن اغلب هذه القبائل متركزة على الجانب الغربي للفرات . وقد كانت تنوخ تسكن قرب الفرات ثم رحلت الى الحيرة ، ثم الى الشام . معجم ما استعجم ، ج ١ ص ٢٧ .

وأما بقية مناطق البادية فقد سكنتها سليح وبهراء في اجزائها الشماليـــــة ، وكلب التي سيطرت على الاجزاء الداخلية ، الوسطى والجنوبية ، ولم يخالطها فيها من القبائل المشهورة الا اياد (١) .

كان هذا هو التوزيع التقريبي لاشهر القبائل ومواطنها عندما جاء الاسلام وبدأت حركة التوسع باتجاه العراق وبلاد الشام والشمال الافريقي والتي تعرف بالفتوحات العربية الاسلامية .

ولم تكن حركة القبائل العربية التي رافقت الفتوحات شبيهة بالهجرات التي تمت في السابق . ذلك ان دوافع هذه الحركة كانت تختلف عن أسباب تلك الهجرات . ومع ذلك فقد أعطت الفتوحات مجالا لحدوث تغير في مواطن القبائل على اطراف البادية . فقد تركت القبائل التي اشتركت في الفتوحات مواطنها واستقرت في المناطق التي فتحتها ، في الاجناد والامصار . وادى هذا الانتقال لبعض بطون القبائل الى استيلاء القبائل التي بقيت في مواطنها على المنازل التي تركها أهلها . وغالبا ما كانت تستولي القبائل المجاورة على المنازل المهجورة وتجعلها من مناطق نفوذها (٢) . ولكن هذا التغير في مواطن القبائل لم يؤثر كثيرا على توزيعها وانما ساعد في دفع افواج جديدة انضمت الى القبائل السابقة . وغالبا ما كانت هذه الافواج تنتمي الى نفس أصل القبيلة او القبائل التي التحقت بهـا .

---

(١) ارجع الى الخارطة رقم ٢ .

(٢) استمر هذا الاتجاه فيما بعد . انظر العبر ، ج ٢ ص ٦٦٢—٦٦٣ ، ٦٣٥ بالنسبة لاسد وغطفان واستيلاء طيء وغيرها من القبائل على منازلها .

تم فتح الشام من قبل جيوش خرجت من الجزيرة العربية ، أما فتح العراق فقد بدأ من قبل بعض بطون القبائل العربية التي كانت تسكن هناك . ثم أخذ الخلفاء بتزويد جيوش الشام والعراق بالامدادات . وهنالك ظاهرة تسترعي الانتباه بالنسبة لهذه الامدادات الأولى وهي : ان من كان منها من القبائل العدنانية او القبائل اليمانية كان يميل الى الذهاب الى بلاد الشام مع حاجة جبهة العراق الى هذه الامدادات (١) .

وكانت الخطة التي اتبعت في ارسال الامدادات ، في بداية الفتوحات ، هي ان ترسل بحيث " يصير كل قوم مع من أحبوا "، لكن هذه السياسة أدت الى اختلال التوازن في تزويد الجيوش العراقية والشامية بما كانت تحتاج اليه من الجند (٢) ، كما ادت، فيما بعد ، الى تركز غالبية القبائل القضاعية وبعض بطون القبائل الجنوبية في الشام، والقبائل العدنانية في العراق

---

(١) ارجع الى الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك (ليدن ١٨٧٩ — ١٩٠١) ١: ٢١٨٦—٢١٨٩، ٢٢١٨—٢٢٢٢، النص، العصبية القبلية ، ص ٢٣٥ .

(٢) يبدو أن القبائل اليمنية التي كانت مستعدة للمشاركة في الامدادات كانت اكثر من القبائل العدنانية . فقد واجه عمر بن الخطاب مشكلة تمثلت في تزويد جيش العراق بما كان يحتاج اليه من امدادات . فقد كان معظم من تقدم اليه من أهل اليمن ، وكانوا جميعا يرغبون في الذهاب الى الشام " فان اسلافنا بها " ، وحل عمر المشكلة بأن قسم الامدادات نصفين : نصف يذهب الى العراق ، والنصف الآخر الى الشام . الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، ١: ٢١٨٦، ٢٢١٨ .

والجزيرة الفراتية (١) .

واستقر من اشترك من القبائل في الفتوحات في الامصار والاجناد التي انشئت. واقتضى التنظيم الاداري الذي وضع زمن عمر بن الخطاب بقاء كل أهل مصر او جند في منطقته حتى يُتمكن من ترتيب العطاء في الدواوين، ولكي يصبح أهل الامصار جنودا متفرغين للجهاد مستعدين للمشاركة في الحرب كلما دعت الحاجة الى ذلك(٢) . واستمر هذا الوضع زمن الخلفاء الراشدين وعصر الامويين وفترة من العصر العباسي، ولم يستجد فيه شيء الا في حالات الانتقال الفردية وبعض حالات الانتقال الجماعية . ففي حالات الانتقال الفردية كان يشطب الفرد من ديوان مصره او جنده السابق ليسجل في ديوان المكان الذي انتقل اليه. أما حالات انتقال الجماعات فقد كانت تؤدي أحيانا الى استحداث أجناد جديدة ، كما فعل معاوية بن ابي سفيان الذي استحدث جند قنسرين لاهل العراق من انصاره الذين شاركوا في حرب صفين، وكما فعل هارون الرشيد الذي استحدث جند العواصم حتى يكون الجند فيه بشكل دائم بدلا من خروجه من الامصار والاجناد كلما دعت الحاجة الى ذلك (٣) .

ولا يهمنا هنا أمر القبائل التي استقرت في الأجناد والامصار، وانما أمر اهل البادية منها . وقد كان وضع هذه القبائل، خلال القرون الثلاثة الاولى من الاسلام ،

---

(١) ذلك لا يمنع وجود عناصر يمانية في العراق وعناصر عدنانية في الشام ، وانما كان ذلك هو الاتجاه العام .

(٢) صالح العلي ، التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية في القرن الاول الهجري (بغداد ، ١٩٥٣) ص ١٤٢ .

نخبة الدهر ، ص ١٩٢، ٢١٤،

Le Strange, Palestine Under the Muslims, pp. 25-26.

يختلف عن وضع اهل الامصار. فعدم استقرار اهل البادية ادى الى حرمانهم من العطاء الدائم[١]، وبالتالي لم يكن لهم سجل في الدواوين[٢]. أما من كان ينتقل منهم من البادية الى مراكز الامصار والاجناد، فانه كان يخرج عن حكم اهل البادية، ويصبح كغيره من اهل هذه المراكز.

واستقرت اوضاع القبائل خلال القرنين الاول والثاني الهجريين على هذه الحال رغم كثرة الفتن التي شهدها عصر الامويين والعصر العباسي الاول. ولم يحدث تبدل جذري في مواطنها حتى النصف الثاني من القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى). فقد كان لا بد من مرور فترة من الزمن قبل قيام حركة هجرة جديدة[٣]. ففي النصف الثاني من القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) بدأت حركة من نجد باتجاه الشمال الشرقي، فخرجت قبيلة أسد نحو العراق، واستولت طيء على المواطن التي تركتها. وحوالي نهاية القرن الثالث الهجرى بدأت حركة القرامطة بالاتجاه نحو العراق والشام. وبسبب هذه الحركة خرجت عُقيل الى العراق، وطيء الى الاطراف الجنوبية من بلاد الشام[٤]. وتمكنت هذه القبائل من تأسيس امارات خاصة بها: فقامت امارة بني أسد في

---

(١) صالح العلي، التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية، ص ٣١—٣٥. وقد كان أهل البادية يأخذون العطاء في حالة اشتراكهم في الحرب. نفس المصدر، ص ٣٢.

(٢) الشيباني، شرح كتاب السير الكبير (القاهرة، ١٩٥٧) ج ١، صص ٩٤—٩٥، صالح العلي، التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية، ص ٢٨٥—٢٨٦ عن كتاب الجامع الكبير للشيباني، ص ٢٠٧—٢٠٩.

(٣) W. Caskel, "Al-'Arab", in EI^2, p.528

(٤) W. Caskel, "Al-'Arab", in EI^2, II, p.528.

الحلة وغربي الفرات ، وامارة عقيل في الجزيرة الفراتية (الموصل) مكان الامارة الحمدانية ، وامارة طيء في فلسطين والاردن . كما قامت امارات أخرى في بقية بلاد الشام والبادية ، كأمارة كلب في منطقة دمشق وامارة كلاب في حلب وما حولها[١] . ولكن نفوذ هذه الامارات لم يدم طويلا ، فقد اختفى معظمها خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجرى (القرن الحادى عشر الميلادى) نتيجة للغزو السلجوقي الذى تمكن من القضاء عليها والاستيلاء على معظم المناطق التي كانت تابعة لها[٢] .

وأصبح توزيع القبائل العربية ومناطق نفوذها في العراق والشام والبادية نتيجة للحركة الجديدة كالتالي:[٣] .

كانت تسكن بادية البصرة عدة أحياء وقبائل ، لكن أغلبها كان من تميم التي كان يمتد نفوذها الى البحرين واليمامة حيث تتصل بعبد قيس[٤] . وكان بنو أسد يحتلون المناطق الواقعة الى الشمال من البصرة وحتى حدود الجزيرة الفراتية[٥] ، وأغلبهم "أهل وبر"[٦] . أما منطقة الجزيرة فقد كان فيها من قبائل ربيعة ومضر، تغلب

---

(١) F. Krenkow, "Kilab" in EI[1], II, 1005.

(٢) لم يبق من هذه الامارات بعد الاحتلال السلجوقي سوى امارة أسد التي استمرت حتى منتصف القرن السادس الهجرى (الثاني عشر الميلادى) . أما امارة طيء في جنوبي فلسطين والاردن فقد خضعت معظم المناطق التي كانت تابعة لها للصليبيين، وما تبقى كان تحت النفوذ الفاطمي .

(٣) اعتمد في هذا التوزيع الجديد على مصادر من النصف الثاني من القرن الثالث الهجرى ككتاب البلدان لليعقوبي ، والنصف الاول من القرن الرابع الهجرى ككتاب صفة جزيرة العرب للهمداني .

(٤) صورة الارض، ص ٣٤، المسالك والممالك ، ص ٢٥ .

(٥) صورة الارض، ص ٢٢ .

(٦) ابن العديم ، كتاب في تاريخ حلب ، ج ٣ ورقه ٢٣٤١ . وكان في الحيرة نصارى من سليم وتميم وطيء ، اليعقوبي ، كتاب البلدان (ليدن ، ١٨٩١) ص ٣٠٩ . و "أهل الوبر" سكان بيوت الشعر .

واياد ونمير وعقيل وكلاب وهم أهل "مدر ووبر"(١) . وفي بادية الجزيرة كانت تسكن أحياء من ربيعة واليمن واكثرهم من كلب (٢) .

وقد تعددت القبائل التي كانت تسكن بلاد الشام وباديتها في القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، وبعض هذه القبائل كان أهل "مدر" وبعضها الآخر أهل "مدر ووبر"(٣) . فقد كان يسكن بادية السماوة — من دومة الجندل الى عين التمر — قبيلة كلب ، وفي بادية الشام قبائل فزارة ولخم وجذام وطيء ، وقبائل مختلطة من ربيعة ومضر، وأغلبها من اليمن (٤) . هذا في البادية ، أما المدن التي كانت واقعة على سيف البادية فقد استقر فيها او حولها الكثير من بطون القبائل، فمن القبائل التي استقرت في منطقة حلب ، أسد وكنانة وطيء وضبة وعبس وكلاب وسليح (٥) . وكان غالبية أهل حماة وحمص من أهل اليمن من بهراء وتنوخ وكلب وعذرة وكندة (٦) . أما منطقة دمشق فقد كان اهلها من قيس واليمن وربيعة . فمدينة دمشق كان يغلب على أهلها

---

(١) ابن العديم ، كتاب في تاريخ حلب ، ج ٣ الاوراق ٢٤٥ أ — ٢٥٤ ب ، المسالك والممالك ، ص ٥٤ ، صورة الارض، صص ٢٢٧—٢٢٨ ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب (القاهرة ، ١٩٥٣) ص ١٣٢—١٣٣ .

(٢) صورة الارض، ص ٣٤ ، المسالك والممالك ، ص ٢٥ .

(٣) ابن العديم ، كتاب في تاريخ حلب ، ج ٣ الاوراق ٢٤٥ ب — ٢٥٤ ب ، المسالك والممالك ، ص ٢٥ .

(٤) صورة الارض، ص ٣٥ ، المسالك والممالك ، صص ٢٥—٢٦ ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٩—١٣٢ .

(٥) ابن العديم ، كتاب في تاريخ حلب ، ج ٣ الاوراق ٢٣٥ ب — ٢٤٤ ب ، ٢٢٥ .

(٦) البلدان ، ص ٣٢٤ ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٣٢ ، ابن العديم، كتاب في تاريخ حلب ، ج ٣ ورقه ٢٥٦ أ .

اليمنية ، وبها من قيس وبني أمية [١] ، أما الغوطة ففيها كلب وغسان وقيس وربيعة . وفي حوران ، أسد وقيس من بنى مرة ، ما عدا السويداء التي كان بها قوم من كلب . وفي البثنية وأذرعات والبلقاء ، من اليمن ومن قيس وقليل من قريش . وفي كورة الجبال ومآب والشراة ، غسان وبلقين وموالي بنى هاشم واخلاط من الناس . وفي الجولان ، قيس ومرة وبعض أهل اليمن [٢] . وكان يسكن جند فلسطين أخلاط من العرب والعجم ومن لخم وجذام وعاملة وكندة وقيس وكنانة [٣] .

أما القبائل التي كانت تسكن على طريق الحاج العراقي وبعضا من هضبة نجد وشمالي الحجاز حتى حدود الشراة فقد كانت كثيرة ، واشهرها من الكوفة باتجاه نجد وشمالي الحجاز ما يلي : بنو أسد حتى البطان من محطات الطريق [٤] ، وطيء التي كانت مواطنها من وادى القرى في الحجاز حتى اطراف اليمامة والبحرين [٥] ، ثم عبس من قيس [٦] ، ثم بني سليم [٧] . والى الشمال الغربي من سليم كانت تقطن بعض

---

(١) البلدان ، ص ٣٢٦ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٣٢٦—٢٧ .

(٣) البلدان ، ص ٣٢٩ ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٩—١٣٠ .

(٤) البلدان ، ص ٣١٢ ، صورة الارض ، ص ٣٤ ، المسالك والممالك ، ص ٢٥ ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٣١ .

(٥) ذات المصادر والصفحات في الحاشية ٤ .

(٦) البلدان ، ص ٣١٢ .

(٧) صورة الارض ، ص ٣٤ ، المسالك والممالك ، ص ٢٥ ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٣١ .

بطون طيء [١]، ثم جذام التي امتدت منازلها الى مدين وأيلة ومعان واذرح والشراة [٢].

ومن وقت استيلاء السلاجقة على العراق والجزيرة وبلاد الشام في النصف الثاني من القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) تقل أخبار القبائل العربية في هذه المناطق . وكا ما نجده يكاد ينحصر في أخبار آل مزيد من بني أسد في العراق ، وآل ربيعة من بني طيء في الشام . أما ما عدا ذلك ، فان أخبار القبائل ، ان وجدت ، لا تتعدى الاشارة الى "الأعراب" او "العربان" الذين كانوا يشاركون جيوش السلاجقة والزنكيين والايوبيين في حروبهم الداخلية وحملاتهم ضد الصليبيين، او لانهم كانوا يعتدون على طرق الحجاج والقوافل التجارية [٣].

وفي بداية القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) بدأ ذكر القبائل العربية بالظهور في اخبار الحوادث من جديد ، وبشكل بارز، كما تدل على ذلك المصادر المعاصرة . ويبدو ان ذلك كان نتيجة لتزايد أهميتهم في أحداث هذه الفترة . وفي هذا الوقت بدأت المحاولات الاولى لتنظيم القبائل العربية وتحديد دورها الذى يمكن ان تلعبه في حياة البلاد ، وذلك باستحداث "امرة العرب" الرسمية [٤]. ويبدو أن

---

(١) بنو صخر وبنو عمر وبطن من بحتر. صفة جزيرة العرب، ص ١٣١—١٣٢.

(٢) صورة الارض ، ص ٣٤ المسالك والممالك ، ص ٢٥، صفة جزيرة العرب ، ص ١٣٠. ارجع الى الخارطة رقم ٣.

(٣) انظر مثلا: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ط. بيروت ، ١٩٦٥—١٩٦٧) ج ١٠، حيث تتردد كثيرا اخبار أسد وطيء والعرب في الحروب ، واعتداءاتهم على طرق الحجاج .

(٤) كانت امرة العرب ، شبه الرسمية ، لبني كلاب . واستمرت حتى اصبحت رسمية لطيء. ابن العديم ، كتاب في تاريخ حلب ، ج ٣ الورقه ٢٤٧ أ. وللتفاصيل ارجع الى الفصل الثالث .

هذه المحاولات الاولية كانت تهدف الى ربط القبائل بالجهاز الاداري للدولة من ناحية ، ومنعها من القيام بالاعتداء على طرق القوافل والحجاج من ناحية أخرى، وذلك بتعويضها عن ما كانت تكسبه بالنهب والسلب بالاقطاعات والهبات والهدايا (١) . وتبعت هذه التنظيمات محاولات أخرى كانت اوسع نطاقا، تلك التي قام بها السلطان الظاهر بيبرس (١٢٦٠م — ١٢٧٧م) في بداية فترة المماليك البحرية . فقد ثبّت امرة العرب على جميع القبائل في بلاد الشام والبادية آل فضل وآل مرا من بني ربيعة طيء، كما عين الامراء على جميع القبائل التي كانت تدخل في طاعة الدولة المملوكية واقطعهم الاقطاعات وعين لهم المهام التي يجب عليهم القيام بها من مراقبة للحدود ومحافظة على طرق المواصلات الى تزويد اسطبلات السلطان بما تحتاج اليه من خيول وجمال .

وارتبطت هذه التنظيمات الجديدة بالنفوذ الذى كانت تتمتع به القبائل . كما أن نفوذ القبائل كان له علاقة بالاماكن التي كانت تسكنها او تخضع لسيطرتها . وقد تغيرت مناطق سكنى ونفوذ القبائل عما كانت عليه في القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، واصبح لدينا في القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) صورة جديدة لمنازل العرب في البادية . ولم تكن حركة القبائل خلال هذه الفترة على شكل هجرات من الجزيرة العربية الى العراق والشام ، كما كان الأمر في السابق ، وانما ارتبطت بتقلص نفوذ بعض القبائل واتساع المناطق التي أصبحت تسيطر عليها فروع قبائل أخرى، وباندماج بعض القبائل التي كانت تسكن على اطراف البادية تدريجيا في حواضر وريف المناطق

---

(١) من الاشارات الاولى التي ترد عن اقطاعات امراء العراب لمنعهم من التعرض لقوافل الحجاج ، تلك التي ترد عن نور الدين محمود زنكي . ابن قاضي شهبة ، الجوهر الثمين في سيرة نور الدين (ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم Arabic-19.) ص ٩

المجاورة وانتقالها من حياة التنقل الى حياة الاستقرار لتحل مكانها بطون قبائل أخرى (١) . وقد قدّم ابن فضل الله العمرى صورة دقيقة ومعاصرة لمناطق سكنى ولنفوذ القبائل خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) . ويبدو من هذه الصورة أن فروع قبيلة طيء كانت صاحبة النفوذ على جميع بادية العرب الشمالية ، وأن ما كان للقبائل الأخرى من مواطن كان مجرد مناطق محدودة موزعة ضمن ديارها (٢) .

فقد كانت منطقة نفوذ آل فضل بن ربيعة من "حمص الى قلعة جعبر، آخذين على شقة الفرات واطراف العراق حتى ينتهي حدهم قبلة بشرق الى الوشم وآخذين يسارا الى البصرة" (٣) . ومنطقة آل على بن حديثة من ربيعة أيضا كانت تشمل مرج دمشق وغوطتها "ومنتهاهم الى الجوف والجنانية الى الشبكة الى تيماء ..." (٤) . أما آل مرا فقد كانت ديارهم من بلاد "الجولان الى الزرقاء والضليل الى بصرى ومشرقا الى الحرة المعروفة بحرة كشب قريب مكة ..." (٥) ثم شرقا حتى حدود ديار آل علي . هذا بالاضافة الى ديار فروع طيء الأخرى مثل غزية المتفرقة فروعها بالشام والحجاز والعراق

---

(١) العبر، ج ٢ ص ٦٢٠—٦٤٨، ٥٣٠، مسالك الابصار، (خط، طبقبوسراى) ج ٣ ص ٥٥—٥٦، حيث لخص بشكل موجز القبائل التي استقرت في ريف وحواضر بلاد الشام وخرجت عن حكم البادية (البدو) .

(٢) مسالك الأبصار، ج ٣ ص ٢٨—٥٥ .

(٣) مسالك الأبصار، ج ٣ ص ٢٨ .

(٤) المصدر ذاته، ص ٤٥ .

(٥) المصدر ذاته، ص ٤٦ .

وفيما بين الحجاز والعراق ، وشمّر ولام في منطقة الجبلين أجأ وسلمى ، وجرم في بلاد غزة والداروم (١) × .

بعد هذا الوصف الموجز لطبيعة الارض وحركة السكان في بادية العرب الشمالية سأحاول في الفصل التالي البحث في أصل الامارة الطائية التي بدأت تتكون اثناء حركة القبائل التي تمت في القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) .

---

(١) مسالك الابصار ، ج ٣ ص ٥١—٥٢، ٥٤، ٢٣، العبر ، ج ٢ ص ٥٣٠، ٦٣٠ — ٦٣١ .

× ارجع الى الخارطة رقم ٤ .

الفصل الثاني

جذور الامارة الطائية

لا بدّ ، قبل البحث عن أصول الامارة الطائية الاولى ، من اعطاء فكرة عامة عن الاوضاع السياسية للعالم الاسلامي ، خاصة العراق والجزيرة الفراتية وبلاد الشام ، خلال الفترة التي سبقت قيام هذه الامارة ، ليتمكن من وضعها في الاطار المناسب لها ، وحتى نستطيع معرفة الدور الذى لعبته في أحداث المنطقة التي امتد اليها نفوذها .

فمن بداية القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، وحتى قبل ذلك ، ساد الانقسام العالم الاسلامي ، وتعددت الدويلات التي نشأت فيه او تغلبت على اجزاء منه . وقد كانت هذه الدويلات تتمتع باستقلال ذاتي كبير مع أنها كانت تعترف بالسلطة الاسمية للخلافة العباسية عليها ، وتعلن خضوعها لهذه الخلافة بالخطبة للخلفاء والتقيد بشعائر الولاء الأخرى ، وربما كان ذلك لاكساب سلطتها شرعية في نظر عامة الناس . وقد رسم أحد المؤرخين [١] صورة دقيقة لأوضاع الخلافة العباسية والدويلات التي تكونت داخلها ، ضمن ذكره لأحداث سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م عندما قال :

" وصارت الدنيا في أيدى المتغلبين ، وصاروا ملوك الطوائف ، وكل من حصل في يده بلد ملكه ومنع ماله . . . فصارت واسط والبصرة والأهواز في يد البريديين ، وفارس والرى والجبل في يد أبي علي الحسن بن بويه ويد واشمكير يتنازعونها بينهما ، والموصل وديار ربيعة وديار بكر [٢] في أيدى بني حمدان ، ومصر والشام في يد

---

(١) لا يعرف المصدر الاول لهذه الملاحظة الدقيقة ، لكن يبدو ، كما ذكر آدم متز في الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى (ترجمة محمد عبد الهادى ابو ريده ، القاهرة ، ١٩٥٧) ج ١ ص ١ ، ان جميع المصادر أخذت عن مصدر واحد لتشابه الصيغ التي تورد ها .

(٢) ديار بيعة وديار بكر اجزاء من منطقة الجزيرة الفراتية .

طبخ الاخشيد ... واليمامة والبحرين وهجر في يد ابي طاهر بن ابي سعيد الجنابي ... ولم يبق في يد السلطان وابن مقلة غير السواد والعراق" (١) .

ولم يطرأ على هذا الوضع أي تحسن خلال الفترة التالية ، بل بالعكس ، ازداد سوءاً بظهور قوى جديدة على مسرح الأحداث ، والتي ادى ظهورها الى تغير الخريطة السياسية للمناطق التي تحيط ببادية العرب الشمالية (٢) .

ففي سنة ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م استولى الفاطميون على الاقسام الجنوبية من بلاد الشام من الاخشيديين ، ثم بدأ قائدهم على هذه الجبهة — جعفر بن فلاح — بالتقدم نحو دمشق للقضاء على بقية نفوذ الاخشيديين في بلاد الشام ، وعلى من كان يساندهم من القبائل خاصة بنو عقيل أصحاب حوران والبثنية (٣) . وعندما عرف القرامطة بهذا التقدم الفاطمي أسرعوا بالمجيء الى الشام "لان المال الذى كان تقرر على الاخشيدية لهم بسبب الخفارة ... انقطع لما زالت دولتهم وملك المغاربة" (٤) . وتمكن القرامطة من

---

(١) مسكويه ، تجارب الامم (القاهرة ، ١٩١٤م) ج ٥ ص ص ٣٦٦—٣٦٧؛ ابن الجوزى ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك (حيدر اباد الدكن ، ١٩٥٩م) ج ٦ ص ٢٢٨ . أما المصادر الاخرى التي اوردت هذه الملاحظة فقد ذكرها آدم متز في الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ، ج ١ ص١ حاشية ١ .

(٢) لبحث موجز ودقيق لأوضاع العالم الاسلامي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى ارجع الى :

The Damascus chronicle of the Crusades, London, 1932)pp.7-32, H.A.R. Gibb, "The Caliphate and the Arab States "in History of the Crusades (ed. K. Setton) Vol. I, pp. 81-98.

(٣) الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر : ٦ : الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية (القاهرة ، ١٩٦١) ص ١٢٣—١٢٦، حيث يبدو انه ينقل عن مصدر معاصر للاحداث

(٤) المصدر السابق ، ص ١٣٢ . ويذكر ان القرامطة "قد استقر امرهم أن يأخذوا الخفائر من سائر الاقاليم ومن خليفة بغداد" ، ص ١٣٢ . واورد ابن القلانسى (عن هلال الصابي) المبلغ الذى كان يدفعه الاخشيديون ، وهو (٣٠٠) الف دينار . ذيل تاريخ دمشق (بيروت ، ١٩١٩م) ص ١ .

الاستيلاء على دمشق وما يقع جنوبها من البلاد حتى وصلوا قريبا من القاهرة .

وفي الفترة ذاتها التي بدأت فيها حركة الفاطميين في بلاد الشام ، بدأ الروم في التحرك باتجاه الثغور الاسلامية ، وتمكنوا من الاستيلاء على عدد منها، وفرضوا أتاوات على الامراء المتولين عليها .

ولم تكن هذه القوى الوحيدة التي أثرت في المنطقة ، وغيرت اوضاعها السياسية ، وادت الى سيادة الفوضى فيها، وانما كان لاستعادة القبائل العربية لقوتها وتغلبها على معظم المناطق الواقعة على أطراف البادية ، وحتى بعض الحواضر ، اثر في هذا التغير وتلك الفوضى . وذلك انه بعد ضعف الخلافة العباسية ، وتسلط العناصر الاجنبية (الاتراك والبويهيين) عليها، وعدم تمكنها من مواجهة المتغلبين الذين استولوا على أطرافها، أخذت القبائل العربية بالسيطرة على المناطق القريبة من مراكز تجمعها وجعلتها جزءا من مناطق نفوذها . ونشأ نتيجة لذلك عدد من الامارات البدوية على أطراف العراق والجزيرة والشام[١] .

وقد كانت معظم القبائل التي كانت تسكن منطقة الجزيرة وبلاد الشام والبادية ، حتى منتصف القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، تخضع لنفوذ الحمدانيين أصحاب الموصل وحلب . فقد كانت قبائل عُقيل ونمير وكلاب/وطيء " كالرعايا لبني حمدان يؤدون اليهم الاتاوات وينفرون معهم في الحروب"[٢] . لكن ضعف دولة الحمدانيين ادى الى استقلال بعض هذه القبائل وانشائها امارات خاصة بها . وان نظرة الى المناطق التي

---

(١) يعتبر هـ . جب ، عن حق ، أن استعادة القبائل لقوتها ونشاطها كان من العوامل الرئيسية التي ادت الى الفوضى السياسية في بلاد الشام
History of the Crusades, Vol.I, pp. 82-83.

(٢) ابن خلدون ، العبر (بيروت ، ١٩٥٦: ١—١٩٥٩م) ج ٤ ص ٥٤٥ .

تغلبت عليها القبائل لكافية لاعطاء فكرة واضحة عن الاوضاع التي سادت العراق والجزيرة وبلاد الشام وما بينهما من البادية من النصف الثاني للقرن الرابع الهجرى وحتى مجيء السلاجقة :

سيطر بنو عامر وبنو خفاجة من عقيل على بادية البصرة ، واصبحوا مصدر قلق دائم للخلافة العباسية والمناطق المجاورة لهم خاصة طريق الحاج العراقي التي كانت تمر في مناطقهم (١) .

وانشأ بنو أسد امارة لهم في المنطقة الواقعة ما بين البصرة والكوفة ، الى الشرق والغرب من الفرات . واصبح لهذه الامارة ، برئاسة بنى مزيد ، دور بارز في الحياة السياسية للخلافة العباسية زمن البويهيين والسلاجقة (٢) .

واستولى بنو عقيل على أغلب الجزيرة الفراتية ، وامتد نفوذهم جنوبا حتى الكوفة وشمالا بغرب حتى حدود حلب التي كانت لا تزال بيد الحمدانيين (٣) . ولم ينازع عقيل منطقة الجزيرة سوى بنو مروان الاكراد الذين أسسوا امارة في ديار بكر (٤) ، وبنو نمير الذين كان لهم بعض القلاع والحصون في ديار مضر (٥) .

---

(١) العبر، ج ٢ ص ٦٤٨، محمد عبد المنعم خفاجي ، بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والادبي (القاهرة ، ١٩٥٠) ج ١ ص ٥٤—٥٥، ٦٢—٦٨، ٧٤—٧٦ .

(٢) المنتظم ، ج ٧ ص ٢٣٢ وما بعدها والعبر، ج ٤ ص ٥٩٠—٦٢٥ ،
G. Makdisi, "Notes on Hilla and the Mazyadids in Medieval Islam" Journal of the American Oriental Society, Vol. 74 (1954), pp.249-267

(٣) العبر، ج ٤ ص ٥٤٥ — ٥٦٠

(٤) الفارقي ، تاريخ ميا فارقين (القاهرة ، ١٩٥٦) ص ٤٩ وما بعدها، العبر، ج ٤ ص ٦٧٤ وما بعدها .

(٥) تاريخ يحيى بن سعيد ، ج ٢ ص ٢٦٥، وديار مضر جزء من الجزيرة الفراتية .

وأما بلاد الشام وباديتها فقد كانت تسيطر عليها القبائل ايضا . فقامت امارة بني كلاب على أنقاض الامارة الحمدانية في حلب ، واصبحت هذه القبيلة من أشهر قبائل شمالي بلاد الشام زمن الزنكيين والايوبيين (١) . واستعادت كلب بعض النفوذ الذى كان لها في السابق في منطقة دمشق ، لكن ذلك كان لفترة قصيرة من الزمن . وسيطر على القسم الجنوبي من جند فلسطين (الاقسام الجنوبية من فلسطين وشرقي الاردن) قبيلة طيء التي أصبحت ذات شأن كبير في احداث المنطقة بعد ذلك . وأصبحت اهميتها تشبه أهمية قبيلة كلب زمن الامويين ، وبنو حمدان أيام قوتهم .

في هذه الظروف السياسية نشأت الامارة الطائية التي سأحاول في ما يلي تتبع نموها وعلاقاتها مع القوى المختلفة في المنطقة خلال القرن الاول من وجودها .

الامارة الطائية الاولى (٢) (٣٦٠هـ/ ٩٧١م — ٤٣٠هـ/ ١٠٣٩م)

لعل حركة القرامطة كانت من أهم القوى التي لها علاقة مباشرة بحركة القبائل العربية اثناء القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) . فقد شاركت قبائل شرقي الجزيرة ونجد وبادية الشام في حروب القرامطة منذ نهاية القرن الثالث الهجرى (التاسع

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ، ص ٧٢، تاريخ يحيى بن سعيد ، ج ٢ ص ٢٤٤—٢٤٦ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ص ٢٢٧—٢٣٠

(٢) يقصد بـ "الامارة الطائية" في ما تقدم وما سيلي من هذه الدراسة وحتى قيام الامارة الرسمية ، ما كان لفروع طيء في جنوبي بلاد الشام من نفوذ ، سواء أكان ذلك عن طريق التغلب وموافقة السلطة المركزية في القاهرة او دمشق او التغلب دون موافقة سلطة ما ، وسواء أكان لهذه الامارة مركز احيانا (كالرملة) او بدونها احيانا أخرى . وقد كانت على الاغلب امارة قبلية بدوية لم تحض بموافقة سلطة معينة . اما لقب "الامير" في فترة الامارة الاولى فلم يكن لصفة رسمية كما اصبح الامر بعد قيام الامارة الرسمية .

الميلادى) . وكانت مشاركة بعض هذه القبائل نتيجة لاعتناقها مذهب القرامطة مثل بعض بطون كلب ، ووجد البعض الآخر من هذه القبائل من هذه المشاركة مجالا لتحقيق مكاسب مادية . ومن هذا النوع الثاني كانت قبيلة طيء[١] ، التي ساهمت مساهمة فعالة في حروب القرامطة خاصة في بداية النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) . فقد كان آل الجراح ومن معهم من طيء يشكلون جزءا هاما من جيش القرامطة ، والذى كان عليه اعتمادهم[٢] .

وهذه المشاركة من جانب طيء هي التي ادت الى قيام الامارة الطائية الاولى[٣] . فعندما استولى القرامطة سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧١م على الرملة عينوا فيها قائدا منهم ومعه " دغفل بن الجراح الطائي وجماعة من الاخشيدية والكافورية"[٤] . ومنذ ذلك التاريخ ، ارتبطت أحداث الاقسام الجنوبية من بلاد الشام ، ولمدة تزيد على قرن من الزمان ، بآل الجراح امراء طيء الشام .

وأدى قيام الامارة الطائية وتغلبها على معظم جند فلسطين الى قيام علاقات بينها وبين القوى التي كان لها أثر في احداث بلاد الشام خلال القرن التالي :

---

(١) لا ترد اشارات في المصادر المعاصرة عن اعتناق طيء او بعضا منها لمذهب القرامطة .

(٢) ذيل تاريخ دمشق ، ص٣، الدرة المضية ، ص١٥٩

(٣) مع أن المصادر تشير الى وجود قبيلة طيء في بلاد الشام الجنوبية قبل هذا الزمن ، الا انه لا علاقة بين هؤلاء وبين آل الجراح الذين قدموا من نجد ، ذلك انهم — آل الجراح — عندما كانوا يهزمون في حروبهم كانوا يعودون الى برية نجد والجبلين . العبر، ج ٢ ص ٥٨٨

(٤) ذيل تاريخ دمشق ، ص٢ .

الفاطميون والقبائل العربية الاخرى -عقيل وكلب وكلاب - والروم .

سيطر آل الجراح على منطقة هامة بالنسبة للدولة الفاطمية . فقد كانت المناطق الجنوبية من فلسطين وشرقي الاردن نقطة الاتصال البرى بين ممتلكاتها في افريقيا، والمناطق التي استولت عليها في آسيا، والتي كانت تطمع الدولة الفاطمية في الاستيلاء عليها . يضاف الى ذلك أن الطرق التجارية وطرق الحجاج المصرى والشامي كانت لا بد وأن تمر بها . وكان متوقعا، والحالة هذه، أن يكون للدولة الفاطمية سياسة واضحة تجاه طيء وغيرها من القبائل ، لكن يبدو أن الظروف التي رافقت استيلاء الفاطميين على الشام والفوضى المستمرة فيه لم تكنهم من اتباع منهج واضح في سياستهم . ومع ذلك يمكننا، عن طريق تتبع العلاقات بين الجانبين، استنتاج اتجاهين أساسيين كانت تستند اليهما الدولة الفاطمية في تعاملها مع آل الجراح من طيء : الاول هو العمل على الاحتفاظ بولاء وصداقة [1] هذه القبيلة لتساعد الدولة الفاطمية في تثبيت سلطتها في الشام وفي حروبها ضد القوى التي كانت تنافسها او تهددها، خاصة وان طيء كانت تشكل القوة الرئيسية غير النظامية في جيش الفاطميين في بلاد الشام [2] . والثاني ، والناتج عن عدم تقيد امراء طيء باصول العلاقات بين التابع والمتبوع ، هو عمل الدولة الفاطمية المستمر للقضاء على هذه الامارة المزعجة ، او على الاقل منعها من أن تصبح

---

(١) تظهر هذه السياسة واضحة من نص كتاب بعث به انوشتكين الدزبرى للخليفة في مصر سنة ٤٢٠ هـ اذ قال فيه من ضمن شكواه على آل الجراح ، انهم الذين كانت قد "اصطنعتهم" الدولة . ذيل تاريخ دمشق ، ص ٧٣-٧٥، حاشية ١ .

(٢) H.A.R. Gibb, "The Caliphate and the Arab States", History of the Crusades, Vol. I, p. 89.

قوة ذات شأن قد تهدد وجود الفاطميين في بلاد الشام (١) .

عرف الفاطميون كيف يجتذبون ولاء امراء طيء في الاوقات الحرجة ، وذلك بالسخاء بالمال والهبات والاقطاعات لامرائهم (٢) . والامثلة التي قدمت فيها طيء المساعدة لهم كثيرة . ففي سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧١—٩٧٢ م تمكن الفاطميون من افساد آل الجراح ومن معهم من طيء على أصحابهم القرامطة ، ليتخلوا عنهم أثناء المعركة مقابل دفع مئة الف دينار لهم، مما ادى الى هزيمة القرامطة (٣) . ومثل ذلك ما عملوه مع الفتكين ، اذ تخلوا عنه ثم اسروه وارسلوه الى الخليفة الفاطمي مقابل مبلغ مماثل من المال — والفتكين هو القائد التركي الذى هرب من بغداد (سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧١—٩٧٢م) وقدم الى الشام ثم اصبح واليا لدمشق بموافقة أهلها (٤) — اذ تخلوا عنه في اثناء حربه مع الفاطميين ثم اسروه وارسلوه الى الخليفة الفاطمي مقابل مبلغ مماثل من المال (٥) . واستعين بآل الجراح مرة أخرى لاخراج أحياء بني عقيل من الشام، وأدى ذلك الى اصطدامهم مع

---

(١) لقد عبر الوزير يعقوب بن كلس عن هذه السياسة في وصيته للخليفة العزيز بالله بقوله " سالم يا امير المؤمنين الروم ما سالموك ، واقنع من الحمدانية بالسكة والدعوة ، ولا تبق على المفرج بن دغفل بن الجراح متى عرضت لك فيه فرصة ". الروذراوى ، ذيل تجارب الامم (القاهرة ، ١٩١٦م) ج ٣ ص ١٨٥، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٢، ابن الصيرفي ، الاشارة الى من نال الوزارة (القاهرة ، ١٩١٩م) ، ص ٢٣، ابن خلكان ، وفيات الاعيان (القاهرة ، ١٣٦٧هـ) ج ٦ ص ٣١ .

(٢) يفهم من ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، (البصرة ، ١٩٦٧م) ج ٤ قسم ١ ص ١٤٨ انه كان للاعراب اقطاعات زمن الفاطميين .

(٣) ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣ ، الكامل ، ج ٨ ص ٦٣٨—٣٩، والدارى .

(٤) ذيل تاريخ دمشق ، ص ١١—١٢ .

(٥) تاريخ يحيى بن سعيد (باريس، ١٩٣٢م) ص ١٨١—١٨٣ ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٢—٢٠ ، الكامل، ج ٨ ص ٦٦٠—٦٦١، الدرة المضيئة ، ص ١٧٩—١٨٨ .

أبي تغلب بن حمدان (١) الذى كان يطمع في الاستيلاء على دمشق — بموافقة الفاطميين — من قسّام (٢) المتغلب على المدينة . فقد لجأ ابن حمدان الى بني عقيل الذين حاربوا آل الجراح . وفي المعركة التي كانت بين الجانبين انهزمت عقيل امام آل الجراح وقتل ابو تغلب (٣) .

ولم تكن تلك هي الحالات الوحيدة التي ساعدت فيها امارة طيء الدولة الفاطمية في اوقات الشدة ، بل استمر ذلك التأييد طوال الفترة الاولى لهذه الامارة . ففي سنة ٣٨١هـ (٩٩١م) وما بعدها ، أيدت طيء وغيرها من القبائل منجوتكين (٤) التركي ضد المصريين ، لكنها تخلت عنه اثناء احدى المعارك مما ادى الى هزيمته واسره (٥) . كما استعان الخليفة الفاطمي الحاكم (٣٨٦هـ/ ٩٩٦م — ٤١١هـ/ ١٠٢١م) بامراء آل الجراح ومن معهم من العرب للقضاء على فتنة قامت بها قبائل

---

(١) أحد بني حمدان الذى هرب من العراق بعد الفتنة في بغداد بين الديالمة والعرب من بني حمدان ، وسار الى الشام ، وأقام خارج دمشق التي كان فيها قسّام . ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢١—٢٢ .

(٢) أحد الاشخاص الذين قربهم الفتكين التركي وقت توليه ولاية دمشق ، وبعد اسر الفتكين استولى قسّام على البلد (دمشق) . ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢١ .

(٣) مسكويه ، تجارب الامم (القاهرة ، ١٩١٤م) ج ٦ ص ص ٤٠١—٤٠٣ ، تاريخ يحيى بن سعيد ، ص ص ١٩٤—١٩٦ ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢١—٢٣ ، الكامل ، ج ٨ ص ٧٠٠ ، وفيات الاعيان ، ج ٢ ص ٣٨٨—٣٨٩ ، الدرة المضيئة ، ص ١٩٣—١٩٥ .

(٤) أحد "غلمان" الخليفة العزيز الفاطمي (٣٦٥هـ/ ٩٧٥م—٣٨٦هـ—٩٩٦م) . وقد ولاه العزيز دمشق . وبعد وفاة العزيز تآمر على الخليفة الحاكم . . (٣٨٦هـ/ ٩٩٦م — ٤١١هـ/ ١٠٢١م) . ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٠—٤١ ذيل تجارب الامم ، ج ٣ ص ٢٢٣ وما بعدها .

(٥) ذيل تجارب الامم ، ج ٣ ص ٢٢٣ ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٦—٤٧ ، ابن ميسر ، أخبار مصر (القاهرة ، ١٩١٩م) ج ٢ ص ٤٨—٤٩ .

برقـة [١] . أما المناسبة الهامة التي كان لامراء طيء دور بارز في تأييد الفاطميين فقد كانت تخليهم عن الحسن بن جعفر العلوى الذى نصبوه خليفة بالرملة سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢م) ، وذلك بعد خروجهم عن طاعة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله . وقد أقلق هذا الامر الخليفة الفاطمي ، فعمل بكل ما لديه من وسائل لدفعهم للتخلي عنه حتى تم له ذلك .

ومن الناحية الاخرى نرى أن الدولة الفاطمية بدأت تعمل للقضاء على الامارة الطائية من السنين الاولى لقيامها ، وذلك بسبب الثورات المستمرة التي كان يقوم بها آل الجراح امراؤها ، والتي كانت تصل احيانا الى درجة لا تهدد فقط وجود الفاطميين في الشام ، بل وفي مصر ايضا . فقد تتابعت الحملات التي ارسلها خلفاء مصر والتي كان هدفها الرئيسي القضاء على آل الجراح وفسادهم في البلاد [٢] . ففي السنوات ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م و ٣٧٠—٣٧١هـ/ ٩٨٠—٩٨١م و ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م و ٤٠٤هـ/ ١٠١٣—١٠١٤م و ٤١٩—٤٢٠هـ/ ١٠٢٨—١٠٢٩م ارسلت حملات من مصر وبلاد الشام لمحاربة قبيلة طيء [٣] . وقد نجحت معظم هذه الحملات في تحقيق اهدافها في ابعاد هذه

---

(١) وبرقة صقع كبير بين الاسكندرية وافريقية ، واسم مدينتها انطابلس او طرابلس . معجم البلدان ، ج ١ ص ٣٨٨

(٢) تجارب الامم ، ج ٦ ص ٤٠٣ ، تاريخ يحيى بن سعيد ، ج ٢ ص ١٩٥—٢٠٣ ، ٢٩٣—٢٩٦ ، ٢٤٤ ، ٢٥٣ ، ذيل تجارب الامم ، ج ٣ ص ٢٣٥ .

(٣) تاريخ يحيى بن سعيد (ط. باريس ، ١٩٣٢م) ص ١٩٦—٢٠٤ ، وطبعة بيروت (١٩٠٩م) ج ٢ ص ١٦٣ ، ١٩٦ — ٢٠٤ ، ٢٥٣ — ٢٥٤ ، ٢٦٧—٢٦٩ ، تجارب الامم ، ج ٦ ص ٤٠٣ ، ذيل تجارب الامم ، ج ٣ ص ٢٣٤—٢٣٥ ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٢ — ٢٥ ، ٥١ ، ٧٣ ، أخبار مصر ، ج ٢ ص ٥٠—٥٥ ، الكامل ، ج ٨ ص ٧٠٠ ، ج ٩ ص ٧—٦ ، ٢٠-١—١٢٣ ، ٢٣٠—٢٣١ ، ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب (دمشق ، ١٩٥١—١٩٦٨م) ج ١ ص ٢٣١—٢٣٢ .

القبيلة التي كانت تلجأ دائما، بعد كل هزيمة ، الى البرية فترة من الزمن يقوم امراؤها خلالها باسترضاء الخلفاء في القاهرة بمختلف الاساليب من هدايا وشفاعات ووعود بعدم الخروج عن الطاعة من جديد (١) .

وقام امراء طيء ، كرد فعل لسياسة الفاطميين العدائية نحوهم، بمحاولات كانت تهدف الى القضاء على نفوذ الخلافة الفاطمية في بلاد الشام وحتى في مصر. فلدينا معلومات عن قيام الأمير مفرج بن دغفل بن الجراح وابنه حسّان بمحاولتين كانتا تهدفان الى التأثير على مركز ونفوذ الخلافة الفاطمية في بلاد الشام ومصر: الاولى اقامة خلافة علوية في الرملة ، والثانية ارسال كتب الى امراء بني قرة في مصر لدفعهم للقيام بثورة على الخليفة الفاطمي . يضاف الى ذلك أن آل الجراح كانوا أحد الاطراف المشاركة في الحلف القبلي الذى ابرمه امراء القبائل في بلاد الشام، والذى وزعوا البلاد بموجبه مناطق نفوذ بينهم .

ففي حدود سنة ٤٠١—٤٠٢هـ (١٠١٠—١٠١١م) هرب أبو القاسم الحسين ابن علي المغربي من مصر خوفا من الخليفة الحاكم، والتجأ الى حسان بن المفرج بن دغفل أمير طيء الذى كان قد تغلب في ذلك الوقت على بلاد الشام الجنوبية ، واستولى على مدينة الرملة (٢) . وأصبح ابو القاسم هذا مستشارا لآل الجراح ، وأخذ من بداية

---

(١) نفس المصادر في حاشية ٢ ، ٣ من الصفحة السابقة، وفيات الاعيان ، ج ٣ ص ٨٤ .

(٢) ذيل تجارب الامم ، ج ٣ ص ٢٣٣، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٦٢—٦٤ حاشية ١ نقلا تاريخ الاسلام للذهبي ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق (دمشق ، ١٣٢٩ — ١٣٣٢هـ) ج ٤ ص ٣٠٩ ، وفيات الاعيان (ط . بولاق ، ١٢٩٩ هـ) ج ١ ص ٤٣٠ .

لجوئه اليهم – ولاسباب شخصية [١] – بتحريضهم على الفاطميين ، ووصل تحريضه الى درجة أن شجعهم على خلع طاعة الخليفة الفاطمي وتعيين امير مكة خليفة "فانه لا يغمز ولا يطعن في نسبه"[٢] . وهكذا كان . فقد ذهب ابو القاسم الحسين بن على الوزير المغربي ، الى مكة وبايع ابو الفرج الحسن بن جعفر العلوى خليفة ، وبايعه بنو حسن هناك ، ثم قدم في صفر من سنة ٤٠٣ هـ (آب ، ١٠١٢م) الى الرملة ونزل بدار الامارة "وركب في يوم الجمعة والمفرج واولاده وسائر امراء طيء مشاة بين يديه حتى دخل المسجد"[٣] ، وهناك تمت له البيعة [٤] وسمي أمير المؤمنين ، ولقب الراشد لدين الله ، وضربت السكة باسمه[٥] . وقد اقلق هذا الامر الخليفة الحاكم

---

(١) لان الخليفة الحاكم نقم على عائلته وقتل وشرد افرادها . ارجع الى مصادر الحاشية رقم ٣ في الصفحة السابقة .

(٢) ذيل تجارب الامم ، ج ٣ ص ٢٣٦

(٣) ذيل تجارب الامم ، ج ٣ ص ٢٣٦، تاريخ يحيى بن سعيد (ط. باريس) ص ٢٩٦، ذيل تاريخ دمشق ،ص ٦٤ حاشية (١) نقلا عن تاريخ الاسلام للذهبي .

(٤) ذيل تجارب الامم ، ج ٣ ص ٢٣٦، وقد قرأ الخليفة خطبة هذا بعض ما اورده صاحب ذيل تجارب الامم منها :
"بسم الله الرحمن الرحيم : طسم تلك آيات الكتاب المبين ، نتلو عليك نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحي نساءهم، انه كان من المفسدين ، ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الأرض، ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون" .
ص ٢٣٦–٢٣٧ . الآيات ١–٤ من سورة القصص .

(٥) ذيل تجارب الامم ، ج ٣ ص ٢٣٦–٢٣٧، تاريخ يحيى بن سعيد (ط. باريس) ص ٢٩٦ .

كثيرا، فبذل الأموال والاقطاعات الى حسان بن المفرج ليقنع والده بالتخلي عن الخليفة الجديد. واضطر الامير مفرج، تحت ضغط اولاده خاصة حسان، الى التخلي عن امير مكه لكن بعد أن استنفذ العرب جميع الاموال التي كان قد احضرها معه(١). عند ذلك أعيد الراشد لدين الله الى بلاده حيث عاد الى طاعة خليفة الفاطميين بعد ان اعتذر عما كان منه(٢). وفي الوقت ذاته، ارسل حسان الى الخليفة في مصر يسأله تنفيذ ما وعده به فأجابه بالموافقة عليها جميعا من "اقطاع وتقرير وامضاء، وكتب له أمانا بخطيده(٣). لكن الحاكم نكث بالوعود التي قطعها على نفسه. ونتج عن ذلك ثورة طيء من جديد، وتغلبها على البلاد، ومصادرتها للناس، مما ادى الى هروب الكثير من النصارى المقيمين بالشام الى بلاد الروم - انطاكية - وقطنوها(٤). وقد استمرت سيطرة طيء هذه المرة مدة سنتين وخمسة شهور حتى ارسل الفاطميون جيشا كبيرا لمحاربتهم(٥). وعندما سمع امراء طيء بمقدم ذلك الجيش هربوا الى البرية

---

(١) تاريخ يحيى بن سعيد (ط. باريس) ص٢٩٨، ذيل تجارب الامم، ج ٣ ص٢٣٦-٣٧، ذيل تاريخ دمشق، ص٦٤ حاشية (١) نقلا عن الذهبي.

(٢) تاريخ يحيى بن سعيد، (ط. باريس) ص٢٩٦، تاريخ دمشق، ج ٤ ص٤٣١، ياقوت، معجم الادباء، (ط. مرجوليوث) ج ٤ ص٦٠، وفيات الاعيان، ج ١ ص٢٣١.

(٣) ذيل تجارب الامم، ج ٣ ص٢٣٨

(٤) تاريخ يحيى بن سعيد، ج ٢ ص٣١٢، وعنه ينقل كرد على في خطط الشام، ج ١ ص٢٤٦.

(٥) ذيل تجارب الامم، ج ٣ ص٢٣٨-٢٣٩، تاريخ يحيى بن سعيد، ج ٢ ص٣١٢. وفي اثناء ذلك مات المفرج بن دغفل ويقال أن كاتبه سمه.

وبدأوا توسلاتهم الى الخليفة حتى تم الاتفاق معه على عودتهم الى اراضيهم مقابل امتناعهم عن القيام بفساد في البلاد (١) .

استمرت الهدنة بين الجانبين، بعد ذلك ، حتى نهاية فترة حكم الخليفة الحاكم، ثم بدأت الحركات ضد الخلفاء تتوالى . ففي سنة ٤١٦ هـ (١٠٢٥م) حاول حسان بن المفرج اثارة القبائل العربية في مصر ضد الفاطميين، فأرسل خطيب الرملة علي بن محمد التهامي الى مصر حاملا عددا من الرسائل الى امراء بني قرة يدعوهم فيها للثورة . وقد فشلت هذه المحاولة اذ امسك الفاطميون الشاعر التهامي وسجنوه ثم قتلوه سرا (٢) . ومما يؤكد هذه الحادثة ، رغم غموض ما ثعرفه عنها، أنها جاءت في الوقت الذى تم فيه اتفاق القبائل العربية بالشام على اقتسام البلاد مناطق نفوذ فيما بينها (٣) . هذا الاتفاق الذى عرف بالحلف القبلي التي امتدت فترته بين ٤١٠هـ/ ١٠١٩م - ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م .

ففي بداية خلافة الظاهر (٤١١هـ/ ١٠٢١م) عقد امراء أهم ثلاثة قبائل في بلاد الشام - كلب وكلاب وطيء - حلفا هدف الى تقسيم بلاد الشام مناطق نفوذ بينهم .

---

(١) تاريخ يحيى بن سعيد ، ج ٢ ص ٣١٢، ذيل تجارب الامم، ج ٣ ص ٢٣٩ . وقد هرب بطرك القدس الذى كان قد عينه حسان في منصبه، وذلك عند تركهم البلاد .

(٢) انظر عن هذه المحاولة : ديوان علي التهامي (ط ٢ ، دمشق ، ١٩٦٤م) ، الثعالبي، تتمة اليتيمة ، (طهران ، ١٣٥٣ هـ) ص ٣٣٧-٦٤، معجم البلدان ج ٣ ص ٧٠، وفيات الاعيان ، ج ٣ ص ٦٢ ، ابو الفداء ، المختصر في أخبار البشر (القاهرة ، ١٣٢٥ هـ) ج ٢ ص ١٥٥-١٥٦، ابن كثير، البداية والنهاية (القاهرة ، ١٣٤٨-١٣٥٨هـ) ج ١٢ ص ٥٥ .

(٣) يبدو أن سبب فتنة حسان بن المفرج هذه المرة كانت بسبب علي ابن ابي الضيف الذى كان يطمع في ولاية الرملة ، اذ كتب الى حسان "بأن يعبث في الشام ويفسد لتدعو الضرورة الى سيرة [ابن الضيف] "لكن الكتب وقعت في يد "السيدة "عمة الظاهر، فقتل ابن الضيف بسبب ذلك . كما حاول الظاهر سم حسان لكنه "انكشف له [اى حسان] ذلك واستوحش، وعادة الحال بينه وبين الظاهر الى فساد، وجدد اليمين والموافقة من سنان وصالح ..." تاريخ يحيى بن سعيد، ج ٢ ص ٢٤٥ حاشية (١) . وفتح حسان الرملة في رجب سنة ٤١٥هـ (ايلول ١٠٢٤م) المصدر ذاته ، ص ٢٤٤ ، ٣٦١ .

وكان توزيع هذه المناطق على الشكل التالي: أن تكون فلسطين وما "برسمها" لحسان بن الجراح، ودمشق "وما ينسب" اليها لسنان بن عليان الكلبي وعشيرته، وحلب وما يتبعها لصالح بن مرداس وبني كلاب(١). ولم يكتفوا بذلك، بل حاولوا الحصول على تأييد لهذا الاتفاق من قوة كان لها اثرها البارز في المنطقة الشمالية من البلاد في ذلك الوقت، فاتصلوا بملك الروم باسيل الثاني (٩٧٦م — ١٠٢٥م) طالبين منه مساعدتهم بالجند في حالة قيام الفاطميين بمحاولة للقضاء على الحلف. لكن ملك الروم، الذى كان على علاقة ودية مع الفاطميين في ذلك الوقت، لم يوافقهم على ذلك(٢)، عندها تركوا فكرة الحلف مؤقتا. ثم جددوا الحلف، وقاموا بمحاولة لتحقيق اهدافهم، فاستولى صالح بن مرداس على حلب وبعض المناطق التابعة لها، وحارب حسان بن المفرج انوشتكين الدزبرى، الوالي الذى عينه الفاطميون على فلسطين، وحاصر سنان بن عليان دمشق وأخرب ما حولها(٣). وادت هذه الفتن الى الفوضى في البلاد، واستمرت حتى سنة ٤١٩ هـ (١٠٢٨م) ففي هذه السنة توفي أمير بني كلاب فتولى الامرة مكانه أمير كان الخليفة الظاهر قد استماله الى جانبه. فانضم هذا الامير الى الجيش الفاطمي بالشام الذى كان يقوده انوشتكين الدزبرى. وتمكن هذا الجيش من هزيمة قوات كلاب

---

(١) تاريخ يحيى بن سعيد، ج ٢ ص ٢٤٤—٢٤٥، وملخص عند ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١ ص ٢٢٣—٢٢٤

(٢) تاريخ يحيى بن سعيد، ج ٢ ص ٢٤٥، ويذكر ان الملك باسيل الثاني اعتبر امراء العرب "خوارج على من ينتسبون اليه".

(٣) المصدر ذاته، ص ٢٤٥ — ٢٤٦.

وطي" مجتمعة في معركة الاقحوانه في ربيع الآخر سنة ٤٢٠هـ (نيسان ١٠٢٩م) ، وقتل صالح بن مرداس امير كلاب ، وانهزم حسان ومن معه من العرب ، وقضي على الحلف القبلي (١) ، وتثبت سلطان الفاطميين ، للمرة الاولى ، في دمشق والمناطق الجنوبية من بلاد الشام .

وهرب آل الجراح ، بعد هزيمتهم، الى البادية ، ثم الى بلاد الروم . ولم تكن هذه هي المرة الاولى التي يلجأ فيها امراء آل الجراح الى ملوك الروم من أجل المساعدة ضد الفاطميين . ففي سنة ٣٧١ هـ (٩٨١م) التجأ المفرج بن دغفل، بعد هزيمته ، الى بكجور — الذى كان واليا للحمدانيين على حمص — ثم انتقل من هناك الى انطاكية واشترك مع صاحبها في محاربة الحمدانيين (٢) . لكنه، كالعادة ، تمكن من مصالحة الفاطميين فعاد الى بلاده . ويبدو أنه استمر على الاتصال بملك الروم بعد عودته . وتبع حسان نفس الطريق الذى اتبعها والده المفرج ، فبعد هزيمته على الاقحوانه، اتصل بملك الروم وشجعه على غزو بلاد الشام وانه "يبذل له الخدمة في غزاته والمسير بين يدى جيوشه بعشيرته واصحابه الى حيث اتجه" (٣) ، ووافق ذلك فترة سوء العلاقات بين الفاطميين والروم، فكتب ملك الروم الى امير طي" " يشد ازره والتمسك بالعهد " ، وطلب

---

(١) انظر عن هذا الحلف تاريخ يحي بن سعيد ، ج ٢ ص ٢٤٥، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٧٣، الاشارة الى من نال الوزارة ، ص ٣٦—٣٧، زبدة الحلب، ج ١ ص ٢٣١—٣٢، الكامل ، ج ٩ ص ٢٣٠—٢٣١، المختصر، ج ٢ ص ١٤١—١٥٧

(٢) تاريخ يحي بن سعيد ، ج ٢ ص ٢٠٤، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٥—٣٠ ، الكامل ، ج ٩ ص ٤٢٠ .

(٣) تاريخ يحي بن سعيد ، ج ٢ ص ٢٥٤—٢٥٥ .

اليه القرب من بلد الروم، فسار [حسان] في جميع اهله وعشيرته بجميع حللهم ومواشيهم وبيوتهم"، وسار معه رافع بن ابي الليل من امراء بني كلاب(١) . ووصل الجميع الى بلاد حلب وانطاكية في زهاء نيف وعشرين الف انسان(٢) . واحسن اليهم الملك باسيل احسانا كثيرا حتى انه جعل علان بن حسان الطائي "بطريقا"(٣)، واشتركوا مع الروم في الاستيلاء على رفنية سنة ٤٢٢هـ (١٠٣١م) وفي حصار أفامية(٤) . واستمر آل الجراح مقيمين في بلد انطاكية الى ما بعد عقد الصلح بين الفاطميين والروم.

وفي المفاوضات التي سبقت عقد هذا الصلح ، تشدد ملك الروم على اعتبار قضية حسان وآل الجراح احدى النقاط التي ينبغي ان تدرج ضمن شروط الصلح ، الا ان الخليفة الظاهر رفض قبول ذلك(٥) .

ولم يعد آل الجراح الى بلادهم الا بعد موت الدزبرى سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١-

---

(١) المصدر ذاته، ص ٢٦١

(٢) تاريخ يحي بن سعيد، ج ٢ ص ٢٦١ .

(٣) المصدر ذاته، ص ٢٦٢، ٢٦٧، الكامل، ج ٩ ص ٤٢٠، وكلمة "البطريق" معربة عن "Patricius" اللاتينية، وهي لقب من القاب الشرف لا ارتباط له بمنصب رسمي . ارجع الى EI², I, pp. 1249-1250.

(٤) تاريخ يحي بن سعيد، ج ٢ ص ٢٦٢، الكامل، ج ٩ ص ٤٢٠، المختصر،

(٥) تاريخ يحي بن سعيد، ج ٢ ص ٢٦٦-٢٧١ . وقد ذكر قصد حسان بن الجراح لملك الروم وتطارحه عليه وسؤاله اياه بخدمة "والتمس [الملك باسيل] من الظاهر أن يعيده [حسان] الى بلده واقطاعاته القديمة التي كانت له أيام الحاكم دون ما سواها مما استزاده واغتصبه في أيامه ان رأى ذلك، ويشترط عليه حسن الطاعة ولزوم الطرائق الحميدة، ومتى عاد الى ما عهد منه من الفساد في بلاده او التخطى الى ما يكره، كانا جميعا حربا له". ص ٢٧١ .

١٠٤٢م) القائد الذى حكم معظم الشام مدة ثلاثة عشر سنة متوالية . وبعد وفاته فسد امر الشام وزال النظام وطمعت العرب وخرجوا، فخرج صاحب الرحبة وملك حلب ، وعاد حسان بن مفرج الطائي واستولى على فلسطين.(١)

وانتهت فترة قوة الامارة الطائية الاولى بوفاة الامير حسان بن المفرج (٢) ، لكن هذا لا يعني نهاية دور بطون قبيلة طيء في بلاد الشام(٣) . ومع أن اسم هذا الفرع لم يعد يتردد الا قليلا في أخبار الحوادث ، الا انه كان لا يزال لهم بعض الاثر على المستوى المحلي وفي علاقاتهم مع امراء دمشق وخلفاء الفاطميين، واستمروا يقومون بنفس الدور الذى كانوا يقومون به في السابق ، لكن على نطاق ضيق . وان عرضا مجملا لاخبارهم بين ٤٤٠ هـ - ٥٠٠هـ/ ١٠٤٨م - ١١٠٦م) لكاف لاعطاء فكرة عن هذا الدور.

في سنة ٤٤٢ هـ (١٠٥٠م) تخلى العرب من طيء وكلب عن القائد الفاطمي رفق الخادم خلال حربه مع عسكر حلب ، فكان ذلك السبب في انكساره(٤) . وفي سنة ٤٤٨ هـ (١٠٥٦م) انهزم العرب من كلب وطيء من جيش ناصر الدولة الحسين بن حمدان

---

(١) المختصر، ج ٢ ص١٦٦، خطط الشام ، ج ١ ص ٢٥٢ .

(٢) لا يعرف تاريخ وفاته ولكن اخباره تنقطع بعد عودته من بلاد الروم . انظر ترجمته المفصلة في كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب (مخطوط مصور في مكتبة الجامعة الاميركية رقم 920.568: I13bA) ج ٤ ورقه ١٢٨ ب - ١٢٩ أ.وتولى الامرة بعده ، كما يبدو، ابنه علان . الكامل ، ج ١٠ ص ٦٠ ، العبر، ج ٥ ص٦ .

(٣) امتد نفوذ آل الجراح الى الشمال حتى وصل منطقة البلقاء . فقد كان بدر بن حازم بن علي صاحب عمّان . ذيل تاريخ دمشق ، ص٩٦-٩٧ حاشية (١) .

(٤) زبدة الحلب، ج ١ ص٢٦٦ .

والي دمشق الفاطمي مما ادى الى هزيمته أمام بنى كلاب (١) . واثناء الخمسينات من القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) سجن الفاطميون، لاسباب لا نعرفها، اثنين من امراء طيء هما حميد بن محمود بن المفرج بن الجراح وحازم بن علي بن المفرج بن الجراح ، اللذين يظهر أن امارة طيء اصبحت لهما (٢) . وتعاون حازم، بعد خروجه من السجن ، وابنه بدر مع أمير الجيوش بدر الجمالي لمسك أحد الاشراف ـ الذى خرج على القائد الفاطمي ـ ، فلما تمكن منه حازم "مضى به الى عكا وباعه [من امير الجيوش] بذهب وخلع واقطاع . . . ولعن أهل الشام بدر بن حازم والعرب وقالوا : اما هذه عادتهم ؟"(٣) .

ولم تتغير عادة آل الجراح هذه ولا موقفهم التقليدى في حالة قيام صراع بين الفاطميين واعدائهم بعد ذلك. فعندما تمكن اتسز بن اوق الخوارزمي، القائد السلجوقي ، من الاستيلاء على دمشق ومعظم بلاد الشام (سنة ٤٦٨ هـ وما بعدها / ١٠٧٥ ـ ١٠٧٦م) ، وقفوا الى جانبه واصبحوا من البداية في "عداد جيشه"(٤) ، وتوجهوا معه الى مصر التي كان يطمع في الاستيلاء عليها . ولكن، وكالعادة ، تمكن قائد جيش الفاطميين ، بدر الجمالي ، من استمالة "بدر بن حازم وجميع طيء الى جانبه" ، واقامه مع الالفي فارس الذين كانوا معه على شكل كمين لمهاجمة اتسز من الخلف (٥) .

---

(١) زبدة الحلب، ج ١ ص ٢٧٨ـ٢٧٩ .

(٢) ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٣، العظيمي ، تاريخ العظيمي ، ص ٣٥٩ .

(٣) ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٤ . والخط تحت "أما هذه عادتهم ؟" من وضعي .

(٤) ذيل تاريخ دمشق ، ص ١١٠، اخبار مصر، ج ٢ ص ٢٥ .

(٥) اخبار مصر، ج ٢ ص ٢٥ .

وكان هذا التحول في ولاء العرب السبب الرئيسي الذى ادى الى انكسار الاتراك وهزيمتهم (١) . ثم حولوا ولاءهم بعد ذلك الى أمير حلب مسلم بن قريش العقيلي، فوقفت طيء مع القبائل الأخرى الى جانبه في محاولته التي بذلها للاستيلاء على دمشق من الاتراك السلاجقة الذين كان يقودهم تتش بن الب ارسلان موسس سلطان السلاجقة في الشام، لكن هذه المحاولة فشلت، وانهزم تجمع القبائل العربية أمام العساكر السلجوقية المنظمة (٢) .

وكانت قبيلة طيء اثناء فترة الامارة الاولى بقيادة اميرين من اشهر امرائها، المفرج ابن دغفل بن الجراح وابنه حسان . والمعلومات المتوفرة عن المفرج لا تتعدى ما له ارتباط بالأحداث التي عرضت في السابق وحتى مطلع القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) حيث مات او قتل في ظروف غامضة (٣) . وتولى الامرة بعده ابنه حسان، ويبدو أن الزعامة الفعلية كانت بيد هذا الأمير من البداية، اذ حضي بالاهتمام من المؤرخين اكثر من والده، فنجد له ترجمة مفصلة عند ابن العديم، وقصائد شعر قيلت في مدحه من قبل الوزير المغربي الذى لجأ الى حسان بعد هروبه من مصر وعلي بن محمد التهامي شاعر الزلفة وخطيبها وغيرهم (٤) .

---

(١) ذيل تاريخ دمشق، ص ١١٠، اخبار مصر، ج ٢ ص ٢٥ .

(٢) جمع مسلم بن قريش العرب من نمير وعقيل وبنى شيبان وجماعة من بنى كلاب وطيء وعرب من قيس واليمن . ذيل تاريخ دمشق، ص ١١٤، زبدة الحلب، ج ٢ ص ٨٠—٨١. وكانت هذه المحاولة الفاشلة سنة ٤٧٥—٤٧٦هـ/ ١٠٨٢—١٠٨٣م .

(٣) توفي سنة ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م . وذكر يحى بن سعيد انه مات بالسم، اذ دس له كاتبه ابن المدبر السم ثم هرب الى مصر . تاريخ يحى بن سعيد، ج ٢، ص ٣١٢ .

(٤) بغية الطلب، ج ٤ ورقه ١٢٩ أ، وعن الشعر الذى قيل في مدحه ارجع الى ديوان التهامي (دمشق، ١٩٦٤) حيث خص آل الجراح بمعظم قصائد ديوانه . ذيل تاريخ دمشق، ص ٦٢—٦٣ .

ولم تكن سياسة حسان كلها تخريبية ، كما تصورها معظم المصادر ، وانما حاول في بعض الاحيان القيام ببعض الاصلاحات . فقد عمل على اصلاح كنيسة القيامة التي خربت زمن الخليفة الحاكم، كما قام بتعيين بطرك للروم في القدس (١) . وربما كانت هذه الاعمال للتقرب من ملك الروم الذى كان يطمع في الحصول على مساعدته في اوقات الشدة .

وما عدا الاخبار التي ذكرت في السابق ، فاننا لا نعرف شيئا عن حياة حسان او تاريخ وفاته. فذكره ينقطع بعد سنة ٤٣٣هـ (١٠٤٣م) . اما ابنه علّان فلا ذكر له كأمير لجميع طيء الشام، ويبدو أن آل الجراح انقسموا بعد وفاة حسان ، فبرز في القرن السادس الهجرى (الثاني عشر الميلادى) بيت على بن المفرج الذين كانوا يسكنون الشراة والبلقاء . ومن هذا البيت اشتهر مرا (٢) ابن ربيعة وفضل بن ربيعة . وكان آل مرا بن ربيعة الامراء على طيء خلال القرن السادس الهجرى (الثاني عشر الميلادى) ، واستمروا فيها حتى أصبحت الامرة على طيء وجميع العرب لآل فضل بن ربيعة ، وذلك زمن المملوك الايوبيين المتأخرين في الشام ، وزمن المماليك .

بمجيء السلاجقة من الشرق والصليبيين من الغرب تغيرت الاوضاع السياسية لبلاد الشام وباديتها . فقد استولى السلاجقة (ابتداء من ١٠٧٠ م) على معظم المنطقة ، وقضوا على معظم الامارات القبلية التي كانت قائمة فيها، ولم يبق في يد خلفاء مصر سوى المناطق

---

(١) تاريخ يحي بن سعيد (ط. باريس) ص٢٩٧.

(٢) يرد هذا الاسم بعدة صور : مراء، مراء، مرة ، مرى ، ولكن الصورة التي اثبتت هي تلك التي ضبطها ابن تغرى بردى في المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (خط) ج ٢ ورقه ٤٩٣ ب حاشية رقم ٣ في النجوم الزاهرة من ملوك مصر والقاهرة (ط. دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٠) ج ١١ ص١٣٣ .

المناطق الساحلية الجنوبية وبعض المناطق الداخلية ، ثم جاء الصليبيون فأسسوا عددا من الامارات والممالك في الجزيرة الفراتية وعلى طول ساحل بلاد الشام جنوبا حتى حدود مصر. وادى هذا التحول السياسي الى ضعف نفوذ القبائل ، واصبح دورها في حياة البلاد أقل شأنا مما كان عليه في السابق. ومع ذلك فقد بقى للقبائل بعض الأهمية كقوة عسكرية كان يستفاد منها في الحروب الداخلية التي نشبت بين ابنـــاء البيت الزنكي والبيت الايوبي ، او بين ابناء البيت الواحد منهما ، او بين هؤلاء والصليبيين ، وذلك كقوة مساعدة للقوات النظامية (١) .

وكان لقبيلة طيء ، كغيرها من القبائل ، دور في الحياة السياسية لبلاد الشام خلال القرن السادس الهجرى (الثاني عشر الميلادى) . فقد كانت تشترك أحيانا مع جيوش اصحاب دمشق من آل طغتكين وآل زنكي والايوبيين في حروبهم ضد الصليبيين ، خاصة في منطقتي حوران والبلقاء ، مواطن آل ربيعة من طيء . وكان اشتراك آل ربيعة في هذه الحروب اما على شكل متطوعة او باعتبارهم من القوات المساندة للجيش . فقد وقف مرا بن ربيعة — مدة تزيد على ربع قرن — الى جانب آل طغتكين (٢) اصحاب

---

(١) ارجع عن دور القبائل العسكرى في هذه الفترة الى
هـ . جب ، "جيوش صلاح الدين" في دراسات في حضارة الاسلام (ترجمة احسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٤) ص ٩٧—١٢٠ .
ونظير سعداوى ، جيش مصر في ايام صلاح الدين ، القاهرة ، ١٩٥٦ ،
التاريخ الحربي المصرى في عهد صلاح الدين الايوبي ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

(٢) كان طغتكين أتابك دقاق بن تتش ، وقد استولى على حكم دمشق بعد وفاة دقاق سنة ١٠٤ ام ثم تولاها ابناؤه من بعده .

دمشق في حروبهم مع الصليبيين (١) ، كما استمر ابناؤه واحفاده من بعده في تأييد ملوك دمشق من الأيوبيين ، حتى انه قتل في موقعة واحدة (قرب مرجعيون سنة ٥٨٥ هـ/ ١١٨٩م) اربعة من امراء طيء (٢). وعلى العكس من ذلك كان موقف فضل بن ربيعة ، فقد كان "تارة مع الفرنج وتارة مع المسلمين"، مما اضطر طغتكين الى طرده من الشام ، فالتجأ الى أمير بنى أسد صاحب الحلة ، وهناك كاد ينغمس في الصراع الذى نشب بين السلطان السلجوقي وبين صدقة أمير بنى أسد ، لولا انه آثر الاحتيال على الجانبين للرجوع الى البرية (٣) . وكان هدف العرب ، من المساعدات التي كانوا يقدمونها للمسلمين او للصليبيين ، هو الحصول على الغنائم من ناحية ، والمكافآت من ناحية أخرى .

ومع أن العرب قدموا خدمات لا تنكر في الحروب ضد الصليبيين ، سواء أكان ذلك عن طريق التجسس والغارات الخاطفة على معسكرات العدو او نصب الكمائن للجيوش واستدراجها اليها، الا انهم لم يكونوا طرفا في النزاع ، فقد كانوا على الأغلب متقلبين في موقفهم بين المسلمين والفرنج لأن في ذلك خدمة اكبر لمصالحهم . ومساعدتهم للفرنج لم تصل الى حد المشاركة معهم في القتال ، بل اقتصرت على التجسس (٤) . وما عدا

---

(١) العماد الكاتب الاصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي (القاهرة ، ١٣٢١هـ) ص٢٩٣-٢٩٤ . ابو شامه، الروضتين في اخبار الدولتين (القاهرة ، ١٢٨٨هـ) ج ٢ ص ١٤١ .

(٢) الفتح القسي ، ص٢٩٣-٢٩٤ .

(٣) الكامل ، ج ١٠ ص٤٤٣، العبر ، ج ٥ ص٩٣٨-٩٣٩ ، (طبعة بولاق) ج ٦ ص٨ .

(٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٣٤٨-٣٥٠، ابو شامه ، الروضتين ، ج ٢ ص١٩٨، ابن واصل ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب (القاهرة ، ١٩٥٣-١٩٦٠) ج ٢ ص٣٨٣-٣٨٤، الكامل ، ج ١٠ ص٣٦ . وبسبب فساد العرب ، وجه صلاح الدين حملة الى الكرك ، كان من اهدافها اخراج العرب من ديارهم ، لانهم كانوا يخبرون الفرنج بحركات جيوش المسلمين وقوافل تجارتهم بين مصر والشام . ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٧٥-٧٦، ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ص٢٠٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص٢٢٥، سبط بن الجوزى ، مرآة الزمان (حيدر أباد الدكن ، ١٣٧٠هـ) ج ٨ ص٢٩٣ .

ذلك ، واذا كان الامر يتعلق بنهب وسلب قوافل التجار والحجاج ، فانهم كانوا لا يوفرون أحدا من الجانبين .

وبسبب من عيث وفساد العرب المستمر ، وتهديدهم لطرق المواصلات خاصة طرق الحجاج ، حاول نور الدين محمود بن زنكي استرضاء امراء القبائل باعطائهم الاقطاعات[١] ليكفوا عن التعرض للحجاج ، ويظهر ان ذلك لم يكن كافيا للسيطرة على الامراء وعلى قبائلهم مما حدى بملوك الأيوبيين — حوالي نهاية القرن السادس وبداية السابع الهجريين (الثاني والثالث عشر الميلاديين) — الى العمل على ربط امراء العرب بصورة رسمية ، فكان انشاء مؤسسة "امارة العرب" ، وتعيين الامراء من قبل ملوك دمشق وحلب[٢] .

---

(١) مرآة الزمان ، ج ٨ ص ٣٠٦ .

(٢) اشهر امراء طيء خلال القرن السادس الهجرى (الثاني عشر الميلادى) مرا بن ربيعة وفضل بن ربيعة . ولا نعرف عن حياتهما ، غير ما ذكره شيئا .

الفصل الثالث

امارة العرب الرسمية

اشتهر آل ربيعة من طيء في القرن السادس الهجرى (الثاني عشر الميلادى) . وكان ربيعة بن حازم أمير عرب الشام في زمن حكم طغتكين (٤٩٧هـ/ ١٠٨٥م—٥٢٢هـ/ ١١٢٨م) ، أتابك دقاق السلجوقي (١) . والمصادر المعاصرة لا تذكر ربيعة هذا ، وانما تذكر ولديه مرا

---

(١) مسالك الابصار ، ج ٣ ص ٢٩ . وقد ذكر العمرى ، عن الحمداني النسابة ان ربيعة نشأ في أيام أتابك زنكي وولده نور الدين ونبغ بين العرب "فاكرمه وشاد بذكره" ، مسالك الابصار ، ج ٣ ص ٢٥ ، ٢٨ ، لكننا لا نجد ما يؤيد ان ربيعة هذا كان يعيش في زمن طغتكين . ولذلك ، فاما أن يكون ربيعة هذا قد عمر طويلا او أن المقصود ابنه فضل . أما الغزى فقد نسب آل مهنا ، الذين آلت اليهم الامارة زمن المماليك ، الى بدر بن ربيعة ، وليس لربيعة ابن اسمه بدر عند الحمدانى النسابة وان كان قد ذكر ابن خلدون ، استنادا الى المسبّحى المؤرخ (ت ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩) أن هنالك شخص اسمه بدر بن ربيعة ، وعليه استند القلقشندى في صبح الأعشى . ارجع الى الغزى ، نهر الذهب في تاريخ حلب (حلب ، ١٩٢٦) ج ٣ ص ٢٢١ ، العبر ، ج ٥ ص ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٢٠٣ . ونجد عند ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٤—١١٥ ، وابن ميسر ، أخبار مصر ج ٢ ص ٢٥ اسم بدر بن حازم وليس بدر بن ربيعة بن حازم ، وعلى الأرجح أن بدرا هو اخو ربيعة وليس ابنه .

وفضل (١) اللذان ينسب اليهما آل فضل وآل مرا . وكانت مكانة هؤلاء الامراء، كما يظهر من المصادر المعاصرة ، أهم من مكانة غيرهم، كما كانت مشاركتهم في الأحداث اكثر من مشاركة غيرهم . ويبدو أن قوتهم كانت اكبر من قوة القبائل الاخرى في بلاد الشام مثل كلاب في الشمال وبنو كلب في الوسط . أما كلاب فقد كانت لها الزعامة على القبائل في بلاد الشام الشمالية حتى زمن الظاهر (٢) الايوبي صاحب حلب ، حيث

---

(١) ذكر ترتون (A.S. Tritton) في مقالته
"The Tribes of Syria in the Fourteenth and Fifteenth Centuries, BSOAS, (1948) p.567.
ان فضل بن ربيعة بن حازم بن الجراح كان معاصرا لحسان بن المفرج بن دغفل بن الجراح ، لكن حسان هذا عاش في النصف الثاني من القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس الهجريين (النصف الثاني من القرن العاشر والاول من الحادى عشر الميلاديين) ، أما فضل بن ربيعة فقد عاش في النصف الاول من القرن السادس الهجرى (الثاني عشر) — كان اميرا سنة ٥٠١هـ (١١٠٧م) . ولذلك لا يعقل ان يكونا متعاصرين وبينهما هذه الفترة الزمنية الطويلة . والذى دفعه الى هذا القول مقارنته بين سلسلتي النسب . ونسب فضل الذى اعتمد عليه كان ناقصا، ونسبه الصحيح هو : فضل بن ربيعة ابن حازم بن علي بن المفرج بن دغفل بن الجراح . فعلى بن المفرج هو أخو حسان ومعاصره وليس فضل الذى كان معاصرا لمرا بن ربيعة .

(٢) في فقرة قصيرة عند ابن العديم في كتاب من تاريخ حلب (ج ٣ ورقه ٢٤٧ أ) ، ما يوضح هذه النقطة بصورة مناسبة . قال : "زالت دولة بنى مرداس وبقيت امرة العرب في بنى كلاب الى زمن ولاية الملك الظاهر ثم ازاحهم عنها الى طيء فدخلوا [اى كلاب] الى بلاد الروم، وتحضر منهم جماعة وانشغلوا بالمعايش" . ويؤيد ذلك ما جاء عند ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات (مخطوط الرباط) ج ٦ ورقه ٢٩٢ ب ، من ان طاهر بن غنام — من ربيعة طيء — قد اتصل بخدمة الحلبيين وامر على سائر العرب ، وأن علي بن حذيفة (حديثة) أمّر قبل ذلك في حلب على حساب الاحلاف . ج ٦ ورقه ٢٩٢ .

أصبحت - بسبب تفككها وانقسامها وعدم تمكنها من السيطرة على القبائل الاخرى - من أحلاف آل فضل لمّا أصبح هؤلاء أصحاب الامرة على جميع العرب[١] . أما كلب فقد انتهى دورها في الحياة القبلية والسياسية للمنطقة ، اما لتفرقها او نتيجة لاستقرارها في الحواضر والارياف القريبة من مواطنها ، بحيث لم يعد يسمع لها ذكر بين القبائل البدوية . كل ذلك ترك المجال مفتوحا أمام القبائل التي لم تستقر كليا في المراكز الثابتة ، لتوسيع نفوذها . واستغلت ربيعة طيء هذه الفرصة فمدت نفوذها الى الشمال باتجاه دمشق وحلب.

استقر آل الجراح ، كما رأينا في الفصل السابق ، في جنوبي بلاد الشام ، لكن ظروف علاقاتهم مع الدولة الفاطمية من ناحية ، وطبيعة الحياة البدوية التي كانوا يعيشونها من ناحية أخرى ، لم تسمح لهم بالاستقرار كليا . وكان من نتيجة ذلك أن توسعوا تدريجيا نحو الشمال الى مناطق البلقاء وحوران ودمشق . ولم يتوقف التوسع عند هذا الحد ، ذلك ان التكاثر الطبيعي لفروعهم ، ومحدودية الموارد في المناطق التي استوطنوا على اطرافها ، والصراع المستمر بين البيتين الرئيسيين، آل مرا وآل فضل ، على الزعامة ، دفع آل فضل الى الانتقال الى الشمال من دمشق بمحاذاة المناطق المأهولة.

---

(١) يعزو ابن فضل العمري سبب ضعف كلاب الى عدم خضوعها لأمير واحد ، فهم كما قال "أشد العرب بأسا واكثرهم ناسا ولكنهم لا يدينون لامرء منهم يجمع كلمتهم ... ولو انقادوا لأمير واحد لم يبق لأحد من العرب بهم قبل ولا طاقة". مسالك الابصار (طبقبوسراى) ج ٣ ص ٥١ .

وقرب حمص وحماه[١] . أما آل علي من آل فضل فقد بقوا في منطقة دمشق والى الجنوب والشرق منها[٢] .

وكانت امرة العرب ، حتى سلطنة الملك العادل الأيوبي الاول على دمشق ، (٥٩٢/١١٩٦—٦١٥/١٢١٨) وحلب (في حلب ٥٧٩/١١٨٣—٥٨٢/١١٨٦) امرة قبلية ليس لها ارتباط محدد بالسلطة في دمشق او القاهرة ، مع اننا نجد اشارات من زمن الفاطميين تدل على أن مراسيم الامرة على الرملة قد ارسلت الى امراء آل الجراح[٣] . على

---

(١) يرد في حاشية الورقة ٢٤٨ من كتاب معجم ما استعجم لابي عبيد البكري (مخطوطة . نسخة راغب باشا رقم ١٠٦٦) شيء له علاقة بتاريخ استيطان آل فضل للمنطقة الشمالية هذا نصه :
"وادي فرير بين حماه وعرض [بلدة في برية الشام بين تدمر والرصافة الشامية . معجم البلدان ، ج ٤ ص ٦٠٣] من أرض الشام بينه وبين حماه ثمانية فراسخ وفيه مياه وقرى ، ومياهه جفار . نزله بنو فرير بن عنين بن سلامان بن ثعلب بن عمرو بن الغوث بن طيء . ويعرف بنو فرير اليوم بآل فضل وآل مرى [مرا] . وفضل ومرى ابنا ربيعة بن حازم . نزل فضل بهذا الوادي حين خرج فضل ومرى من الحجاز في سنة ٥١٢ هـ ، وكان لهم مع الفرنج وقعة كبيرة قتلو . . . صاحب دمشق من الفرنج . . . فعرف هذا الوادي بهم ، واميرهم اليوم وهي سنه ثلاثين وسبع مائة [٧٣٠هـ/١٣٣٠م] مهنا بن عيسى بن مهنا بن حديثة . . . بن غضية بن فضل بن ربيعة بن حازم . . . ." لكن هنالك بعض النقاط التي تحتاج الى توضيح . فآل فضل من سلسلة . . . بن عنين وليس من فرير ، وكان بنو فرير من اتباعهم (مسالك الابصار ، ج ٣ ص ٢٧) . وايضا فهم لم يخرجوا من الحجاز — كما يعرف الحجاز في الوقت الحاضر — وانما من جنوب بلاد الشام ، من منطقة البلقاء وحوران . أما ما عدا ذلك فالاحداث التي ترد تؤيدها الاخبار الاخرى .

(٢) مسالك الابصار ، ج ٣ ص ٤٥ .

(٣) ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٢ ، ذيل تجارب الامم ، ج ٣ ص ٢٣٨ — ٢٣٩ .

الأقل في بداية قيام امارة طيء ، كما نجد اشارة أخرى من عصر صلاح الدين تدل على أن والي دمشق كان "محكّم في جميع قبائل العرب وعشائرهم ، وهو يتولاهم ويجريهم على معتقادهم في رسمهم ومعيشتهم وعِداوِهم"(١) . لكن هذه الاشارات وما تدل عليه ، لا توضح العلاقة الرسمية بالشكل الدقيق الذي أصبحت عليه فيما بعد .

وفي زمن الملك العادل الايوبي الأول اصبحت الامرة رسمية ، ويذكر ابن فضل الله العمري أنه "لم يصرح لأحد من هذا البيت [آل فضل] بامرة على العرب ، بتقليد من السلطان ، الا أيام العادل ... امر منهم حديثة"(٢) بن فضل بن ربيعة . ولم تكن هذه الامرة على آل فضل وحدهم او حتى على جميع فروع طيء بالشام ، وانما على جميع العرب (الأعراب) في بلاد الشام الذين كانوا تحت طاعة السلاطين . وفي رواية لابن الفرات نجد معلومات جديدة توضح ما جاء عند ابن فضل الله ، ذلك انه ينسب الى الملك الكامل الايوبي (٦١٥هـ/ ١٢١٨ م وما بعدها) تأمير مانع بن حديثة

---

(١) هـ . جب ، "جيوش صلاح الدين" في دراسات في حضارة الاسلام (بيروت ، ١٩٦٤) ص١١٨ حاشية ٧٢ .

(٢) مسالك الابصار ، ج ٣ ص٢٩ . أما ابن خلدون فقد ذكره استنادا الى العماد الكاتب الأصفهاني في البرق الشامي (العبر ، ج ٥ ص٩٣٧ ، ٩٤٠ ، ج ٦ (ط. بولاق ، ص٧) أن مبدأ رئاستهم في ايام بني ايوب كانت لعيسى بن محمد . ثم ينقل عن البرق : "نزل العادل بمرج دمشق ومعه عيسى بن محمد بن ربيعة شيخ الاعراب في جموع كثيرة من العرب" . ومع أن شيخ الاعراب لا تدل على الامارة الرسمية فان اسم عيسى بن محمد بن ربيعة لا يرد عند غيره . كما ان اسم محمد ليس بين اسماء ابناء ربيعة الذين يذكرهم الحمداني ، الذي عنه ينقل العمري والقلقشندي ، وهم : فضل ، مرا ، ثابت ، دغفل . مسالك الابصار ، ج ٣ ص٢٧ . أما صاحب الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة (حيدرآباد الدكن ، ١٣٤٨ هـ — ١٣٥٠) فقد ذكر (ج ١ ص ٣٢١) أن اول من نوه به من هذا البيت في أيام العادل هو عمرو بن بلى (؟) . لكنني لم أجد لهذا الخبر اي تأييد في اي مصدر آخر . والخط تحت "بتقليد من السلطان" مضاف على الأصل ومن وضعي .

من آل فضل من طيء على جميع العرب بعد أن كان قد قسمها، بعد وفاة حديثة (١)، نصفين بين مانع وغنام بن ابى طاهر بن غنام (٢). ويبدو أن الاسباب التي دفعته الى اعطاء الامرة كاملة الى مانع، كانت شخصية (٣).

وهكذا أصبحت الامرة على آل فضل وجميع العرب، من نهاية القرن السادس او بداية القرن السابع الهجريين (الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين)، لآل فضل بن ربيعة في بيت مانع بن حديثة (٤). وكان ينافسه على امرة العرب في ذلك الوقت (بعد ٦١٥هـ / ١٢١٨م) وحتى وفاته سنة ٦٣٠هـ (١٢٣٢م) ابو على طاهر بن غنام (٥) لكنه لم يتمكن من الحصول عليها الا سنة ٦٣٨هـ (١٢٤٠م)، زمن الملك العزيز الأيوبي صاحب حلب (٦). ثم انتقلت الامرة، بسبب تنافس بيوت آل فضل عليها،

---

(١) ذكر صاحب مسالك الابصار، ج ٣ ص ٢٩، أن حديثة هو ابن غضبة بن فضل، لكنه ذكر قبل ذلك بقليل انه ابن فضل. وجميع المصادر التالية تذكر أن حديثة هو ابن فضل. وفي رواية اوردها ابن الفرات ما يثير الشك حول كون غضبة (او غضبة او عصية او عصبة) ابن فضل اذ قال: "وكانت العرب من آل فضل وغضبة مثل مانع واخوه على واولادهما، وغنام واولاده..." تاريخ ابن الفرات (الرباط) ج ٦ ورقه ١١٨ ب — ١١٩ أ. وربما كان غضبة أخو فضل.

(٢) مسالك الابصار، ج ٣ ص ٢٩ وهم اول من رآهم الحمداني الذى عاصر القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى).

(٣) تاريخ ابن الفرات (الرباط) ج ٦ ورقه ١١٩ أ، المقريزى، السلوك لمعرفة دول الملوك، (القاهرة، ١٩٣٦—١٩٥٨) ج ٢ ص ٢٠٠، ٢٤٧، مفرج الكروب، ج ٣ ص ٢٦٦—٢٦٧، المختصر، ج ٣ ص ١١٩.

(٤) زبدة الحلب، ج ٣ ص ١٨١ — ١٨٢.

(٥) من آل فرح (او فرج) من آل ربيعة، وفرج بن حية من الامراء الذين وفدوا على المعز ايبك في سلطنته. مسالك الابصار، ج ٣ ص ٢٧، ٤٧، تاريخ ابن الفرات (الرباط) ج ٦ ورقه ٢٩٢ ب.

(٦) زبدة الحلب، ج ٣ ص ٢٥١—٢٥٢، ابن الفوطي، الحوادث الجامعة (بغداد، ١٣٥١هـ) ص ١٣٠.

الى ابناء علي بن حديثة شقيق مانع[١]، ولكن ذلك لم يستمر طويلا، فخرجت عنهم ثم عادت اليهم فكان أمير العرب من زمن المعزاييك (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م - ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م) وحتى بداية حكم الملك الظاهر بيبرس (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م - ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) الامير زامل بن علي بن حديثة [٢].

وانحصرت امرة العرب، من بداية حكم الظاهر بيبرس، في آل فضل بن ربيعة [٣]. أما آل مرا فقد كانت لهم امرة خاصة بهم، كما كانوا -على الاقل في البداية، وزمن الامير احمد ابن حجي بن بريد - "ملوك العرب في البلاد القبلية" ويدخل في امرتهم عدد من القبائل وبيوت العرب[٤]. وقد كان التنافس بين الجانبين قويا في البداية [٥]، الا ان

---

(١) مسالك الابصار، ج ٣ ص ٢٩، السلوك، ج ١ ص ٤٦٢.

(٢) مسالك الابصار، ج ٣ ص ٤٧، ابن ابي الفضائل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد (باريس، ١٩١١-١٩٣٢) ص ٨١، ٩٣، اليونيني، ذيل مرآة الزمان (حيدرآباد الدكن، ١٩٥٤-١٩٥٥) ج ١ ص ٤٤٠، ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر (نشر النص العربي مع ترجمة انجليزية السيدة فاطمة صديق بعنوان Baybars of Egypt (الباكستان، ١٩٥٦) ص ٢٧ من النص العربي، وكل مرة يذكر فيها هذا المصدر فان ذلك يشير الى النص العربي منه.

(٣) لقد انحصرت الامرة، معظم الوقت، في آل مهنا بن مانع من آل فضل. وربما كان لما وقع بين الظاهر بيبرس وعلي بن حديثة ومهنا اثر كبير في توليه عيسى بن مهنا واستمرار الامرة في هذا البيت. ذلك ان الظاهر بيبرس في فترة تشريده في بلاد الشام في نهاية الدولة الايوبية نزل على عيسى بن مهنا فبالغ هذا في اكرامه وقدم له أفضل خيلة، بينما رفض علي بن حديثة، الامير في ذلك الوقت، ان يعطيه فرسا. وعندما تولى الظاهر السلطنة، انتزع الامرة من ابي بكر بن علي بن حديثة واعطاها لعيسى. وقد حاول أحد المنافسين من الامراء (احمد بن طاهر بن غنام) أن يشارك عيسى بالامرة، لكن الملك الظاهر رفض ذلك، واكتفى باعطائه امرة "ببوق وعلم". مسالك الابصار، ج ٣ ص ٢٨-٢٩.

(٤) مسالك الابصار، ج ٣ ص ٤٦، صبح الاعشى، ج ٤ ص ٢٠٩، القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان (القاهرة، ١٩٦٣) ص ٨٠-٨١.

(٥) مسالك الابصار، ج ٣ ص ٢٩-٣٠، ذيل مرآة الزمان، ج ٤ ص ٢٣٢.

الاستقلال الفعلي لكل بيت في امرة منطقته ادى الى توقف ذلك. وقد ظهر في كل بيت صراع من نوع جديد، وهو التنافس بين الامراء على الامرة. وكان تنافس بيوت آل فضل على الامرة من أهم الاسباب التي أثرت في تطور "امارة العرب" خلال فترة المماليك البحرية.

وانقسم آل فضل من بداية حكم المماليك الى قسمين: آل عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة، وآل على بن حديثة (١). وكانت الامرة أغلب الوقت في آل عيسى بن مهنا، الا انه كان يحدث أحيانا، عند خروج أمير آل عيسى عن الطاعة او غضب السلطان عليه، أن يعين أحد امراء آل على مكانه. وقد كان ذلك يؤدى الى قيام آل عيسى بالمشاكل ضد المماليك، التي كانت تستمر حتى تعود الامرة اليهم.

وانحصر النزاع على الامرة، خلال القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) - معظم الوقت -، بين افراد بيت الامير عيسى بن مهنا (٢). فبعد وفاة عيسى بن مهنا سنة ٦٨٣هـ (١٢٨٤م)، اعطيت الامرة لابنه مهنا، لكن اشتراك هذا الامير في حركة قراسنقر ضد السلطان قلاوون ادى الى توليه اخيه الامير فضل بن عيسى (٣). وبعد ذلك، وفى المرات الاخرى التي خرج فيها مهنا، كان يتناوب آل فضل بن عيس وآل علي

---

(١) مسالك الابصار، ج ٣ ص ٢٧، ٤٥.

(٢) كان عدد اولاد عيس هذا، واولاد اولاده، كما ذكر المقريزى، نحو ١١٠ لكل منهم امرة واقطاع. السلوك، ج ٢ ص ٨٩٦.

(٣) أصبح أهل بيته آل فضل بن عيسى، وكانوا لا يدخلون تحت حكم اولاد مهنا مباشرة. الدرر الكامنة، ج ٢ ص ١٨٣. وستبحث حركة قراسنقر بالتفصيل في الفصل الخامس.

على تولى الامرة ٠

وبعد وفاة مهنا سنة ٧٣٥ هـ (١٣٣٥) ، وحتى نهاية القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) ، تولى ابناؤه واولادهم امرة آل فضل وامرة العرب ٠ وقد كان يحدث ، كما كان الامر في السابق ، أن تخرج الامرة عنهم الى بني أعمامهم آل فضل بن عيس وآل على بن حديثة (١) ٠ وفي هذه الحالات ايضا ، كان خروج الامرة عن آل مهنا لفترات قصيرة ، حيث كانت تعاد اليهم من جديد ٠ والسبب في ذلك هو أنه كان لآل مهنا هيبة عند آل فضل وغيرهم من القبائل ٠ كما كان بامكانهم المحافظة على الأمن وطرق القوافل التجارية والحجاج ، الأمر الذى لم يكن متيسرا لغيرهم ٠ وهذا الواقع هو الذى كان يدفع السلاطين في القاهرة والامراء المماليك في الشام وحلب الى التقرب من آل مهنا ، والعمل على ارجاعهم الى الطاعة بشتى الوسائل ، لأن استمرار خروجهم كان يعنى استمرار الفوضى وقطع الطرق والاستيلاء على قوافل التجار ونهب الغلال والحاق الأذى بالريف والحواضر ٠

ولم تكن امرة العرب مقتصرة على أمير واحد في بعض الحالات ، بل كانت تقسم بين أميرين او اكثر ٠ فقد كانت تقسم أحيانا الى نصفين ، لكل نصف امير ، واحيانا أخرى الى اربعة أقسام ، حسب أهمية الامراء ٠ وقد لجأت الدولة الى هذا الاجراء اما لضعف شخصية الامير المعين وعدم تمكنه من السيطرة على جميع فروع قبيلته او — في حالة

---

(١) المختصر ، ج ٤ ص ١٣٨ ، السلوك ، ج ٢ ص ٦٥١ ، ٩٥٩ ، ٧١٩—٧٢٢ العبر ، ج ٥ ص ٩٤٠—٩٤٤ ، ذيل تاريخ الاسلام ، ج ١٠ ورقه ٢٥٨ أ — ب ، ج ١ ورقه ٢٥٤ ب ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٢٧٢ ، ابن حجر ، انباء الغمر بابناء العمر ، (حيدر أباد الدكن ، ١٩٦٧) ج ١ ص ٣٠ ٠

وجود اكثر من امير كبير — لتساوى مرتبة الامراء المتنافسين على الامرة في نظر السلاطين ٠ وكان يتبع ذلك تقسيم اقطاعات الامرة بين هؤلاء الامراء، كل حسب حصته(١) .

وتولى امرة العرب(٢)، منذ قيامها وحتى نهاية القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى)، عدد كبير من الامراء(٣)، كانت تختلف مدة ولاياتهم طولا وقصرا حسب علاقاتهم مع السلاطين في القاهرة(٤) . واشهر الامراء الذين طالت

---

(١) قسمت الامرة، زمن الكامل الايوبي بين مانع بن حديثة وغنام ٠ مسالك الابصار، ج ٣ ص٢٩، العبر، ج ٥ ص٩٤٠ ٠ وفي سنة ٦٧٩هـ (١٢٨٠م)، قسمت الامرة على آل فضل بن ربيعة بين فخر الدين عثمان بن مانع بن هبة، وشمس الدين محمد بن ابي بكر، وحسام الدين دراج بن الظاهر٠ ابن الفرات تاريخ ابن الفرات، (بيروت، ١٩٣٤—١٩٤٢) ج ٧ ص١٧٧، السلوك، ج ١ ص٦٧٩، وبعد عزل حيار بن مهنا عن الامرة سنة ٧٦١هـ (١٣٦٠م)، عين عمر بن موسى بن مهنا، ورملة بن جماز بن محمد بن ابي بكر شركاء في الامرة ٠ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤ ص٢٧٢، ذيل تاريخ الاسلام، ج ١ ورقه ١٥٤ ، السلوك، ج ٢ ص٨٩٦، ٩١٧٠ وفي سنة ٧٨١هـ (١٣٧٩م) قسمت بين معيقل (معتقل) بن فضل بن عيس وزامل بن موسى بن مهنا ونعير بن حيار بن مهنا ٠ العبر، ج ٥ ص٩٤٤، الدرر الكامنة، ج ٤ ص٣٥١—٥٢، ابناء الغمر، ج ١ ص٣٠٠ ، ذيل تاريخ الاسلام، ج ١ ورقه ٢٥٨ أ — ب ٠ اما بالنسبة للقبائل الاخرى وتقسيم امرتها فانظر عن آل مرا مسالك الابصار، ج ٣ ص٤٦، صبح الاعشى، ج ١٢ ص١٣٢—١٣٥، وعن بنى مهدى، صبح الاعشى، ج ١٢ ص١٣٧، تاريخ ابن الفرات، ج ٧ ص٢٥٩ — ٢٦٠ ٠

(٢) سيقتصر هنا على بعض الامراء الذين تولوا امرة آل فضل وامرة العرب عامة في نفس الوقت كما كانت العادة ٠ وعامة العرب بالنسبة لامرة العرب تعنى من كان يدخل تحت طاعتهم او محالفا لهم ٠ وذلك لا يشمل بعض القبائل التي كانت لها علاقاتها المباشرة مع السلطنة في القاهرة مثل بنى مهدى، وبنى عقبة، وآل مرا من طيء الذين كانوا امراء العرب في بلاد الشام الجنوبية ٠

(٣) حوالي ٣٠ اميرا ٠ العبر، ج ٥ ص٩٤٠—٩٤٥ حيث قدم عرضا تاريخيا موجزا للامرة حتى زمنه وهو نهاية القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) ٠

(٤) لم يحدث ان تولى امير الامرة باستمرار ودون خروجها عنه، وانما كانوا يعزلون ثم يعادون الى الامرة مرة او اكثر حسب الظروف ٠

فترات امرتهم، ولو بشكل متقطع، هم : مانع بن حديثة (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) (١)، وعيسى بن مهنا بن مانع (ت ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م)، ومُهنا ابن عيسى (ت ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م) وحيّار بن مهنا (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤—٧٥م) (٢)، ومحمد نُعير بن حيّار (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) (٣).

والاكتفاء بهؤلاء المشهورين من الامراء لا يعني عدم ظهور امراء كان لهم اثرهم في تاريخ الامرة . وهؤلاء الامراء الذين كانوا يتولون الامرة في حال خروجها عن آل مهنا، مثل امراء آل علي بن جديثة وامراء آل فضل بن عيسى بن مهنا والامراء الآخر من آل مهنا . كما انه لا يمكن ان تكتمل صورة تاريخ الامارة الطائية خلال هذه الفترة دون ذكر لامراء آل مرا خاصة بيت احمد بن حجي بيت الامرة لهذا الفرع من ربيعة طي، (٤).

اشهر امراء العرب في فترة الامارة الرسمية

أول الامراء الذين برز ذكرهم في فترة الامارة الرسمية الأمير :

١ — مانع بن حديثة

كان الأمير حديثة هو اول من تولى امرة العرب الرسمية، كما ذكر في السابق .

---

(١) يرد حديثة على شكل "حذيفة"، ولكن الصورة التي اعتمدت هي تلك التي اخذت عن ابن فضل الله العمري في مسالك الابصار، ج ٣ ص ١—٧٥، المنقولة عن الحمداني الثقة في شؤون العرب في زمانه (القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) .

(٢) "حيّار" الرسم الذي اعتمد هنا يرد بصور أخرى مثل "جبار" حيث يعتقد ان حيّار من تحريف النساخ، وكذلك "خيار".

(٣) كان اسمه قبل تولي الامرة نعير، وغيروا اضيف اليه "محمد" بعد تولّيه الامرة . صبح الاعشى، ج ٧ ص ١٨٦ .

(٤) اشتهر آل مرا خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، وكانوا يعاملون كأنداد لآل فضل، لكن امرهم ضعف بعد وفاة احمد بن حجي (٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م) بسبب خلافاتهم الداخلية، ولم يذكروا بعد ذلك الا في نهاية القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) . انظر: مسالك الابصار، ج ٣ ص ٤٦ .

وتولى الامرة بعده ابنه الامير مانع. واول ذكر لهذا الامير، كأمير للعرب، يرد في احداث سنة ٦١٥هـ (١٢١٨م) حيث استعان الملك الاشرف الايوبي به وجماعته من طيء وغيرهم من العرب في حربه مع الروم (١). وفي سنة ٦٢٣هـ (١٢٢٦م) ارسله الملك الاشرف الايوبي الى حمص لنجدتها من حصار الملك المعظم الايوبي لها، فقام الامير مانع وعربه بنهب القرى حول المدينة — كالمعرة وحماه — ، كما كانت لهم حروب مع عرب دمشق (٢).

ويرد ذكر هذا الامير في مؤتمر عقده الملك الاشرف في غوطة دمشق للقبائل الطائية من أجل ما قامت به من الاستيلاء على غلات عرب المجاهد من قبيلة بني خالد التي كانت تسكن حول حمص (٣). وحضر هذا الاجتماع معظم امراء طيء من آل فضل وغنام وثابت ومرا (٤). وقبل وفاة هذا الامير بثلاث سنين قدم هو والامير غنام على الملكين الايوبيين الاشرف والكامل عندما كانا معسكران بالرقة، ثم تركوهما وعسكرهما وعادا الى بلادهما (٥).

وتوفي الامير مانع "امير العربان" سنة ٦٣٠هـ (١٢٣٣م)، فحمل الى بلده سلميه، التي يظهر انها كانت اقطاعه، فدفن بها (٦).

---

(١) زبدة الحلب، ج ٣ ص ١٨١—١٨٢، مفرج الكروب، ج ٣ ص ٢٦٦—٢٦٧، المختصر، ج ٣ ص ١١٩، السلوك، ج ١ ص ٢٠٠.

(٢) زبدة الحلب، ج ٣ ص ١٩٧.

(٣) بنو خالد من بني مخزوم من قريش، كانوا يسكنون منطقة حمص في ذلك الوقت. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب (القاهرة، ١٩٥٩) ص ٢٤٢.

(٤) تاريخ ابن الفرات (الرباط) ج ٦ ورقه ١١٨ ب — ١١٩ أ.

(٥) المصدر ذاته، ج ٦ ورقه ٥٦ ب، ١٥٧ أ والسلوك، ج ١ ص ٢٣٨ — ٢٤٢.

(٦) تاريخ ابن الفرات، (الرباط) ج ٦ ورقه ١١٩ أ، السلوك، ج ١ ص ٢٤٧.

وأمر الملك الأشرف الأيوبي ، بعد وفاة الامير مانع ، ابنه مهنا ، لكن ذلك لم يكن لمدة طويلة ، اذ انتقلت الامرة الى علي بن حديثة وظاهر بن غنام من آل فضل بن ربيعة . ويبدو أنها استقرت اخيرا لعلى بن حديثة الذى أخرجه الظاهر بيبرس وولى مكانه عيسى بن مهنا بن مانع :

٢ - عيسى بن مهنا واحمد بن حجي

كانت امرة العرب عند قيام دولة المماليك بيد على بن حديثة وكان ينافسه عليها عيسى بن مهنا الذى اشترك في معركة عين جالوت (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) الى جانب المماليك فأنعم عليه الملك المظفر قطز "بخبزه"(١) الذى كان له في الايام الناصرية "أى ما كان له من اقطاع زمن الملك الناصر الأيوبي"(٢) . وعندما تولى السلطان الظاهر بيبرس السلطنة ، عزل على بن حديثة (٣) واسند الامرة على جميع العرب في بلاد الشام الى عيسى بن مهنا، وكتب له "منشورا بالامرة على جميع العربان"(٤) سنة ٦٦٣هـ

---

(١) الخبز هو الاقطاع ، وسيوضح ذلك عند بحث اقطاعات العرب في الفصل الرابع.

(٢) ذيل مرآة الزمان ، ج ١ ص ٤٨٥ . والمقصود بالايام الناصرية أيام حكم الملك الناصر صلاح الدين الثاني الأيوبي الذى حكم في دمشق وحلب بين ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م ، ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م . انظـر

C.E. Bosworth, The Islamic Dynasties, in the series of Islamic Surveys, no. 5, ed. w.m. Watt., Edinburgh, the university press, 1967, pp.59-62.

(٣) أورد ابن الفرات صورة جيدة عن نوع واسلوب حكمه على العرب لها دلالتها . فقد كان يحب سفك الدماء والقتل ، واستعمل انواعا من القتل والتعذيب غريبة . ويعلق على ذلك بقوله ، ومع ذلك "فقد كان الفساد في زمنه مستشريا، وامر العرب لا يزداد الا شدة" تاريخ ابن الفرات ، ج ٨ ص ١٢-١٣ . وقد توفى في بداية حكم الظاهر بيبرس.

(٤) الروض الزاهر ، ص ٣٤، بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة (مخطوط) منسخة ميكروفيلم مصور عن مخطوط المتحف البريطاني رقم ١٢٣٣ . ج١٠ ورقه ٥١ ب . ابن حبيب ، درة الاسلاك في دولة الاتراك (مخطوط ومنه صورة بالفوتوستات في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم MS 951.1 : I 13dA) ج ١ ورقه ٣٤ أ حيث ذكر انه تولى الحكم على جميع العرب .

(١٢٦٥م) . وقد اطلق المؤرخون على هذا الامير لقب ملك العرب[١] .

وامتازت فترة امارة عيسى بن مهنا بالهدوء والاستقرار وقلة فساد الاعراب ، فقد "امتنع عن سفك الدماء الا بحكم الله، فأصلح له من امرة العرب ما فسد في أيام غيره وقل فسادهم بل كاد يعدم في أيامه، وانحسمت مادة أذاهم للقفول وغيرها"[٢] .

ويرجع ذلك الى لينه وحسن سياسته . ولم يقتصر الامر على ذلك ، بل كان للعرب وآل فضل خاصة ، دورهام في احداث الفترة التي تولى فيها امهنا الامرة ، من استكشاف أخبار التتار والمشاركة في حروب الدولة ضدهم .

وتولى الامير عيسى الامرة ، دون انقطاع ، مدة عشرين عاما لم تخرج عنه الا مرة واحدة ، وذلك عندما قام ، بالاشتراك مع أمير آل مرا ، بتأييد حركة سنقر الاشقر . وقد كان ذلك لمدة تقل عن العام[٣] ، عاد بعدها الى منصبه السابق واستمر فيه حتى توفى سنة ٦٨٣هـ(١٢٨٤م) . ولم ينافسه على الامرة خلال هذه الفترة سوى الامير زامل بن على بن حديثة [٤] ، وما كان بينه وبين الامير احمد بن حجي امير آل مرا من

---

(١) ذيل مرآة الزمان ، ج ٤ ص ص ٣٦ ، ٥٤ ، ٢٣١ ، الذهبي ، العبر في خبر من غبر (الكويت ، ١٩٦٧) ج ٥ ص ٣٤٤ ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب (القاهرة ، ١٣٢١ هـ) ج ٥ ص ٣٨٣ . فيت ، المنهل الصافي (ملخص بالفرنسية ، القاهرة ١٩٣٢) رقم الترجمة ١٧٧٣ .

(٢) تاريخ ابن الفرات ، ج ٨ ص ١٢—١٣ ، الطباخ ، اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (حلب ، ١٩٢٣—١٩٢٦) ج ٤ ص ٥٢٤ عن المنهل الصافي .

(٣) خرج عن الطاعة في محرم سنة ٦٧٩ هـ وعاد في ذى القعدة منها . ذيل مرآة الزمان ، ج ٤ ص ٣٦ ، ٥٤ . وستبحث حركة سنقر الاشقر بالتفصيل في الفصل الخامس .

(٤) الروض الزاهر ، ص ٢٧ ، النهج السديد ، ص ٢٩٣ ، المختصر ، ج ٤ ص ٣ ، ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات (قطعة من الجزء السادس حققها ميخائيل خورى ، رسالة في مكتبة الجامعة الاميركية ، بيروت ، ١٩٦١) ص ١٤٩ . السلوك ، ج ١ ص ٥٣—٣٦ .

المنافسة "ما يكون بين النظراء"[١] . وربما كان ذلك يرجع الى أخلاقه الشخصية التي أهلته لتولي هذا المنصب والاستمرار فيه. فقد وصفه اليونيني بانه كان "كريم الاخلاق، حسن الجوار، مكفوف الشر، مبذول الخير، لم يكن في العرب من يضاهيه، وعنده ديانة وصدق لهجة لا يسلك مسلك العرب في النهب وغيره"[٢] . ويضيف ابن حبيب الى ذلك انه كان "حسن السياسة، رفيع المنزلة، لا يعدل عن المعدلة"[٣] .

وتوفى الامير عيسى بن مهنا في ربيع الاول من سنة ٦٨٣هـ (أيار ١٢٨٤) ، وصُلّى عليه صلاة الغائب بدمشق في اليوم التاسع من هذا الشهر[٤]، وتولى الامرة بعده ابنه الامير مهنا .

وكان يعاصر الامير عيسى أمير الفرع الثاني من بنى ربيعة في بلاد الشام وهو الأمير أحمد بن حجي بن بريد[٥] "ملك العرب بالبلاد الحجازية"[٦] . وكانت امرة آل مرا ، كما رأينا، مستقلة عن امرة آل فضل ، الا انهم — نظريا — كانوا جميعا تحت نفوذ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ، ج ٤ ص ٢٣٢ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ، ج ٤ ص ٢٣١، وعنه ينقل صاحب المنهل الصافي الذى عنه نقل الطباخ في اعلام النبلاء ، ج ٤ ص ٥٢٤. ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة (القاهرة ، ١٩٢٩—١٩٥٦) ج ٧ ص ٣٦٣ .

(٣) درة الاسلاك ، ج ١ ورقه ٧١ ب .

(٤) ذيل مرآة الزمان ، ج ٤ ص ٢٣٢، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٣٦٣، اعلام النبلاء (عن المنهل الصافي) ج ٤ ص ٣٤٤ ، العبر في خبر من غبر ، ج ٥ ص ٣٤٤ ، درة الاسلاك ، ج ١ ورقه ٧٠ ب .

(٥) كان وامراء آل فضل يدّعون انهم من نسل البرامكة ، ولكن ذلك غير صحيح . مسالك الابصار ، ج ٣ ص ٢٦—٢٧ ، ذيل مرآة الزمان ، ج ٤ ص ١٨٣، ابن تغرى بردى المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (القاهرة ، ١٩٥٦) ج ١ ص ٢٤٨ ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٦ (تحقيق م. خورى) ص ٢٠٥—٢٠٦، ج ٧ ص ٢٨٢ شذرات الذهب ، ج ٥ ص ٣٧٦ .

(٦) ذيل مرآة الزمان ، ج ٤ ص ٣٦ .

" امير العرب" .

وكان نفوذ الامير أحمد يمتد من حوران الى الحجاز ونجد وبرية العراق ، حتى أن امير المدينة المنورة كان يؤدى له الخفارة (١) . كما انه كان على علاقة حسنة مع السلطانيين الملك الظاهر بيبرس والملك المنصور قلاوون فاخضع البادية لسلطتهما، وشارك باربعة آلاف مقاتل في حرب التتار سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١) (٢) .

ولا نجد في المصادر المتداولة الشيء الكثير عن سيرته وصفاته. واهم اشارة نجدها هي تلك التي اوردها ابن تغرى بردى اذ ذكر انه " كان غير مشكور السيرة "(٣) . ورغم ذلك ، فانه عندما توفى سنة ٦٨٢هـ (١٢٨٣) ببصرى (٤) ، صُلّى عليه صلاة الغائب بدمشق (٥) ، وذلك يدل على مكانته في ذلك الوقت .

وتولى الامرة من بعده اثنين من ابنائه ، واستمرت في بيتهم حتى نهاية القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) (٦) . ومن اشهر امرائهم المتأخرين الامير عنقاء بن شطي الذى سيرد ذكره كثيرا في حركة منطاش . ×

---

(١) المصدر ذاته، ص ١٨٣ وعنه نقل ابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٣٥٧ ، والمنهل الصافي ، ج ١ ص ٢٤٦. ومثل ذلك في تاريخ ابن الفرات ، ج ٧ ص ٢٨٢ .

(٢) مسالك الابصار ، ج ٣ ص ٤٩ .

(٣) ابن تغرى بردى ، المنهل الصافي ، ج ١ ص ٢٤٨ .

(٤) تاريخ ابن الفرات ، ج ٧ ص ٢٨٢ .

(٥) البداية والنهاية ، ج ١٣ ص ٣١٣ .

(٦) ارجع الى نسب آل مرا في الملحق الخاص بذلك .

× في الفصل الخامس من هذا البحث .

٣ — مهنا بن عيسى

في سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤) توفى الأمير عيسى بن مهنا ، وتولى الامرة بعده ابنه مهنا[١] ، الذى استمر فيها حتى سنة ٧٣٥هـ (١٣٣٥م) ، لكن الامرة خرجت عنه وعن آل فضل ، خلال هذه الفترة ، اربع مرات ، اما بسبب غضب السلطان عليه وعلى أهله لمساعدتهم الخارجين عن طاعة السلطان من الامراء الاتراك ، او لأنه كان على اتفاق — في الباطن — مع أخيه فضل على الخروج عن الطاعة لانهما وجدا في مثل هذا الخروج منفعة لهم حتى يحصلوا على الاقطاعات من المماليك والتتار[٢] . ففي شهر رجب من سنة ٦٩٢ هـ (حزيران ١٢٩٣م) أمسك السلطان الملك الاشرف خليل مهنا واخوته وسجنهم بمصر، واعطى الامرة لابن عمهم محمد بن ابى بكر بن على بن حديثة أمير آل

---

(١) لعل اشمل ترجمة لحياة مهنا هي تلك التي نجدها عند ابن فضل الله العمرى في مسالك الابصار ، (مخطوط أيا صوفيا) ج ٢٩ ورقه ١٠١—١٠٢ ، وابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنة ، ج ٤ ص ٣٦٨—٣٧٠ والتي تعتمد في معظمها على ما جاء عند ابن فضل الله. أما بقية المصادر ففيها اشارات عامة مفيدة عن علاقاته بالسلطنة المملوكية مثل الجزء الرابع من المختصر في اخبار البشر لابي الفداء وتتمته لابن الوردى الملحقة بهذا الجزء من المختصر.
لا نعرف تاريخ مولد الامير مهنا، لكننا نعرف انه كان ، عند وفاته ، قد ناهز الثمانين عاما. فاذا كان قد توفي سنة ٧٣٥ هـ (١٣٣٥م) فان تاريخ ميلاده كان بعد ٦٥٠هـ (١٢٥٢م) . تتمة المختصر، ج ٤ ص ١١٣ ، مسالك الابصار، ج ٢٩ ورقة ١٠٢ ، الدرر الكامنة ، ج ٤ ص ٣٦٨، ٣٧٠ ، البداية والنهاية ، ج ١٤ ص ١٧٢ — ١٧٣ .

(٢) مسالك الابصار، ج ٢٩، وحدث معظم ذلك بعد سنة ٧١٢ هـ . أما عن أخذهم الاقطاعات من الجانبين فارجع الى الفصل السادس .

على (١) . لكن ذلك الاعتقال لم يستمر طويلا . فبعد مقتل الملك الاشرف ، افرج الملك العادل زين الدين كتبغا عنهم في بداية سلطنته سنة ٦٩٤ هـ (١٢٩٥) (٢) ، واعاد الامير مهنا الى امرة العرب .

واستمر الامير مهنا هذه المرة في امارته حتى خرج الامير [illegible] قراسنقر على السلطان والتجأ الى مهنا واستجار به فاجاره . وقد حاول مهنا التوسط بين قراسنقر والسلطان ، الا ان هذه المحاولات فشلت مما ادى الى خروج مهنا عن الطاعة ايضا . فعزله السلطان عن الامرة وعين مكانه الامير فضل بن عيسى . (٣)

وبعد عزل مهنا عن الامرة قام اخوانه وابناؤه بالتوسط لدى السلطان لاعادته الى امرة العرب . وقد وافق السلطان على ذلك ، لكن مهنا رفض الذهاب الى القاهرة لتقديم

---

(١) زبدة الفكرة ، ج ١٠ ورقة ١٧٩ ب ، المختصر ، ج ٤ ص ٢٨ ، النهج السديد ، ص ٣٩٥ ، زيترشتين (ناشر) تاريخ سلاطين المماليك (ليدن ، ١٩١٩) ص ٢٢ ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ص ٣٣٢ ، درة الاسلاك ، ج ١ ورقة ٩٩ ب ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٨ ص ١٥٩ ، السلوك ، ج ١ ص ٧٨٤ — ٧٨٥ . ومع أن المصادر لا تذكر الاسباب التي دفعت الاشرف خليل الى ذلك ، الا ان ما نجده عند ابن فضل الله ، مسالك الابصار ، ج ٣ ص ٣٠—٣١ قد يوضح ذلك ، وهو تذمر مهنا وعدم تقديره لظروف الحرب ، وشكوى الولاة منه .

(٢) المختصر ، ج ٤ ص ٣٣ ، درة الاسلاك ، ج ١ ورقة ١١٠٦ ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٨ ص ١٨٥ ، السلوك ، ج ١٠ ص ٨٠٣ . وذكر ابن فضل الله قصة وافية عن حياتهم في المعتقل في سجن القلعة في القاهرة . مسالك الابصار ، ج ٣ ص ٣١ وما بعدها .

(٣) المختصر ، ج ٤ ص ٧٨ ، السلوك ، ج ٢ ص ١١٨ ، ١٣٢ .

الطاعة الى السلطان . وادى ذلك الى غضب السلطان فأرسل القوات لطرد مهنا وآله من منازلهم (١) .

وفي سنة ٧٢٠ هـ (١٣٢٠م) عُيّن الامير محمد بن ابى بكر أميرا على العرب مكان مهنا . ثم عزل محمد ليعاد تعيين الامير فضل بن عيسى مرة أخرى (٢) .

واستمر الامير مهنا خارجا عن طاعة السلطان يتنقل في البرية بين الشام والعراق ، حتى عاد الى الطاعة سنة ٧٣٤هـ (١٣٣٤م) (٣) . وقد دامت النفرة بينه وبين السلطان الملك الناصر مدة تزيد على العشرين عاما (٤) . فاعيدت له الامرة والاقطاعات ، لكنه لم يستمتع بها اذ توفي في سلمية في ذى القعدة سنة ٧٣٥ هـ (حزيران ١٣٣٥م) (٥) .

---

(١) المختصر ، ج ٤ ص ٨٩ ، مسالك الابصار ، ج ٣ ص ٤٥ ، العبر ، ج ٥ ص ٩٤٢ ، السلوك ، ج ٢ ص ١٣٨-١٣٩ .

(٢) المختصر ، ج ٤ ص ٩١ ، العزاوى ، تاريخ العراق بين احتلالين (بغداد ، ١٩٣٥) ، ج ١ ص ٤٠٦ عن عقد الجمان للعيني (مخطوط) ج ٢٢ (دون تحديد الورقة او الصفحة) .

(٣) ذكر الصفدى ، الوافي بالوفيات (نشر جمعية المستشرقين الالمان ، عدة مطابع ، ١٩٣١-١٩٥٩) ج ٢ ص ٢٢٥ ، ان عودة مهنا الى الطاعة كانت سنة ٧٣٥ هـ (١٣٣٥م) .

(٤) اسهب ابن فضل الله العمرى في وصف عودة مهنا الى الطاعة . ومثل ذلك في المصادر الأخرى . وقد كان من اهداف سياسة الملك الناصر محمد بن قلاوون عودة مهنا الى صاعته . انظر: مسالك الابصار ، ج ٢٩ ورقة ١٠٢ ، المختصر ، ج ٤ ص ١١٣ ، البداية والنهاية ، ج ١٤ ص ١٧٣ . وورد في الدرر الكامنة ، ج ٤ ص ٣٧ ان عودته كانت سنة ٧٣٣ هـ . انظر ايضا : الدواداري ، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر (القاهرة ، ١٩٦٠) ص ٤٧٩ ، العبر ، ج ٥ ص ٩٤٢ ، درة الاسلاك ، ج ٢ ورقة ٢٤٤ .

(٥) تتمة المختصر ، ج ٣ ص ١١٦ . وفي مسالك الابصار ج ٢٩ ورقة ١٠٢ . انه توفي في اواخر ذى القعدة سنة ٧٣٥هـ ، وان مرضه كان "بالبطن" . انظر ايضا : البداية والنهاية ، ج ١٤ ص ١٧٢-١٧٣ ، الدرر الكامنة ، ج ٤ ص ٣٧٠ . أما صاحب الدر الفاخر ، ص ٣٧٩ فقد ذكر ان وفاته كانت في ذى الحجة من سنة ٧٣٤ هـ ، وكذلك في العبر ، ج ٥ ص ٩٤٢ ، ولكن ذلك غير صحيح اذ انه عاد من مصر الى الشام في محرم سنة ٧٣٥هـ (ايلول ١٣٣٤م) . ويؤيد ذلك ابن حبيب في درة الاسلاك ، ج ٢ ورقه ٢٤٤ .

وكان الأمير مهنا "كبير القدر عند العرب محترما عند الملوك" بالشام ومصر والعراق(١) . ومن اعماله المذكورة في الاخبار انه بنى بيمارستاناً "بسرمين، احدى اقطاعات آل فضل(٢) . وقد اثرت وفاته على العرب، وحزن عليه الجميع واقاموا له "مأتما بليغا ولبسوا السواد"(٣) .

أما صفاته الشخصية فقد أجملها ابن فضل العمرى في ترجمته له، وهي: انه كان مشهورا بالدين والعفة لا يأخذ اموال الرعية كثير العدل في احكامه(٤) . وذكر أحد معاصريه(الذهبي)انه كان "وقورا متواضعا لا يحفل بملبس، دينا، حليما، ذا مروءة وسؤدد"(٥) .

ومع ذلك فانه "لم يعرف له مكارم كما تقدم للعرب من مكارمها"(٦) . كما كان كريم

---

(١) البداية والنهاية، ج ١٤ ص ١٧٢، درة الاسلاك، ج ٢ ورقة ٢٤٤ .

(٢) نتمة المختصر، ج ٤ ص ١١٦ .

(٣) المصدر ذاته، ص ١١٦ وشذرات الذهب، ج ٦ ص ١١٢، ج . فيت، المنهل الصافي، ترجمة رقم ٢٥٤٨ ص ٣٨٣ . واورد ابن فضل الله في ترجمته لمهنا صورة جيدة لعادات العرب في المآتم من عمل الولائم والعزاء فقال: "ووردت سائر العرب ونساوانها [النساء] في عزاه وملو [ملأوا] دسوق دبس، وبقيت المرأة تلطخ وجهها بالدبس ثم بالرماد" و "كانت له ولائم عظيمة كل احد من اولاده يعمل مائة منسف ومايتين وثلاثمائة منسف كل أحد على مقدرته وحضرها سائر العرب باسرها متفاوتين مدة ايام كثيرة". ثم "ولا احتفلوا بأمره من قراءة ختم ولا مواعيد ولا وعاظ كما يفعل في المدن". مسالك الابصار، ج ٢٩ ورقة ١٠٢ .

(٤) مسالك الابصار، ج ٢٩ ورقة ١٠١ .

(٥) الدرر الكامنة، ج ٤ ص ٣٧٠ عن الذهبي . وكانت قيمة جميع ما يلبسه لا تساوى ٥٠ درهما رغم انه كان من الاغنياء، كما أن أكله اقتصر على حليب ناقة له او ما كان يصيده بنفسه. مسالك الابصار، ج ٢٩ ورقة ١٠١ .

(٦) مسالك الابصار، ج ٢٩ ورقة ١٠١ .

النفس يكره انعامات السلطان ويردها كثيرا ويلومه كثيرا على افساده العرب بكثرة ما كان ينعمه عليهم من الاموال والمتاع (١) .

وشهدت الفترة التي تلت وفاة مهنا نزاعا مستمرا على الامرة بين ابناء مهنا وبين هؤلاء وآل فضل بن عيسى . ففي محرم سنة ٧٣٦هـ (آب ١٣٣٦) ولي الامرة موسى اكبر ابناء مهنا (٢) ، وبقيت في يده حتى وفاته سنة ٧٤٣هـ (١٣٤١) (٣) . وتولاها من بعده ، على التوالي ، الامراء فياض بن مهنا (٤) ، وسليمان بن مهنا (٥) ، وعيسى بن فضل (٦) ، وسيف بن فضل بن عيسى (٧) ، واحمد بن مهنا (٨) ، حتى استقرت اخيرا

---

(١) مسالك الابصار ، ورقة ١٠١ .

(٢) زيتر ستين ، تاريخ سلاطين المماليك ، ص ١٩٠ ، البداية والنهاية ، ج ١٤ ص ١٩٣ ، درة الاسلاك ، ج ٢ ورقة ٢٧٧ أ ، السلوك ، ج ٢ ص ٤٥٢—٤٥٣ ، الدرر الكامنة ، ج ٤ ص ٣٧٠ ، النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ص ٧٦ .

(٣) ربما كان من الاسباب التي ادت الى امرته ما ذكره ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٤ ص ٣٨٢ من انه لم يخرج عن الطاعة قط "ولا تناول اقطاعا من المغل". توفي بتدمر .

(٤) السلوك ، ج ٢ ص ٦٢٣ ، الدرر الكامنة ، ج ٣ ص ٢٣٤ .

(٥) ت ٧٤٤ هـ (١٣٤٣م) تتمة المختصر ، ج ٤ ص ١٤٠ ، درة الاسلاك ، ج ٢ ورقة ٢٨٠ ، الدرر الكامنة ، ج ٣ ص ١٦٣—١٦٤ ، السلوك ، ج ٢ ص ٦٣٧ ، اعلام النبلاء ، ج ٤ ص ٥٧٨ عن المنهل الصافي .

(٦) ت ٧٤٤هـ (١٣٤٣م) . السلوك ، ج ٢ ص ٦٥٩ ، الدرر الكامنة ، ج ٣ ص ٢٠٨ .

(٧) ت ٧٦٠هـ (١٣٥٨م) . البداية والنهاية ، ج ١٤ ص ٢٦٣ ، درة الاسلاك ، ج ٢ ورقه ٣٣٨ ب — ٣٣٩ أ ، النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ص ٣٣٠ .

(٨) ت ٧٤٩ هـ (١٣٤٨م) . وعند ابن الوردي ، تتمة المختصر (سنة ٧٤٨هـ) ج ٤ ص ١٥٤ . درة الاسلاك ، ج ٢ ورقه ٣٠١ أ ، ذيل تاريخ الاسلام ، ج ١ ورقه ٦٤ ب وما بعدها ، الدرر الكامنة ، ج ١ ص ٣٢١—٣٢٢ .

لحيار بن مهنا بن عيسى الذى كتب له بولاية الامرة في ذى الحجة سنة ٧٤٩ هـ (شباط ١٣٤٩م) (١) .

٤ - حيار بن مهنا

ولد حيار بن مهنا بعد سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠) (٢) . ولا نعرف شيئا عن حياته الاولى - كالعادة بالنسبة لجميع امراء العرب - الى أن أصبحت له مشاركة فعالة في الأحداث ايام امرة والده (٣) .

ولم يبق حيار طويلا في امرته الاولى ، اذ عزل سنة ٧٥٢ هـ (١٣٥١م) باخيه فياض، وذلك بسبب مشاركته في العصيان مع بيغا اروس الامير المملوكي وقراجا بن دلغادر التركماني (٤) . ثم عزل فياض عن الامرة لتعطي لسيف بن فضل مما ادى الى اتفاق حيار وفياض ضده ، وركبوا الى " اقطاعاتهم التي خرجت عنهم لسيف بن فضل وبريد بن تتر [ططر] الكلابي ، وقسموها ورفعوا مغلاتها فلم يستطع سيف معارضتهم لقوتهم وكثرتهم . . . " (٥) . وكان يحدث مثل هذا الموقف في معظم الحالات التي كانت تخرج

---

(١) السلوك ، ج ٢ ص ٧٧١، ذيل تاريخ الاسلام ، ج ١ ورقه ٢٢٤ ب .

(٢) ذلك انه ذُكر انه توفي عن بضع وستين سنة . ولما كانت وفاته سنة ٧٧٦ هـ ، فان الراجح انه ولد خلال المدة بين ٧١٠-٧٢٠ هـ . السخاوى ، الضوء اللامع لاعيان القرن التاسع (القاهرة ، ١٣٥٣-١٣٥٥هـ) ج ١٠ ص ٢٠٤ .

(٣) الدرر الكامنة ، ج ٢ ص ٨١ .

(٤) ذيل تاريخ الاسلام ، ج ١ ورقة ١٢٧ أ ، النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ص ٢٧١ . وبيبغا أروس من كبار الامراء المماليك زمن السلطان الملك الناصر ، تولى نيابة السلطنة مدة ، وأمسك في سنة ٧٥١ هـ . وقد قام بحركة في بلاد الشام شارك فيها التركمان بقيادة قراجا بن دلغادر . الدرر الكامنة ، ج ١ ص ٤٧٦-٤٧٧ . وكان قراجا بن دلغادر اول امير من التركمان يعينه المماليك ، وتوفى سنة ٧٥٤ هـ . السلوك ، ج ٢ ص ٤٣٠-٤٣١ حاشية ٥ ، هز ٩٠٦ .

(٥) السلوك ، ج ٢ ص ٨٩٦ .

فيها الامرة عن آل مهنا الى غيرهم من اقربائهم . فقد كانوا يكثرون من العبث والفساد وقطع الطرق على التجار والحجاج وكانوا من القوة بحيث لم يكن بامكان غيرهم المحافظة على الامن والاستقرار في مناطق نفوذهم .

وحاول السلطان استرضاءهم ، لكن محاولاته فشلت(١) ، فأعطى الامرة الى سيف بن فضل وعمر بن موسى بن مهنا . وبقي حيار خارجا عن طاعة السلاطين الى أن تمكن اصحابه من اقناعه بالدخول في الطاعة سنة ٧٥٥هـ (١٣٥٤م) ، فأعيدت اليه الامرة ، ثم خرجت عنه الى أخيه فياض(٢) .

وفي سنة ٧٦١هـ (١٣٥٩) عزل الامير حيار مرة أخرى ، وتولى الامرة شراكة احد امراء آل مهنا ورملة بن جماز من آل على(٣) . ومنذ ذلك التاريخ وحتى ولايته الأخيرة للامرة سنة ٧٧٥هـ (١٣٧٣م) تولى وعزل عدة مرات بسبب قتله قشتمر المنصورى نائب السلطنة بحلب (سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م) ، ولخروجه المستمر عن الطاعة(٤) . واستمر في ولايته الأخيرة هذه حتى وفاته سنة ٧٧٦هـ (١٣٧٥م)(٥) .

---

(١) السلوك ، ج ٢ ص ٨٩٦ .

(٢) ذيل تاريخ الاسلام ، ج ١ ورقه ٢٢٤ ب ، السلوك ، ج ٢ ص ٩١٧-٩١٨ .

(٣) البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٢٧٢ ، ذيل تاريخ الاسلام ، ج ١ ورقه ٢٥٤ ب .

(٤) ارجع الى ذيل تاريخ الاسلام ، ج ١ ورقه ٢٢٤ ب ، ٢١٨ أ ، ١٦٤ أ ، ١٧٩ أ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ١ ص ٧٨ ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ص ٨١ ، العبر ، ج ٥ ص ٩٤٤ ، ١٠٠٥ .

(٥) ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ١ ص ١١٦-١١٧ ، ٣١٩ ، الدرر الكامنة ، ج ٣ ص ٢٣٦ ، ذيل تاريخ الاسلام ، ج ١ ورقة ٢٦٠ أ .

٥ - نعير بن حيار

عين السلطان مكان الامير حيار، أخاه قارا بن مهنا [١]، الذى استمر في امرة العرب حتى وفاته، فتولاها شراكة أحد امراء آل فضل وزامل بن موسى بن مهنا، وبقوا في مناصبهم الى ان أعطيت للامير شمس الدين محمد نعير بن حيار بن مهنا [٢].

وكان للامير نعير، في بداية امرته، نصف امرة آل فضل، أما النصف الثاني فكان للاميرين زامل بن موسى ومعيقل بن فضل [٣]، ثم استقل عنهما في رمضان سنة (٧٨٠هـ (كانون اول ١٣٧٩م) ثم اصبحت له الامرة كاملة [٤]. لكن استقلاله هذا لا يعنى ان الامرة كانت له حتى وفاته. فقد حصل له ما حصل لغيره من قبل وهو خروج الامرة عنه. وقد حدث ذلك ثلاث مرات على الأقل خلال سلطنة الظاهر برقوق: في سنة ٧٨٥هـ(١٣٨٣م)، وعند قيام حركة الناصرى التي خلعت السلطان برقوق ونفته الى الكرك، وعند عودة الظاهر مرة أخرى الى السلطنة. ولم يعاد الى الامرة الا بعد وفاة السلطان الظاهر وتوليه ابنه الناصر فرج (شوال ٨٠١ هـ/حزيران ١٣٩٩م) حيث رسم السلطان الجديد بأن "يكتب له (النعير) بامرة آل فضل على عادته" [٥].

---

(١) ت ٧٨١ هـ (١٣٧٩م). ذيل تاريخ الاسلام، ج ١ ورقه ٢٦٠ أ، ابن حجر، انباء الغمر، ج ١ ص ٣١٩، الدرر الكامنة، ج ٣ ص ٢٣٦، النجوم الزاهرة، ج ١١ ص ٣٨١.

(٢) ولد بعد ٧٣٠هـ، ذلك انه عندما توفى كان قد نيف على السبعين. السخاوى، الضوء اللامع، ج ١٠ ص ٢٠٤، وكان اسمه قبل الامرة نعير، وعندما تأمر أضيف اسم محمد الى اسمه. صبح الاعشى، ج ٧ ص ١٨٦.

(٣) ذيل تاريخ الاسلام، ج ١ ورقه ٢٥٨ أ.

(٤) المصدر ذاته، ورقه ٢٥٨ ب، والعبر، ج ٥ ص ٩٤٤.

(٥) ذيل تاريخ الاسلام، ج ٢ ورقه ١٤٣ ب. ويعلق ابن حجي المؤرخ في هذا المصدر على عودة نعير الى الامرة بقوله "وفي ذلك مصلحة للمسلمين لحسن سيرة هذا الرجل". ج ٢ ورقه ٣٩ ب - ٤٠ أ.

وحياة نعير هذا حافلة بالاحداث خاصة ما تعلق منها بعلاقاته مع السلطان برقوق ، ومع امراء ونواب السلطنة بدمشق وحلب. وشارك مشاركة فعالة كان لها اثرها الكبير في استيلاء يلبغا الناصرى على السلطة في القاهرة ، كما كان الساعد الايمن لمنطاش في ثورته ضد الناصرى وبرقوق (١) .

ولا تزودنا المصادر المعاصرة بما يكفي من المعلومات عن صفاته، ومع ذلك فهي تعطي فكرة عن هذا الامير المشهور . فـ De Mignanelli الذى عرفه جيدا يذكره في السيرة التي وضعها عن السلطان الظاهر برقوق ، انه كان قصيرا، جذابا، وكريما في عطاياه، كما كان شجاعا ينتصر دائما في المعارك مع انه كان كبير السن (٢) . ويؤيد ذلك بعض الشيء ما جاء عند السخاوى من انه كان "شجاعا، جوادا، مهيبا، الا انه كثير الغدر والفساد" (٣) .

ومات الامير نعير مقتولا في شوال سنة ٨٠٨هـ (آذار ١٤٠٦م) على اثر الواقعة بينه وبين نائب السلطنة في حلب التي انكسر فيها (٤) . وبمقتله ضعفت شوكة آل فضل وكاد امرهم ان يتلاشى (٥) .

---

(١) سيبحث ذلك بالتفصيل في الفصل الخامس .

(٢) نشر ولتر فشل ترجمة لهذه السيرة بعنوان Ascensus Barcoch: a Latin Biography of the Mamluk Sultan Barquq of Egypt, Arabica (1959), p. 165.
De Mignanelli أحد ابناء النبلاء الايطاليين . سافر في شبابه الى الشرق ، واستوطن دمشق واصبح فيها من رجال المال الاغنياء والمكانة الهامة . وكان يعرف اللغة العربية معرفة جيدة ، كما كان يعرف بلاد الشام معرفة جيدة فقد عاش في دمشق والقاهرة والقدس وسيناء . ولد ١٣٧٠م وتوفي سنة ١٤٥٥م.
Ascensus Barcoch, pp. 60-61.

(٣) الضوء اللامع، ج ١٠ ص ٢٠٤، وعنه ينقل الطباخ في اعلام النبلاء ، ج ٥ ص ١٤٨ .

(٤) قتله الامير جكم بعد مسكه وسجنه في حلب. النجوم الزاهرة (ط. بوبر) ج ٦ قسم ١ ص ٢٨٣ .

(٥) قلت اخبار آل فضل بعد مقتل نعير.

الفصل الرابع

امراء العرب وسلطنة المماليك

— ١ —

امارة العرب منصب رسمي · واجبات أمراء العرب تجاه الدولة

اقطاعات أمراء العرب

انشئت امارة العرب الرسمية ، كما رأينا ، في مطلع القرن السابع الهجرى (الرابع عشر الميلادى) (او في نهاية القرن السادس الهجرى/ الثالث عشر الميلادى) . ومن بداية قيام هذه الامارة كان لا بد من وجود علاقة رسمية بينها وبين الدولة الأيوبية سواء أكان مركز هذه الدولة دمشق او حلب او القاهرة (١) . لكن الاخبار المتفرقة التي نجدها في المصادر المعاصرة لفترة نصف القرن الاخير للدولة الايوبية (٦٠٠-٦٥٠هـ/ ١٢٠٤-١٢٥٢م) لا تساعدنا في تحديد هذه العلاقة ولو بشكل عام . وكل ما تزودنا به المصادر يتعلق باخبار القبائل ودورها في الاحداث المعاصرة (٢) ، مما ليس له علاقة بأمارة العرب وما طرأ عليها من تطورات في فترة نصف القرن التالي لقيامها (٣) . لكن مصادر عصر المماليك تقدم لنا ما نحتاج اليه من المعلومات والوثائق التي توضح ما نشأ من تنظيم لدور القبائل - التي كانت تعرف بـ "عربان الطاعة" (٤) - التي كانت تخضع لسلطة دولة المماليك ، وما طرأ على هذا التنظيم من تبدّل وتغير، وما كان من علاقة بين امارة العرب والسلطنة المملوكية في القاهرة

---

(١) لا نجد ما يدل على قيام علاقة رسمية دائمة بين امراء العرب والفاطميين والزنكيين والايوبيين زمن صلاح الدين بالرغم من أن هذه الدول كانت تعطى امراء العرب الاقطاعات . انظر: مرآة الزمان ، ج ٨ ص ٣٠٦، الجوهر الثمين ، ص٩، خطط الشام ، ج ٢ ص ٢٤ .

(٢) كان والي دمشق ، زمن صلاح الدين الأيوبي ، المسؤول عن شؤون قبائل العرب في بلاد الشام . جب ، "جيوش صلاح الدين" في دراسات في حضارة الاسلام ، ص ١١٨ حاشية ٧٢ .

(٣) ربما كان يرجع ذلك الى عدم وضوح العلاقة بين الامراء والدولة الايوبية ، وان امرة العرب لم تكن جزءا من جهاز الدولة كما صارت اليه زمن المماليك .

(٤) W. Popper, Egypt and Syria Under the Circassian Sultans, (University of California Press, Berkely, Los Angeles, 1955-1957) vol. 2, pp. 1-2.

ونوابها في ممالك الشام (١) .

وفي عصر المماليك أصبح منصب "امير العرب" منصبا رسميا (٢) مثله مثل بقية المناصب الاخرى . واصبح لحامل لقب الامرة مرتبة في الجهاز الادارى المملوكي ، التي على أساسها تحددت العلاقة بينه وبين الدولة . وانشئ في مركز الدولة وعواصم النيابات الهامة وظائف ، ورتب فيها موظفون ، كانت شؤون القبائل وامرائها تشكل القسم الاكبر من مهامهم (٣) .

وكان امير العرب وامراء القبائل ، كأصحاب مناصب رسمية في الدولة ، يعتبرون من ارباب السيوف ، ويعدون ضمن هذه الفئة عند ذكر مهام موظفي الدولة . فقد كان امراء العربان في مصر يشكلون الطبقة الرابعة والاخيرة من ولاة الامور من جماعة ارباب

---

(١) في سنة ٦٥٩هـ (١٢٦١م) عين السلطان الظاهر بيبرس "عدة" من امراء العربان . الروض الزاهر ، ص ٣٤، زبدة الفكرة ج ١٠ ورقة ٥١ ب ، السلوك ، ج ١ ص ٤٥٨ . كما كتب "منشور الامرة على جميع العربان" لعيسى بن مهنا . السلوك ، ج ١ ص ٤٦٥، ٥٤١ .

(٢) في حوادث سنة ٧٠٠هـ (١٣٠١) ذكر ابن ايبك الدوادار في الدر الفاخر ، ص ٤٢، بمناسبة بداية القرن الجديد ملوك العالم الاسلامي فذكر "وامير العربان حسام الدين مهنا بن عيسى" . كما أن De Mignanelli يصرح بأن نعيرا كان يتولى منصبه بصفة رسمية . Ascensus Barcoch, p.153

(٣) لعل من أهم الوظائف ذات العلاقة بامراء العرب هي وظيفة المهمندارية : اى التي تهتم بتلقى الرسل وامراء العربان . صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٢٢ . وكانت هذه الوظيفة لارباب السيوف وكان ترتيبها بين الوظائف بحضرة السلطان بالقاهرة رقم (١٨) (يضع Popper ترتيبها، في تقسيمه الخاص، في مصر (٢٣) وفي الشام (١٥) Egypt & Syria, I, pp.94&106 وقد كان في كل من دمشق وحلب وحماه مهمندار . صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٨٧، ٢١٨، ٢٣٤، ٢٣٨، المقريزى ، الخطط (القاهرة ، ١٢٧٠هـ) ج ١ ص ٤٦١ . "ومهمندار" من الالقاب الاعجمية الخاصة بارباب الوظائف ، فارسية الاصل : مهمن بمعنى الضيف ، و "دار" بمعنى الممسك والمتصدى له . صبح الاعشى ، ج ٥ ص ٤٩٥ .

السيوف[١] . ومثل ذلك كان الأمر بالنسبة لعربان الشام الذين ارتبط امراؤهم بالسلطان مباشـرة .

ولما كان منصب امير العرب — وامراء العربان — من المناصب الرسمية [٢] ، فقد كان مرتبطا بالسلطان مباشرة . فالسلطان هو الذى كان يعين "امير العـرب" والامراء على مختلف القبائل ، وحتى امراء فروع القبيلة الواحدة [٣] ، على مختلف درجاتهم ومراتبهم من امير العرب الى الامير المقدم الى الامير ببوق وعلم .

وكان يتم تعيين الامير بوثيقة رسمية هي "مرسوم" بالتقليد او "منشور" بالامرة [٤] ، يرسل الى الامير المعين من الديوان في القاهرة او يحمله الامير معه اذا كان موجودا في العاصمة وقت تعيينه . اما عزل الامير فلا نعرف اذا كان يتم بمرسوم أم ان تعيين امير جديد مكانه كان كافيا للاشعار بعزله واعتبار الامارة خارجة عنه .

وكان امراء القبائل على مراتب متفاوتة من حيث الاهمية ، ويتضح ذلك من اسلوب الكتابة اليهم والالقاب التي توضع في "طرة" الكتب المرسلة اليهم ، ونوع وعدد الالقاب التي تكتب الى كل واحد منهم والتي تدل على مركزه ومرتبته في جهاز الدولة . فرسم المكاتبة

---

(١) صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٦٧ ، ج ٥ ص ٤٩٧ ، Popper, Egypt & Syria, I, p. 103.

(٢) ولقب أمير من الالقاب الخاصة بأرباب الوظائف في الدولة وهو زعيم الجيش او الناحية "او نحو ذلك ممن يوليه الامام" . صبح الاعشى ، ج ٥ ص ٤٤٩ .

(٣) كان السلطان يعين أمير العرب من آل فضل وكان هذا الامير اميرا لفرع قبيلته: آل فضل ثم آل مهنا ، واذا خرجت الامرة عن أمير من الامراء ، كان يبقى بقية الامراء في مناصبهم . ارجع الى الملحق رقم ٢ ورقم ٣ لنعني "تقليد" و "منشور" بامرة العرب .

(٤) المنشور هو ما يكتب فيه بالاقطاعات الى الجميع . وقد كانت المناشير على حسب الرتب . وقد كانت مناشير العرب تمتاز بالقاب والفاظ تخصهم . صبح الاعشى ، ج ١٣ ص ١٩٨ ، وفي هذه الحالات كان المنشور وثيقة تعيين واقطاع .

الى امير آل فضل — الذى كان معظم الوقت امير العرب — كان "ادام الله تعالى المجلس العالى الاميرى . . . "(١) . أما من هو نظيره ومدانيه وعدته الامرة ، فرسم المكاتبة اليه " . . . المجلس العالى "، ومن دونه "السامى الامير"(٢) . هذا ما كان يخص آل فضل ، أما آل على فقد كان رسم المكاتبة اليهم: "صدرت هذه المكاتبة الى المجلس السامي الاميرى"(٣) . ومثل ذلك كان يكتب لامراء آل مرا . اما من كان دون امراء آل على وآل مرا من أقاربهم فانه كان يكتب لاعيانهم "السامى الامير"، ومن هم أقل مرتبة من هؤلاء "مجلس الامير"(٤) . وقد كانت مرتبة امراء بنى عقبة مثل مرتبة امراء آل مرا(٥) ، أما بنو مهدى فقد كانوا أقل مرتبة من بنى عقبة ولذلك فقد كان يكتب لهم "مجلس الامير"(٦) . وكان الوضع بالنسبة لبقية القبائل العربية كالتالي ، فقد كان يكتب لاهم مقدميهم وكبرائهم واشياخهم "مجلس الامير" ومعظمهم لم يكن يكاتب اطلاقا(٧) .

وكان عدد الالقاب التي توضع في طرة الكتب يتفاوت ايضا حسب مراتب الامراء . فعدد

---

(١) التعريف ، ص ٨٠، صبح الاعشى ، ج ٧ ص ١٨٥ .

(٢) التعريف ، ص ٨٠، صبح الاعشى ، ج ٧ ص ١٨٥ . و "العالى" ارفع مرتبة من "السامى" ، و "الاميرى" ارفع من "الامير"، ذلك : ان كتاب المراسلات اتفقوا على "ان يكون ما لحقت به ياء النسبة ارفع مرتبة مما تجرد ، سواء اكان منسوبا الى نفس صاحب اللقب او غيره" . صبح الاعشى ، ج ٦ ص ١٠٠ . وانظر عن مراتب بقية امراء آل مهنا وآل فضل بن عيسى ، صبح الاعشى ، ج ٧ ص ١٨٦ .

(٣) التعريف ، ص ٨٠، صبح الاعشى ، ج ٧ ص ١٨٦ .

(٤) التعريف ، ص ٨٠ .

(٥) التعريف ، ٨٠، صبح الاعشى ، ج ٧ ص ١٨٨ .

(٦) التعريف ، ص ٨٠، صبح الاعشى ، ج ٧ ص ١٨٨ .

(٧) نفس المصادر السابقة ، وذات الصفحات .

القاب امير آل فضل كانت حوالي ثلاثة وعشرين لقبا(١)، واميرآل مرا ثمانية عشر لقبا(٢)، وبقية امراء العرب احد عشر لقبا(٣).

ومع انه كان لامراء العرب مراتب كمراتب ارباب السيوف الآخرين، الا انهم لم يكونوا في منزلة ومركز جميع هؤلاء. فقد كانت مراتب امراء العرب أقل من مراتب امراء الجند الكبار واصحاب المناصب المملوكية الهامة الاخرى، لكنها كانت تتوافق ومراتب أصحاب المراتب الاخرى والأقل اهمية. فقد كانت صيغة "اعز الله أنصار المقر الكريم" مما يكتب الى أمير آل فضل، وكاشف الصفقة القبلية، ومقدمي الالوف بالشام وناظر الجيش به، ونائب حمص(٤). اما أكابر عرب آل فضل، واميرعرب آل علي، واميرآل موسى بن مهنا، فقد كان رسم المكاتبة اليهم عن نائب الشام مثل امراء العشرات بمصر، وامراء العشرينات بالشام، ومقدم عرب بني عقبة، ونائب مصياف ومتولي بيروت، وكان هذا الرسم "ادام الله تعالى نعمة الجناب العالي"(٥). كما كانت رتبة امراء آل مرا، ومقدم عرب جرم، ومقدم عرب بنـي مهدى، مثل رتبة امراء العشرات بدمشق ووالي المدينة بها، ووالي البر بدمشق، وامراء العشرينات بحلب، وصيغة المكاتبة "المجلس العالي مع الدعاء"(٦). ونجد في صيغة أخرى من صيغ المكاتبة الى امراء العربان انه كان لامراء آل فضل المعزولين رتبة خاصة بهم، أقل

---

(١) صبح الاعشى، ج ٦ ص ١٤٠.

(٢)، (٣) صبح الاعشى، ج ٦ ص ١٤٢.

(٤) صبح الاعشى، ج ٨ ص ٢٢٠..

(٥) صبح الاعشى، ج ٨ ص ٢٢٠-٢٢١.

(٦) صبح الاعشى، ج ٨ ص ٢٢١.

من رتبة الامراء الذين في الخدمة وتعادل رتبة أمير آل على ونائب الرحبة وأكابر الطبلخاناة بالشام (١) .

نرى مما تقدم أن منصب "امير العرب" وامراء العربان — خاصة امراء عربان بلاد الشام "لانهم جل القوم وعين الناس ولا عناية للملوك الا بهم، ولا مبالاة بغيرهم" (٢)، ولأن عرب مصر "على سعة اموالهم واتساع نطاق جماعاتهم ليسوا عند السلطان في الذروة ولا السنام اذ كانوا أهل حاضرة وزرع وليس منهم من ينجد ولا يتهم ولا يعرق ولا يشأم ولا يخرجون عن جدر الجدران" (٣) — كانت من المناصب الرسمية ، ذات العلاقة الوثيقة بالادارة في القاهرة ، وأن هذه الصلة جعلتهم من أرباب السيوف على اعتبار انهم من ارباب الولايات في البلاد (٤) .

مهام امراء العرب تجاه الدولة

يرجع كل هذا الاهتمام بامراء العرب وقبائلهم، وربطهم بجهاز الدولة ، واعطائهم

---

(١) صبح الاعشى ، ج ٨ ص ٢٢١ .

(٢) التعريف، ص ٧٩ ، صبح الاعشى، ج ٧ ص ١٨٤ .

(٣) التعريف ، ص ٧٦ .

(٤) في المقالة الخامسة من صبح الاعشى ، قسم البحث المتعلق بالولايات الى اربعة ابواب ، وكل باب منها الى فصول . والفصل الاول قسم الى ٣ طبقات ، والطبقة الثالثة منها الى خمسة انواع ، النوع الاول منها ولايات ارباب السيوف التي قسمت الى ثلاثة اصناف ، الصنف الثاني ولاية امراء العربان، حيث ذكر "وهؤلاء لا حظ لهم في الكتابة بالولاية بالديار المصرية الآن وربما يكتب لامرائهم بالمملكة الشامية : كأمير آل فضل وامير آل مرا وامير آل على ومقدم جرم ... والمعنى في اختصاص من بعد منهم ما تقدم في الكلام على ارباب السيوف مع ضعف شأن عرب الديار المصرية وعدم الاهتمام بامرهم". صبح الاعشى ، ج ٩ ص ٢٥٤، وانظر ايضا المصدر ذاته ، ج ١٢ ص ١١٨ ، وانهم ممن يولي عن الابواب السلطانية ، المصدر ذاته ، ج ١٢ ص ٢٩٣ .

الامتيازات الكثيرة من اقطاعات وهبات وانعامات ، الى الاعمال التي كان يقوم بها العرب خدمة لمصالح الدولة . فماذا كانت هذه الاعمال التي كان يقوم بها — والتي كان يفترض منهم القيام بها — امراء العرب من آل فضل وامراء العربان وقبائلهم ، للدولة المملوكية في مختلف المجالات ، وفي حدود امكاناتهم وطبيعة حياتهم البدوية ؟

كانت القبائل العربية تسيطر على القسم الاكبر من اراضي الدولة المملوكية (١) . ونتيجة لذلك فقد لعبت دورا في الحياة السياسية لمنطقة بلاد الشام وباديتها لا يمكن اهماله، خاصة وأن هذه القبائل — مع القبائل التركمانية — كانت تكون قوة عسكرية سياسية لها اهميتها . وكان يمكن ان يكون لهذه القوة دورها الايجابي او السلبي في حياة المنطقة تبعا لمقدرة الدولة المملوكية في المحافظة على استمرار ولاء هذه القبائل لها، لا سيما وأن ما كان يهم العرب البدو في هذه الفترة ، بالدرجة الاولى ، المحافظة على مصالحهم دون النظر الى اعتبارات ولاء لارض او دولة او عقيدة دينية . ومن هنا كانت اقامة امارة العرب زمن الايوبيين ، ثم تقويتها وتثبيتها زمن المماليك وربطها بالسلطان مباشرة ، وذلك لتحويل القبائل عن الدور السلبي الذى مارسته — معظم الاحيان — في الفترات السابقة لقيام دولة المماليك ، الى الدور الايجابي البناء الذى يمكن ان تقوم به .

ومن الخدمات الهامة التي كان يمكن للقبائل القيام بها المحافظة على طرق المواصلات . فقد كانت هذه القبائل — بحكم توزيعها الجغرافي في بلاد الشام والعراق

---

(١) ما عدا المراكز الحضرية والريفية او بعضها، التي كان يسكنها فئات متعددة الاجناس والاديان . انظر

Ziadeh, Urban Life in Syria Under the Early Mamluks (Beirut, 1953), pp. 45 - 47, 96-101,
I. Lapidus, Muslim Cities in the Later Middle Ages, Cambridge, Mass., 1967.

واطراف الجزيرة العربية الشمالية وسيناء وشرقي النيل — تسيطر على قلب حركة المواصلات بين هذه البلاد بعضها مع البعض الآخر، ومع المناطق المجاورة لها. وادى ذلك الى تحكم هذه القبائل، معظم الوقت، بأهم اوجه نشاط المواصلات في ذلك الوقت: طرق البريد، وطرق الحاج، وطرق التجارة البرية. وكانت جميع هذه الطرق واقعة تحت رحمة القبائل طول الوقت، ولم تتمكن المحاولات التي قامت بها الدول السابقة للأيوبية المتأخرة والمماليك من وضع حد لهذه السيطرة، وذلك لعدم تمكنها من اخضاع الاعراب الذين كانوا يجدون دائما في البرية ملجئا أمينا لهم. واستمر الأمر على ذلك الى أن نظمت العلاقة بين الدولة وبين القبائل، فأصبحت المحافظة على هذه الطرق جزءا من المهام التي القيت على القبائل مقابل ما كانت تقدمه الدولة لهم من اقطاعات وهبات.

ولكن هذا التنظيم لدور القبائل لم يؤد الى ضبطها كليا، ذلك انه لم يكن بالامكان التحكم بها. ولذلك نجد أنه على الرغم من قيام امارة للقبائل، وتعيين الامراء والمقدمين عليها جميعا، حصلت امثلة كثيرة، من واقع الحياة القبلية في الفترة التي ندرسها، على خروج القبائل على السلطة في القاهرة ومن يمثلها في دمشق وحلب وغيرها من المراكز. وكان التعرض لطرق المواصلات من اولى النتائج التي كانت تحدث عن خروج امراء العرب عن الطاعة.

وهنالك مجالات أخرى كانت تقوم بها القبائل بخدمة الدولة، من المشاركة في الدفاع عن البلاد، الى تزويد السلطان وجيشه بما يحتاج اليه من الخيل والجمال، الى مهام أخرى يأتي ذكرها.

وفي القسم الباقي من هذا الفصل سأحاول أن ابحث، بشيء من التفصيل، ما كانت تقوم به القبائل من أعمال لدولة المماليك، مركزا بالدرجة الاولى على دور آل فضل ابن ربيعة.

١ - المحافظة على طرق المواصلات : البريد والحجاج والتجارة

أ - البريـــد

اهتم سلاطين المماليك بتتبع اخبار الممالك الشامية من بلاد دولتهم [illegible]، وعملوا على ادارة شؤونها من العاصمة باستمرار . ولذلك فقد نظموا - منذ سلطنة الظاهر بيبرس الاول - البريد بين مصر ودمشق وغيرها من النيابات بشكل دقيق ، بحيث صار يصل الى دمشق في اربعة أيام ويعود في مثلها (١) . وجعلوا القبائل العربية ، كل في منطقتها، مسئولة عن محطات البريد التي كانت تقع ضمن حدودها، وتزويد هذه المحطات بالخيل وكل ما تحتاج اليه(٢) . ولم يكتف السلاطين بذلك ، بل اهتموا بالمحافظة على امن هذه الطرق وسلامتها، فجعلوا القبائل مسئولة ايضا عن الأمن في اجزاء الطرق التي تمر في مناطقها(٣) . ففي بداية حكم الظاهر بيبرس - وبعد أن أمّر الامراء على القبائل(٤) ، سلم اليها "خفر البلاد ، والزمهم [الامراء] حفظها الى حدود العراق"(٥) . فقد ضمن عرب بني مهدي وبني عقبة خفر البلاد

---

(١) الروض الزاهر ، ص ٣٢، ذيل مرآة الزمان ، ج ٣ ص ٢٥٥ .

(٢) كان على عربان ثعلبة وجذام والعائذ مثلا اقامة (١٥) منزلة من منازل البريد ، وكانوا يقيمون في كل منزلة منها (١٠) افراس . وكان عليهم ايضا خفر هذه الطريق "مقرر عليهم ... من تقادم السنين من اول وقت". هذا بالنسبة للطريق الساحلية ، اما الطريق الداخلية عبر سيناء الى العقبة فقد كان خفرها على قبيلة العائذ ، الدر الفاخر ، ص ١١٤-١١٥ وكان درك طور سينا على عرب "يقال لهم بني سليمان، ومنهم ادراك بني عقبة عرب الكرك والشوبك". المصدر ذاته ، ص ١١٥ . لكن العرب لم يقوموا بواجباتهم على الوجه الاكمل ، فقد كانوا يرشون الامراء الذين يأتون للكشف والمراقبة ، بالخيول والجمال والاغنام . المصدر ذاته ، ص ١١٧ .

(٣) انظر الحاشية رقم (٢)

(٤) الروض الزاهر، ص ٤١، ٦٥، زبدة الفكرة ، ج ١٠ ورقة ٤٧ب، ٥١ب، ٧٠أ ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٦ (م . خوري) ص ٢٥، ٥٤، السلوك ، ج ١ ص ٤٨١، ٤٩٢ .

(٥) الروض الزاهر ، ص ٤٧، زبدة الفكرة ، ج ١٠ ورقة ٥١ ب ، رحلة ابن بطوطة ، ص ٥٤ .

الجنوبية الى الحجاز(١) . أما آل فضل فقد كانوا مسئولين عن المناطق الشمالية والشرقية من بادية الشام حتى حدود العراق(٢) . ويبدو أن هذا الترتيب استمر مدة طويلة بعد ذلك، رغم ما كان يحدث أحيانا من حوادث تؤدى الى التأثير عليه. ومن اخطر هذه الحوادث تخلى بنى ثعلبة عن مهامهم في خدمة محطات البريد في فترة من الفترات مما ادى الى توقف احواله حتى كاد يتوقف كليا، لولا تكفل احد الولاة بارجاعهم الى الخدمة (٣) .

ب — الحجاج

وكما نظم السلاطين البريد، فقد نظموا أيضا دور القبائل التي كانت تسكن على طول طريق الحاج المصرى — الشامي . ونستطيع أن نتبين من الفقرة التالية التي وردت عند ابن فضل الله العمرى، كيف تمكن سلاطين المماليك من المحافظة على طريق الحجاج من اعتداءات القبائل، فقد ذكر :

"فان ملوكنا أثابهم الله رتبوا لقبائل العربان في الطرق رسوما على خزائن مصر والشام تجهز في خزائن المحملين الشريفين المصرى والشامي من الدراهم والخلع لشيوخهم واكابرهم عادة جارية كل سنة فاذا نزلوا

---

(١) الروض الزاهر، ص ٨٩، زبدة الفكرة، ج ١٠ ورقة ٦٠ أ، تاريخ ابن الفرات (م. خورى) ٦ : ص ٥٤، وحتى فروع هذه القبائل كانت مسئولة عن خفر اجزاء من بلادها مثل : بنو جوشن خفراء الموجب، وبنو نعجة خفراء الزويرة، وبنو عجرمة خفراء الرقطانة والحسة، وبنو مرة خفراء القدس، وبنو نمير خفراء غور الكفرين، ولزبيد الدرك وحفظ الاطراف . مسالك الابصار، ج ٣ ص ٢٥ وما بعدها، ص ٤٧ .

(٢) العبر، ج ٦ (ط. بولاق) ص ٦ .

(٣) السلوك، ج ٢ ص ٨٤٠—٨٤١ .

ارض قوم خرجت مشايخهم لتلقى المحمل السلطانى ، وقبلت الارض وعقب الصنجق المنصور ومشت في الخدمة السلطانية واودع من اهلهم وذوى قرابتهم واهل المراتب فيهم أناس في السلاسل ووكل بهم من يحفظهم . ويستمرون على هذا الى ان يخرجوا من ارضهم فيطلق سراحهم ويخلع عليهم وتوصل اليهم رسومهم . وانما يعمل فيهم هذا الاحتمال أن يؤخذ شيء للحاج فيطلبون به ويكونون رهاين عليه ولا يستطيع أحد ان يتجاسر ولا يعترضن الحاج باذية . وربما تبع الحاج قوم من غير ارض ذلك القوم وسرقوا فيحتاج هؤلاء أن يتبعوهم ويستعيدوا منهم الاخيذة بعينها او الثمن عنها ، وجرى هذا غير مرة . وصار للحاج بهذا أمن عظيم على انفسهم واموالهم". (١)

هذا بالنسبة لطريق الحاج المصرى - الشامي البرية ، اما طريق الحاج العراقي فقد كان تحت اشراف امراء العرب من آل فضل ، ذلك انه يقع ضمن مناطق نفوذهم وحدود دركهم . ورغم قلة المعلومات المتوفرة لدينا عن دور هؤلاء الامراء في المحافظة على الحجاج ، فان ما ذكره ابن بطوطة - وهو شاهد عيان - يوضح هذا الدور خاصة في الاوقات التي كانت فيها علاقاتهم مع السلطان حسنة (٢) . فقد التقى

---

(١) مسالك الابصار (خط . طبقبوسراى) ج ٢ ص ١٦٥، الجزيرى ، درر الفوائد المنظمة في اخبار الحاج وطريق مكة المعظمة (القاهرة ، ١٣٨٤هـ) ص ص ٤٣١-٤٣٢ مع بعض الاختلاف الذى لا يؤثر على الاصل . والخط تحت "عادة جارية كل سنة" من وضعي .

(٢) كانوا يقومون بقطع الطريق على الحاج في حالات خروجهم على السلطان . السلوك ج ٢ ص ٢٠٩-٢١٠، ٢١١-٢١٢، ذيل تاريخ الاسلام ، ج ١ ورقة ٢٤ أ ، ج ٢ ورقة ١٩٥ أ ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ١ ص ٣٤٨ .

الرحالة — الذى كان مع ركب الحاج العراقي — في قيد بأميرين من امراء العرب هما فياض وحيدار من ابناء الأمير مهنا بن عيسى ، "ومعهما من خيل العرب ورجالهم من لا يحصون كثرة ، فظهر منهما المحافظة على الحجاج والرحال والحوطة لهم . . ."(١) .

حـ — التجـارة

وكان آل فضل خاصة والعرب عامة دور كبير في المحافظة على طرق القوافل التجارية خلال هذه الفترة ، ذلك ان مهمة المحافظة على الأمن في البادية ، والتي اعطيت لامراء العرب ، كانت من اجل حماية قوافل التجارة القادمة من العراق الى الرحبة على الفرات ثم منها الى مدن الشام والمناطق الاخرى(٢) . وكانت هذه الطريق تقع ضمن مناطق نفوذ آل فضل .

وما نعرفه عن دور آل فضل ، في المحافظة على أمن البادية من أجل حماية التجارة ، قليل . ومع ذلك يمكن القول انه كان لهم دور ايجابي في حماية طرق التجارة في الاوقات التي كانوا فيها في طاعة السلاطين المماليك، اما اذا خرجوا عن الطاعة فقد كانوا يعيثون ويفسدون ويقطعون الطرقات. ومن الامثلة على ذلك ما حدث سنة ٧٤٢هـ (١٣٢٤م) ، اذ اعتدى سليمان بن مهنا واهله وعربه على التجار والقوافل وقطعوا الطرقات(٣) . وفي مرة اخرى اشتكى التجار على فياض ابن مهنا لانه نهب

---

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ١٧٤ .

(٢) يؤكد على ذلك صاحب سيرة برقوق (Ascensus Barcoch) ص ١٥٣، ١٦٣ اذ ذكر ان الاقطاعات التي كانت تعطى لنعير كانت من اجل ذلك.

(٣) الدرر الكامنة ، ج ٣ ص ١٦٣—١٦٤، السلوك ، ج ٢ ص ٥٦٣ .

قفلهم وادى ذلك الى مسكه وسجنه في الاسكندرية (١) . وفي سنة ٧٤٥ هـ (١٣٤٤م)، وبعد امساك احمد بن مهنا وسجنه، "رجع التجار الذين كانوا قد توجهوا الى بلاد الشمال ... بسبب فساد الطريق" نتيجة لثورة فياض بن مهنا (٢) . واستمر انقطاع الطريق هذه المرة مدة عام كامل لعدم تمكن احد من الوقوف في وجه هذا الامير الخارج عن الطاعة (٣) . وتتابع تعرض الامراء الخارجين لقوافل التجار ونهب اموالهم طوال النصف الثاني من القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) (٤) .

٢ — مشاركة جيوش المماليك (٥) في الدفاع عن البلاد .

---

(١) الدرر الكامنة، ج ٣ ص ٢٣٤ .

(٢) ذيل تاريخ الاسلام، ج ١ ورقه ٦٤ ب، ١٧٣ أ .

(٣) السلوك، ج ٢ ص ص ٦٥٧، ٦٩٢ .

(٤) انظر: السلوك، ج ٢ ص ٩١٨، الغزى، نهر الذهب، ج ٣ ص ١٨٧ . وفي سنة ٨٠٠هـ (١٣٩٨—١٣٩٩م) استولى الامير نعير على القفل القادم من بلاد العراق، فذهب التجار الى نائب الشام واخبروه بما حصل، لكن نعير ارسل حاجبه ليخبر "انه انما يطلب الذى عادته يأخذه" وهو الخفارة . وتم الاتفاق اخيرا بسبب شفاعة النائب فأعطى نعير نصف البضاعة للتجار وباعهم النصف الثاني برخص "وفرح التجار بذلك". ذيل تاريخ الاسلام، ج ٢ ورقة ١٣٤ أ—ب . وتعرض نعير للقافلة التي كان فيها De Mignanelli عند عودته من الهند Ascensus Barcoch, pp.163-164. وايضا: ذيل تاريخ الاسلام، ج ٢ ورقة ١١٩٥ أ .

(٥) كان العرب او العربان يعتبرون من ضمن عساكر الدولة المملوكية، لكنهم لم يعتبروا من جندها، مسالك الابصار، ج ٢ ص ٧٠، الخطط، ج ٢ ص ٢١٥، فكانوا من القوات غير النظامية، كما كان الامر دائما بالنسبة لهم. انظر:

Poliak, Feudalism in Egypt, Syria, Palestine, and the Lebanon, (London, 1939) pp. 9-10; Ayalon, "Studies on the Structure of the Mamluk Army", BSOAS, vol. 15 (1954) p. 72 .

وعن زمن الايوبيين: جب "جيوش صلاح الدين"، في دراسات في حضارة الاسلام، الفصل الخامس، ص ٩٧—١٢٠ ونظير سعداوى، جيش مصر في أيام صلاح الدين (القاهرة، ١٩٥٦) ص ١٢—١٧، ٥٤—٦٢ .

ولم يقتصر دور العرب من بني ربيعة طيء على المحافظة على طرق المواصلات ، بل شاركوا المماليك في الدفاع عن البلاد . فقد استفاد المماليك من عرب آل فضل وآل مرا في عملياتهم العسكرية ضد التتار، الخطر الذى كان يهدد بلاد الشام باستمرار(١) . وقد تمثلت هذه المشاركة بالتجسس على الاعداء، والمحافظة على اطراف البلاد ، وفي الاستكشاف او ما كان يعرف بالتجاريد ، وفي المعارك . ومع أن مشاركة هؤلاء الاعراب كانت محدودة (٢) ، واقتصرت على الفترة الاولى من حكم المماليك البحرية ، الا انها كانت فعّالة وذات أثر كبير .

وكان يطلب من امراء العرب من آل فضل الذين كانوا يعيشون على الحدود بين دولة المماليك ودولة التتار في العراق ، أن يقوموا بالمحافظة على هذه الحدود ، ومنع الاعداء من الدخول الى بلاد الشام، وتزويد الامراء والنواب والسلاطين بحركاتهم وتجمعاتهم بشكل مستمر(٣) . وقد كانوا فعلا يشاركون الحاميات التي كانت موجودة في المراكز الدفاعية الأمامية في صد الغارات المتكررة القادمة من بلاد التتار(٤) ، كما كانوا يشاركون بالتجاريد التي كانت ترسل باستمرار لكشف اخبار العدو لمعرفتهم بطرق البادية معرفة دقيقة (٥) . وحدث أغلب ذلك في امارة عيسى بن مهنا الذى كان

---

(١) الروض الزاهر، ص ١٠٠، السلوك ، ج ١ ص ٥١١، ٦١٠، زبدة الفكرة ، ج١٠ ورقة ٨١ أ .

(٢) Ayalon, Studies, p. 72

(٣) التعريف ، ص ٧٩، صبح الاعشى ، ج ٧ ص ١٨٥، ذيل مرآة الزمان ، ج ٣ ص ٢ ، ١٧٦ ، السلوك ، ج ١ ص ٥٩٩-٦٠٠، ٦١١ . والملحق

(٤) للتفاصيل ارجع الى الفصل السادس .

(٥) النهج السديد ، ص ٩٥، ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٥٧ ، ذيل مرآة الزمان ، ج ١ ص ٤٨٥ .

اكثر امراء العرب تعاونا مع سلاطين المماليك[١] . وعندما تولى الامرة مهنا بن عيسى ، سار على سياسة والده ، الا ان الخلافات ، التي بدأت بين السلطنة والامراء في زمن السلطان الاشرف خليل ، ادت الى قلة مشاركة العرب من آل فضل للمماليك في حروبهم[٢] .

ومن مآثر عرب آل فضل وآل مرا المشهورة ، والتي ترويها المصادر المملوكية ، ما قاموا به في معركة حمص سنة ٦٨٠هـ[٣] (١٢٨١م) بين المماليك والتتار، فقد وقفوا مع بقية عرب البلاد ، بقيادة الامير عيسى بن مهنا، الى جانب جيش المماليك — هذا الموقف الذى أثار استغراب المؤرخين[٤] — ، ورتبوا في طرف ميمنة الجيش[٤] . وقد كان لهم دور حاسم في المعركة التي انتهت بهزيمة التتار. وينسب معظم المؤرخين سبب الهزيمة الى الاسلوب الذى اتبعه العرب في الحرب وهو المهاجمة من الخلف ونهب

---

(١) النهج السديد ، ص١٣٢، ٢٠٥، ذيل مرآة الزمان ، ج ٢ ص٣١٨ ، زبدة الفكرة ، ج ١٠ ورقة ٧٧أ، ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور فيسيرة الملك المنصور (القاهرة ، ١٩٦١) ص١٤٦ ، درة الاسلاك ، ج ١ ورقة ١٣٤أ .

(٢) خلال امرة مهنا شارك العرب مرة واحدة او مرتين في التجاريد انظر: زبدة الفكرة ، ج ١٠ ورقة ٢٣٨ ب ، ٢٤٠ ب .

(٣) اشترك في هذه المعركة ٤ آلاف فارس من آل مرا فقط . مسالك الابصار، ج ٣ ص٤٩، ذيل مرآة الزمان ، ج ٤ ص٩٠—٩١، البداية والنهاية ، ج ١٣ ص٢٩٤، السلوك ، ج ١ ص٦٩١ .

(٤) زبدة الفكرة ، ج ١٠ ورقة ١١٤ ب، وقد كان المؤلف حاضرا في المعركة . اما الاستغراب فهو ناتج عن الرأى المعروف عن موقف العرب في الحرب ، وهو الانتظار حتى يبدأ مصير المعركة يتقرر فينظمون الى الطرف الغالب . مسالك الابصار ، ج ٣ ص٤٩ . ويؤيد ذلك ما ورد عند وليم الصورى في A History of Deeds Done Beyond the Sea, II, p. 433

الاحمال والاثقال (١)، "فتوهم المغول ان عساكر كثيرة أحاطت بهم من قدامهم وخلفهم" (٢)، ورجعت عساكر التتار اليهم فلحق المسلمون بهم "وكانت بذلك النصرة". (٣) ثم لحقت عساكر المسلمين والعرب الجيش المنهزم، ولولا مساعدة عرب خفاجة للعساكر التترية بارشادهم الى الطرقات في البرية والمخائض على الفرات لتمكن المماليك، في رأى اليونيني المعاصر، من أخذهم عن آخرهم (٤). لكن هذا الموقف الايجابي في موقعة حمص لم يستمر، اذ وقف امراء العرب والعرب موقفا سلبيا في بداية حروب المماليك مع غازان (٦٩٩هـ وما بعدها/١٣٠٠م وما بعدها)، فلم يقدموا مساعدة تذكر، بل على العكس من ذلك فقد قام العربان بنهب وسلب العساكر المنهزمة امام قوات التتار (٥) حتى قال صاحب الدر الفاخر: "وكانت الجبلية والعربان على الناس أشد من التتار، حتى لكأن لهم على الاسلام ثار" (٦).

٣ - تزويد السلطان والجيوش السلطانية بالخيل والجمال

كان العرب مصدرا من المصادر الأساسية التي تزود السلطان وجيشه بما كانوا يحتاجون اليه من الخيل والجمال، التي كانوا يجلبونها من البحرين في شرق الجزيرة العربية وبرقة والمغرب وبلاد الشام (٧). وقد كانت الخيل والجمال المجلوبة من امراء

---

(١) النهج السديد، ص٣٢٧-٢٨، العبر في خبر من غبر، ج ٥ ص٣٢٧.

(٢) ابن العبرى، تاريخ مختصر الدول (بيروت، ١٩٥٨) ص٢٨٨.

(٣) ذيل مرآة الزمان، ج ٤ ص٩٤، البداية والنهاية، ج ١٣ ص٢٩٥، السلوك، ج ١ ص٦٩٢-٩٤.

(٤) ذيل مرآة الزمان، ج ٤ ص٩٤، النهج السديد، ص٣٣٠.

(٥) النهج السديد، ص٥٠٨.

(٦) الدر الفاخر، ص١٧.

(٧) مسالك الابصار، ج ٢ ص٤٠٩.
D. Ayalon, "The System of Payments in the Mamluk Military Society", Journal of the Economic and Social History of the Orient", vol. I (1958) pp. 263-264 and notes 1,2,3 p. 263.

العرب من آل فضل على نوعين: السِياق والتقادم . فالسياق او السياقة كانت تشتمل على الخيل والجمال والدواب والابقار والاغنام التي يحضرها امراء العرب لبيعها، وكانت تسجل في الديوان الخاص بذلك(١) . أما التقادم فقد كانت الهدايا التي يرسلها امراء العرب الى السلاطين وكانت تشتمل ، من بين ما تشتمل عليه، الخيول والجمال(٢) . وفي كلتا الحالتين كانت تدفع أثمان هذه الخيول لامراء العرب من الخزينة ، وكثيرا ما كان يدفع في الواحدة منها اضعاف ثمنها، خاصة خيل السباق التي شغف بها السلطان محمد بن قلاوون كثيرا .

٤ - اعمال أخرى

لم تقتصر واجبات امراء العرب من آل فضل وغيرهم من الامراء على المهام الرئيسية التي ذكرت سابقا، وانما اشتملت على مهام أخرى نكتفي بذكرها للدلالة على اتساع المجالات التي كان يمكن للعرب بها خدمة الدولة المملوكية . فقد كان يستعان بهم للدلالة على

---

(١) قال النويري: "ان الكاتب كان "يسجل ما انساق عنده حاصلا من آخر السياسة الاولى ، ويضيف الى ذلك ما ابتاعه بتواريخه واسماء من ابتيع منهم ... " نهاية الارب، ج ٨ ص ٢٨٣ ، وكان السياق السلطاني على قبائل ثعلبة وجذام والعايد مثلا ، ١٠٠٠ جمل . الدر الفاخر، ص ١١٦ .

(٢) انظر السلوك ، ج ٢ ص ص ٥٢٤-٥٣٠، الخطط، ج ٢ ص ص ٢٢٥، ٢٢٨ ، ولدراسة مفصلة عن تجارة الخيل - والتي استندت بالدرجة الاولى الى المقريزي - ارجع الى Ayalon, Ibid, pp.265-270. وكان يصل سعر الفرس احيانا الى ٦٠ و ٧٠ و ١٠٠ الف درهم . السلوك ، ج ٢ ص ٥٢٦ ، وقد اقطع السلطان الناصر ، بسبب الخيل ، آل مهنا الاقطاعات الكثيرة . السلوك ، ج ٢ ص ٥٢٦ وما بعدها .

الطرق في البادية ، وفي تتبع الامراء المماليك الخارجين عن طاعة السلطان (١) واحضارهم الى السلطان او الى النواب طلبا للمكافآت التي كانت تخصص لهم . واستعان بعض السلاطين بهم لتتبع اخبار الامراء والنواب وحركات الخارجين عن الطاعة . وكان بنو عقبة عيونا للسلطان يزودونه باخبار هذه الحركات باستمرار (٢) .

وعادة ، وفي اوقات حاجة الدولة لخدمات العرب ، كانت تصدر الاوامر بمنعهم من الخروج الى البرية "الا اذا لم يبق بالبلاد مقام"، (٣) وأن لا يعودوا الى الاطراف الا بعد الانتهاء من جمع الغلال ، "... ان المراسيم الشريفة اقتضت انه لا يدخل أحد من العربان الى البلاد الشامية المحروسة ، كبيرهم وصغيرهم، وجليلهم وحقيرهم، الى ان يشال الزرع على العادة". (٤) ذلك ما كان يطلب منهم، لكنه لم يمنع من تخطي العرب لهذه الاوامر واعتدائهم على المزروعات قبل جمعها وافسادها او اخذ غلتها .

ومن واجبات امير العرب وامراء العربان، مساعدة عمال الدولة في جمع زكاة المواشي من العرب، التي كانت تعرف بـ "العِدّاد". (٥)

---

(١) من الامثلة ما نجده في الدر الفاخر ، ص ١٩٨، البداية والنهاية ، ج ١٤ ص ٢٠١، السلوك ، ج ٢ ص ٤٩٩، ٨٠٢ .

(٢) امثلة على ذلك السلوك، ج ٢ ص ٥١٨ ، ٥٧٢، ٦٢٤، ذيل تاريخ الاسلام ، ج ١ ورقه ١٤٢ أ ، ٥١ ب .

(٣) التعريف ، ص ١١٠ .

(٤) صبح الاعشى ، ج ٧ ص ٢٠٣—٢٠٤ ، والخط تحت "على العاده" مضاف على الاصل ، ومن وضعي .

(٥) تاريخ ابن الفرات ، ج ٧ ص ١٧٩ ، صبح الاعشى ، ج ١٢ ص ١٣٠ . وكانت تعتبر من اموال الهلالى . النويرى ، نهاية الارب في فنون الادب ، (القاهرة ، ١٩٣١) ج ٨ ص ٢٢٨، ٢٦٨ . وفي اشارة عند ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٨ ص ٦٧—٦٨ انه كان لامير بنى كلاب ربع قيمة العداد الذى كان تقديره زمن المماليك كما كان عليه اواخر الدولة الايوبية . المصدر ذاته (مخطوط فينا) ج ٦ قسم ٢ ورقه ١٢٥ . وانظر عن توضيح المقصود بالعداد ، السلوك ، ج ١ ص ٤٨١ حاشية رقم (٦) .

وكان يفترض في امير العرب من آل فضل ان يقوم ببعض الواجبات الاخرى التي يتطلبها منصبه كأمير للعرب والتي يرد ذكرها في "وصية امير العرب" او في مرسوم تقليده الامرة . ومن امثلة ذلك : قرى الضيف في البرية ، والاصلاح بين امراء العرب في حال خصومتهم، ومنع القبائل التي تخضع لامرته المباشرة والحليفة له من النزاع فيما بينها، وجمع العرب على طاعة السلطان ، وان يعامل الامراء الآخرين معاملة تتناسب ومقاديرهم "ويدفع لكل منهم ما كان يستحق من اقطاع واقتطاع". (١)

اقطاعات امراء العرب

مقابل هذه الخدمات الكثيرة التي كان يقوم بها أو يفترض بامراء العرب القيام بها للدولة المملوكية ، اعطيت لهم بعض الامتيازات. وكان بعض هذه الامتيازات آتي ، يقدم مقابل الخدمات التي كانوا يقومون بها في وقت معين من السنة ، مثل الخلع والهدايا والانعامات الأخرى كالجوارى "والخيل للنتاج والفحول للمهاير والأموال الجمة" (٢) التي كانت تشمل الامراء ونساءهم (٣) . لكن اهم الامتيازات التي كانت للامراء، واكثرها ثباتا، هي الاقطاعات ، لانها كانت تشكل مورد دخل ثابت لهم ولقبائلهم، يغنى عن اللجوء الى الأساليب التي كانوا يتبعونها في السابق - وفي حالات خروجهم عن الطاعة -

(١) التعريف، ص ١٠٩-١١١ . ارجع الى الملحق رقم ٤ الذى يتضمن نص "وصية امير العرب".

(٢) مسالك الابصار، ج ٣ ص ٤٨، السلوك، ج ٢ ص ص ٤٥٢-٤٥٣ .

(٣) يبدو انه كان من عادة سلاطين المماليك ان يرسلوا لنساء امراء العرب ، في مواسم معينة ، خلعاً وهدايا خاصة . تاريخ ابن الفرات ، ج ٨ ص ١٥٥ ، السلوك ، ج ١ ص ٧٨٣، ج ٢ ص ٥٢٨ وما بعدها .

للحصول على أرزاقهم، كالنهب والسلب والاعتداء على القوافل بانواعها[١] .

وقد كانت اقطاعات امراء العرب جزءا من النظام الاقطاعي المملوكي الذى كان يشرف عليه ديوان الجيش[٢] . ولم يكن النظام الاقطاعي (العسكرى) شيئا جديدا استحدثه المماليك في هذه المنطقة ، وانما كان معروفا عند البويهيين والسلاجقة والفاطميين والزنكيين والايوبيين[٣] . وقد كان للاقطاع ديوان زمن الفاطميين ، الذى اختص بما كان يقطع للاجناد ، وكان لعربان البلاد اقطاعات ايضا وقد عرفت باسم "الاعتداد"[٤] . واستمر هذا النظام زمن الزنكيين والايوبيين حيث أصبحت اقطاعات الجند وراثية[٥] .

---

(١) كان الاعتماد على السيف في الحصول على الرزق هو اهم وسيلة لدى الاعراب ، ولعل افضل مثال على ذلك ، في هذه الفترة وعند خروج الامراء عن طاعة السلاطين ، ما قاله مهنا عندما اعترض الركب العراقي "... مهنا يأكل كسب سيفه ، وكيف ارجع عن هذا الركب العراقي وفيه مكسب لمهنا يقوته سنة كاملة". العزاوى ، تاريخ العراق ، ج ١ ص ٤٦٦ عن عقد الجمان ج ٢٢ (دون تحديد للورقة اوالصفحة).

(٢) التعريف ، ص ٨٨—٨٩، الخطط ، ج ٢ ص ٢١٧، نهاية الأرب في فنون الادب ، ج ٨ ص ١٩٦ وما بعدها . ولعل من أفضل الدراسات التي طلعت عليها عن الاقطاع زمن المماليك دراسة پولياك .

A. N. Poliak, Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and the Lebanon, London, 1939, and "Some Notes on the Feudal System of the Mamluks", Journal of the Royal Asiatic Society, (1939), pp. 98-107. See also: N.A. Ziadeh, Urban Life in Syria, (Beirut, 1953) , pp. 40-44.

(٣) انظر الدورى ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي (بيروت ، ١٩٦٩) ، ص ٨٨—٩٠، ٩٦—١٠٦ . فقد ذكر ان بداية الاقطاع العسكرى كانت مع بداية التسلط البويهي (المصدر ذاته، ص ٨٨—٨٩) ، وانه كان زمن السلاجقة "استمرارا لما جرى زمن البويهيين لحد ما" (المصدر ذاته، ص ٩٧) "وانه اتجه نحو الوراثة" حتى "صار اقطاعا وراثيا للارض"، وليس لوارد الضرائب (المصدر ذاته ، ص ٩٧—٩٨) . كما ان الفترة الايوبية كانت تمثل السير في الاقطاع على الخط السلجوقي . المصدر ذاته ، ص ١٠٤ .

(٤) تاريخ ابن الفرات ، ج ٤ قسم ١ ص ١٤٨، صبح الاعشى ، ج ٣ ص ٤٩٣ ويظهر انه ينقل عن ابن الفرات .

(٥) Ziadeh, Urban Life, pp. 39-40. الدورى، مقدمة في التاريخ الاقتصادى، ص ١٠٦ .

وفي زمن المماليك ، ونتيجة لمؤثرات خارجية جديدة [١] ، صار نظام الاقطاع نظاما دقيقا شمل ، من ضمن من شملهم، امراء العرب .

وكان الاقطاع او الخبز، زمن المماليك ، نظاما يهدف الى ايجاد مورد دخل لامراء الجيش والجند ، كل حسب مرتبته، مقابل الخدمات التي يقدمونها للدولة . ولم يكن هذا النظام وراثيا كما كان زمن الايوبيين [١] ، اذ كان بامكان السلطان المملوكي أن يستعيد ما اعطى من اقطاعات، ثم يعيد توزيعها بالشكل الذى كان يراه مناسبا . وينطبق هذا المبدأ على امراء العرب كما كان ينطبق على امراء المماليك واجنادهم، حتى انه كان هنالك ديوان خاص اسمه " ديوان المرتجع من أخباز العرب "[٢] وله ناظر خاص براتب معين، وعنده كاتب لمساعدته[٢] . لكن ذلك لم يمنع بعض العربان من التحايل على النظام اذ كانوا يقومون — في حالة وفاة صاحب اقطاع منهم — بتركيب اسم "على اسم بغير الرسم المقرر"[٣] .

---

(١) N. Ziadeh, Urban Life, p. 40.

(٢) استؤنف هذا الديوان سنة ٧٤٦هـ (١٣٤٥م) ، وكان راتب ناظرة ١٠٠ درهم و ١٠ غرائر. وقد كان المرتجع هذا العام نيّف و ٦٠ بلدا، وجعل خاصا لبيت المال . المختصر، ج ٤ ص ١٤٤، ذيل تاريخ الاسلام ، ج ١ ورقه ٧٣ أ .

(٣) كان عربان الشرقية في مصر المسئولين عن البريد وغيره ،الذين كان لهم اقطاعات (وعددهم سنة ٧٠٣ هـ ١٧٠٠ فارسى)، يلجأون الى التحايل للابقاء على اقطاعات من توفى منهم . فكانوا اذا توفى واحد منهم يذهبون الى ديوان العربان ويرشون صاحبه " وركبوا اسما على اسم بغير الرسم المقرر". الدر الفاخر ص ١١٦ . اما ما كان يجرى عليهم بالنسبة لاقطاعاتهم فقد كان اذا توفى احد هؤلاء العربان "فانه لا ينزل مكانه ولده او اخوه او ابن عمه او اذا لم يكن له وارث من اقرب اقربائه او طائفته ، حتى يزن ما على ذلك الاقطاع من الرسم المقرر، وهو كل اقطاع عليه قد قرر من قديم الزمان على قدر العبرة من خمسماية الى ثلاثين دينار حبشية [جيشية] ". المصدر ذاته ، ص ١١٦، ونجد في ذلك ما يدل على نوع من الوراثة في انتقال الاقطاع، لكننا لا نعرف ان كان ذلك ينطبق على آل فضل اصحاب المكانة الخاصة في الدولة المملوكية . أما العبرة فهى الدخل السنوى للاقطاع مقدرا بالدنانير الجيشية . Poliak, JRAS, (1937) p. 99, Feudalism, p.21.

ويبدو أن اقطاعات امراء العرب من آل فضل ، في بداية دولة المماليك ، كانت قليلة ومقتصرة على الامراء الكبار(١) ، لكنها كانت قابلة للزيادة . فقد ازدادت هذه الاقطاعات بتزايد عدد الامراء العرب الصغار منهم والكبار(٢) .

وكان أمير العرب هو المسؤول الأول عن اقطاعه، ولا نعرف اذا كان يقوم بدوره بتوزيع اقطاعه على افراد قبيلته بعد احتفاظه بحصته كما كان الامر بالنسبة للامراء المماليك(٣) . وقد كان مفترضا، كما تدل وصية امير العرب ، في امير العرب أن يعطى بقية الامراء والشيوخ والافراد حقوقهم من "اقطاع واقتطاع"(٤) .

ومن اشهر البلاد التي اقطعت لامراء العرب من آل فضل : سلمّيه ، والمعّرة ، وتدمر، وسرمين ، ودومه ، وزرع(٥) .

---

(١) ربما كانت هنالك اقطاعات لمختلف الامراء ، لكننا لم نجد ما يؤيد ذلك في المصادر. فمثلا لا يذكر في بداية عصر المماليك سوى اقطاع عيسى بن مهنا واقطاع احمد بن حجي ، وعدد آخر من الامراء المشهورين . ذيل مرآة الزمان ، ج ١ ص ٤٨٥، والحاشية رقم ٥ التالية .

(٢) كان عدد اولاد عيسى بن مهنا واحفاده ١١٠ "ما من أحد منهم الا وله امرة واقطاع". السلوك ، ج ٢ ص ٨٩٦ . والمصدر ذاته ، ص ١٣٩ ، ٧٢٢ عن زيادة مقدار الاقطاعات

(٣) كان يخصص للأمير المملوكي ١/٣ و ٢/٣ للاجناد وبقية الامراء . انظر

Poliak, JRAS (1937), p. 102.

(٤) التعريف ، ص ١١٠ .

(٥) اقطعت سلمية لعيسى بن مهنا ٦٥٨ هـ (١٢٦٠م) . مسالك الابصار (مخطوطة أيا صوفيا) ج ٢٧ ورقة ١٦٣ ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ص ٢٢١ . والمعرة لمحمد بن عيسى سنة ٧١٦ هـ (١٣١٦م) بناء على طلبه ، المختصر ، ج ٤ ص ٨٠ . وتدمر لعيسى بن مهنا، وقد اقطعت له اقطاع ملك او بيع وشراء اذا اشتراها السلطان ودفع ثمنها للخزينة ثم اعطاها لعيسى . ذيل مرآة الزمان ، ج ٤ ص ٢٣١ ، وكانت من ضياع الخاص ، السلوك ، ج ٢ ص ١٤٤ . ودومة لمهنا بن عيسى عندما قدم على السلطان سنة ٧٣٤ هـ (١٣٣٤م) ، واعطيت له ولاولاده من بعده . مسالك الابصار ، ج ٢١ ورقه ٥٥، ج ٣ ص ٣٠ . وسرمين ايضا من اقطاع آل مهنا . المختصر ، ج ٤ ص ٧١ . وكذلك زرع التي اعطيت لسيف بن فضل . السلوك ، ج ٢ ص ٦٤٤ .

وكان للسياسة التي اتبعها المماليك في اقطاعات العرب ، آثار سيئة بالنسبة للجانبين . وكان السبب الاساسي في ذلك طبيعة الحياة البدوية ، وطبيعة النظام الاقطاعي المملوكي ، والعلاقات بين السلاطين وامراء العرب .

فمن ناحية العرب ، اعتمدت القبائل اعتمادا كاد أن يكون كليا على الاقطاعات كمورد رزق ثابت لها (١) . وحل ذلك محل ما كانت تعتمد عليه في السابق مما كانتتنتجه من غنمها وابلها والذى لم يكن كافيا لحياتها ، مما كان يدفعها الى اللجوء الى الغزو والاعتداء على طرق القوافل والحجاج واخذ الاتاوات منها ، ومهاجمة الحواضر والاستيلاء على غلاتها — ان ساعدتها الظروف على ذلك . ولذلك فقد كان هدف ما نشأ من علاقة وتنظيم رسمي بين القبائل والسلطنة ، الالتنخلا من الاستمرار بهذا الجزء الثاني من نشاطها مقابل الاقطاعات التي كانت توفر لها . ولهذا فقد كان يؤدى خروج الاقطاعات عن القبائل الى عودتها الى التعرض للحجاج والتجارة ، والريف والحواضر (٢) ، لان موارد عيش القبائل التقليدية لم تعد تكفى متطلباتها التي نتجت عن تمتعها بموارد رزق ثابتة ، خاصة وان هذه القبائل (آل فضل) تعودت نوعا من حياة الرفاهية التي نتجت عن

---

(١) هذا بالاضافة الى اثمان الخيول التي كانوا يقدمونها للسلطان .

(٢) وضّح موسى بن مهنا للسلطان ان ذلك هو سبب فساد العرب . مسالك الابصار ، ج ٢٩ ورقة ١٦١ ، وان عودة الارزاق الى اصحابها من آل مهنا تؤدى ان يبقى " كل واحد منهم يجد ما يقوته ويمشى الطريق " . وانظر عن قطع الاخباز وما كان يؤدى اليه ، على سبيل المثال . المختصر ، ج ٤ ص ٧٨ ، ٨٨ ، ٩٢ — ٩٣ ، ١١٣ ، ١٤٢ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٢١ ، ذيل تاريخ الاسلام ، ج ١ ورقه ١٧٣ أ ، ١٦٨ أ ، السلوك ، ج ٢ ص ٤٠٧ — ٤٠٨ ، ٤٢٤ ، ٦٢٧ — ٦٢٩ ، ٦٢٤ .

كثرة ما توفر لديها من الارزاق من مواردها القديمة والجديدة (١) . ولذلك لم يكن مستغربا أن يلجأ امراء آل فضل الى التتار لأخذ الاقطاعات منهم (٢) .

أما من ناحية الدولة المملوكية فقد كان استرجاع اقطاعات امراء العرب الخارجين عن الطاعة يؤدى الى خلق المشاكل لها . فقد كانت تقوم بتوزيع الاقطاعات المستردة على امراء العرب/الذين كانوا لا يزالون في طاعتها ، وعلى امراء المماليك واجنادهم (٣) . لكنه لم يكن بامكان الامراء المماليك ولا امراء العرب الذين كانوا لا يزالون على الطاعة المحافظة على الأمن والاستقرار وطرق القوافل التجارية والحجاج ، ولا منع الامراء الخارجين من الاعتداء على مصالح الدولة . وقد كان ذلك يؤدى الى عمل السلاطين لاعادة الامراء الخارجين عليهم الى الطاعة .

وعودة الامراء الخارجين الى الطاعة كانتتعني ارجاع الاقطاعات التي كانت لهم قبل خروجهم اليهم، مما كان يؤدى الى تذمر النواب والامراء المماليك الذين اعطيت لهم هذه الاقطاعات بعد خروج امراء العرب في السابق . فمثلا عندما وافق السلطان الناصر محمد بن قلاوون على نصيحة موسى بن مهنا بارجاع الاقطاعات التي كانت بيد امراء

---

(١) انظر السلوك ، ج ٢ ص ص ٥٢٦—٥٢٩ حيث ذكر "فعزت العرب من آل مهنا وآل فضل وآل مرا في ايامه ، وكثرت سعادتها واتسعت احوالها بالاموال والضياع ... ... وشمل الغنى عامتهم ..." حتى شكى بعضهم "... لقد أفسدت /اى الملك الناصر/ حال العرب وحال نسائهم واطمعتهم في شيء لم يكونوا يطمعون فيه قبلك". المصدر ذاته ، ص ٥٢٦ ، ٥٢٩ .

(٢) انظر مثلا المختصر ، ج ٤ ص ٧١ ، تاريخ العراق ، ج ١ ص ٤٦٨ عن عقد الجمان ج ٢٢ ص ٢٢١ .

(٣) السلوك ، ج ٢ ص ٦٢٤ . وفي احدى الحالات استخدم السلطان ١٣٠٠ جندى من الاجناد البطالين واعطاهم اقطاعات من المرتجع من اخباز العرب. ذيل تاريخ الاسلام ، ج ١ ورقه ٢٠ ب .

المماليك الى اصحابها السابقين من امراء العرب ، "حصل لنائب دمشق ونائب حلب هم عظيم"، "وعلموا ان فيه فساد عظيم" ، وكتبوا الى السلطان "أن اخباز العرب اكثرها وقع الى الامراء الشاميين والحلبيين ، وان اكثرهم مجردين الى بلاد سيس، وربما لا يهون هذا الأمر عليهم وعلى الجند"(١) ، فكان جواب السلطان "ارجع لهم / الى امراء العرب/ على اقطاعاتهم ونحن نعوض الامراء ونرضيهم"(٢) ، وكتب مناشير امراء العرب من مصر وسيرها الى الشام. وقد علق ابن فضل الله على هذه الحادثة بقوله : "فكان ذلك على الناس امر صعب"(٣) .

ولم يكن بامكان الدولة المملوكية ، بعد أن ربطت القبائل بها بصورة رسمية ، أن تتبع طريقا آخر، ذلك أن المحافظة على ولاء القبائل القوية مثل آل فضل كان ضروريا واهم من بعض الامراء المماليك الذين كانت تسترد اقطاعاتهم. فخروج امير آل فضل — وهو أمير العرب — عن الطاعة كان يعني خروج قبيلته جميعها و ربما من كان يحالفها من القبائل، مما كان يؤدي الى الكثير من المشاكل التي كانت الدولة في غنى عنها.

وفي الفصل التالي من هذا البحث سنرى بعض المشاكل التي كان يؤدي اليها خروج بعض امراء العرب عن الطاعة وتأييدهم للحركات التي قام بها الامراء المماليك في الشام.

---

(١) مسالك الابصار ، ج ٢٩ ورقه ١٦١ .

(٢) المصدر ذاته ، ورقه ١٦١ .

(٣) المصدر ذاته ، ورقه ١٦١ . وعند ما عرف الامراء المماليك بذلك ، وكانوا يحاصرون بلد سيس، علق احدهم بقوله:" اذا أخذت منى هذه الضيعة ايش آكل وايش اعطي الجند". المصدر ذاته ، ورقه ١٦٢ .

T
126A
pt.2

الامارة الطائيـة في بلاد الشـام

في القرنيـن الثالث عشر والرابـع عشـر الميـــــلاديين

قسم ٢

مصطفى علي مصطفى الحياري

رسالة مقدمة الى دائرة التاريخ في الجامعة الاميركية في بيروت
لاتمام المطلوب للحصول على درجة أستاذ فـــي الآداب

بيروت – لبنان نيسان ١٩٦٩

T.
126A
pt.2

الفصـــل الخامـــس

امـــراء العـرب وسلطنة المماليـــك

- ٢ -

اثـــر امرة العرب في شؤون بـلاد الشام الداخليـة

تعددت مجالات مساهمة آل فضل بن ربيعة طيء وغيرهم من القبائل العربية في حياة بلاد الشام في فترة المماليك البحرية . وقد رأينا في الفصل السابق كيف تمكنت السلطنة المملوكية ، عن طريق ايجاد امارة العرب وتعيين الامراء على القبائل ومنح هؤلاء الامراء الاقطاعات ، من ربط هذه القبائل بالسلاطين في القاهرة . وبذلك تمكن السلاطين من توجيه طاقات هذه القبائل لخدمة مصالح الدولة ، من المحافظة على طرق البريد والحاج وقوافل التجار، الى تزويد السلاطين وجيوشهم بالخيل والجمال ، الى المساعدة في جميع زكاة الغنم من العربان . كما ساهمت القبائل ، وآل فضل بشكل خاص، في الدفاع عن حدود دولة المماليك وصد غارات الاعداء عنها، وفي بعض الحروب التي وقعت بين المماليك والتتار . لكن أعمال القبائل هذه لا تشكل كل المجالات التي ساهم فيها آل فضل وآل مرا في حياة بلاد الشام الداخلية ، كما انها لا تمثل كل الأثر الذي كان لهم على الاحداث فيها . فقد كان لآل فضل ، بالاضافة الى ما تقدم من أعمال ، أثر في شؤون الدولة المملوكية الداخلية ، وعلاقة مع القبائل التي كانت تقطن بلاد الشام من عربية وتركمانية ، ودور في الحركات التي قامت في بلاد الشام ضد سلاطين المماليك وهي حركات سنقر الأشقر (٦٧٩—٦٨٠هـ/ ١٢٨٠—١٢٨١م) وقراسنقر (٧١١هـ/ ١٣١١م) ومنطاش (بعد سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م) .

١ — <u>اثر امراء العرب في شؤون الدولة الداخلية</u>

كان لامراء العرب من آل فضل مكانة كبيرة بين القبائل في بلاد الشام . وكان لهذه المكانة اكبر الاثر في اعطائهم امرة العرب رغم قلة عددهم (١) . واكسبت امرة العرب

---

(١) <u>مسالك الابصار</u> ، ج ٣ ص ٤٧ .

الامراء الذين تولوها أهمية عند السلاطين المماليك(١) حتى أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون أجاب أحد الامراء المماليك الذين حرّضوه على الأمير مهنا بن عيسى واولاده سنة ٧٢٠هـ (١٣٢٠م) بقوله: "احذر أن تذكر شيئا من هذا فمثل مهنا واولاده لا يفرط فيهم". (٢)

وكان لامراء العرب هؤلاء نفوذ قوى في الدولة، اذ كان السلطان يستجيب لمعظم مطالبهم. واستعملوا هذا النفوذ لتحقيق بعض الأعمال التي كانت تزيد من مكانتهم عند الناس. وقد أجمل شهاب الدين احمد بن يحي بن فضل الله العمرى هذه الأعمال بـ "الشفاعات المقبولة في استخدام الوظائف وترتيب الرواتب واقطاع الجند والاطلاق من السجون ..." (٣).

ولا نستطيع أن نحدد بدقة المدى الذى وصل اليه تدخل امراء العرب في شؤون الدولة ولا أثرهم على السلاطين المماليك، لكن المعلومات القليلة المتوفرة تدل على وجود مثل هذا التدخل، فقد كان من "عادة" مهنا "اذا سمع بحضوره من البلاد وأنه قرب من مصر يخرج اليه المحتاج وصاحب الفاقة واهل الحوائج ويتصل اليه ويسأله في قضاء حوائجهم من القصص(٤) ويقضيها وينعم ويتصدق على من يقصده" (٥).

---

(١) انظر مسالك الابصار، ج ٣ ص ٤٨. وايضا البداية والنهاية، ج ١٣ ص ٢٨٠، ٢٩٢، ج ١٤ ص ٣٢٠، السلوك، ج ٢ ص ٧٢، بدائع الزهور، ج ١ ص ٢١٦.

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين، ج ١ ص ٤٦٨ عن عقد الجمان للعينى، ج ٢٢ ص ٢١٦.

(٣) مسالك الابصار، ج ٣ ص ٤٨.

(٤) القصص جمع قصة وهو الطلب او الالتماس. السلوك، ج ١ ص ٤٨٧ حاشية ٣، عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام (القاهرة، ١٩٦٥) ص ٤٤.

(٥) مسالك الابصار، ج ٢٩ ورقه ٥٨. ما عدا المرة الاخيرة التي قدم فيها سنة ٧٣٤ هـ، فانه رفض القيام بأى شيء من ذلك. والخط تحت "عادة" من وضعي.

ولم يقتصر الأمر على تدخل امراء العرب في النواحي المتعلقة بقضاء حاجات الناس، بل كانوا يتدخلون في شؤون السلاطين المماليك وذلك بالشفاعات لديهم في الامراء الاتراك المسجونين وغيرهم، والتي كان يستجيب السلاطين لمعظمها . ومن امثلة ذلك شفاعة الأمير مهنا بن عيسى سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠م) بأميرين من كبار الامراء المماليك هما أيدمر الشيخي وبرلغي التترى الاشرفي لاخراجهما من السجن[١] . وفي سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٨م) شفع الأمير موسى بن مهنا في عدد (خمسة وثلاثون) من الرجال المصادرين المسجونين وذلك لاخراجهم من السجن[٢] . كما شفع الأمير نعير ابن حيار سنة ٧٩٣ هـ (١٣٩١م) بعدد من الامراء ، من اصحاب السلطان الظاهر برقوق المعزول[٣] ، المسجونين بثغر الاسكندرية فأجاب السلطان طلبه[٤] .

وكانت مكانة امراء آل فضل في بلاد الشام مرموقة ، ليس فقط لانهم كانوا يقومون أحيانا بقضاء مصالح الناس، بل لعلاقاتهم ببعض الشخصيات البارزة في البلاد . فقد كانوا على علاقة طيبة مع الشيخ احمد بن تيمية الذى كان له عندهم "منزلة وحرمة واكرام يسمعون قوله ويمتثلونه"، كما قال ابن كثير[٥] . كما كان ابن تيمية نفسه يهتم بامورهم ، فقد كان ينهاهم عن الغارة على بعضهم البعض وعلى غيرهم من العرب حتى انه وضع مؤلفا —

---

(١) السلوك ، ج ٢ ص٨٧—٨٨، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص١٧ .

(٢) السلوك ، ج ٢ ص٤٥٥ .

(٣) تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ص٩٦—٩٩ حيث ذكر اسماء الامراء الذين سجنوا .

(٤) تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ص١١٣ . ومرة أخرى قام نعير بشفاعة لدى السلطان في نفس العام . المصدر ذاته ، ج ٩ ص٢٥١ ، ذيل تاريخ الاسلام ، ج ٢ ورقه ٤٠ .

(٥) البداية والنهاية ، ج ١٤ ص١٧٢ . وقد شفع الأمير مهنا بالشيخ أحمد بن تيمية عندما كان مسجونا في القاهرة فأخرجه السلطان من السجن . انظر الدر الفاخر، ص١٥٠—١٥١، البداية والنهاية ، ج ١٤ ص٤٥ ، السلوك ، ج ٢ ص٣٩ — ٤٠ .

كما قال ابن كثير ايضا — بتحريم ذلك[١] . وكان امراء آل فضل على علاقات حسنة مع ابناء البيت الأيوبي في حماه، فقد قاموا سنة ٧٠٩هـ (١٣٠٩—١٣١٠م) بمحاولة للتوفيق بين ابناء هذا البيت المتخاصمين[٢]، كما توسطوا سنة ٧١٠هـ (١٣١٠م) لاعادة حماة الى هذا البيت بعد أن كانت قد خرجت من ايديهم مدة ١١ سنة وعدة اشهر (خرجت سنة ٦٩٨ هـ / ١٢٩٩)[٣] . وتمكن سيف بن فضل "ملك العرب" سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩م) من مصالحة اثنين من كبار علماء الشام في ذلك الوقت هما قاضي القضاة تقي الدين السبكي والشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية، وذلك بعد فشل محاولات سابقة لاصلاح الحال بينهم[٤] .

٢ — علاقة آل فضل مع القبائل العربية والتركمانية

كان لآل فضل علاقة مع القبائل العربية والقبائل التركمانية في بلاد الشام. والأسباب التي كانت تؤدي الى قيام هذه العلاقة كثيرة منها موقف امراء العرب من الحركات التي كان يقوم بها السلاطين والنواب والامراء المماليك، وموقف المماليك والقبائل العربية والتركمانية من الخلافات التي كانت تقع بين آل فضل وبين السلاطين المماليك. وكان من هذه الاسباب أيضا موقف القبائل العربية والتركمانية من النزاع بين آل فضل وفروع بني ربيعة الأخرى بسبب الامرة وانتقالها من بيت الى بيت .

---

(١) البداية والنهاية، ج ١٤ ص ١٧٢ .

(٢) المختصر، ج ٤ ص ٥٩، ٦١ .

(٣) المختصر، ج ٤ ص ٦٠—٦١، السلوك، ج ٢ ص ٨٧ .

(٤) البداية والنهاية، ج ١٤ ص ٢٣٢ .

وكان موقف امراء العرب من حركات سلاطين وامراء المماليك يتردد بين التأييد والمعارضة حسب الظروف ، كما كان الانتقال من موقف الى موقف آخر سهلا بالنسبة لهؤلاء الامراء خاصة اذا كان في ذلك خدمة لمصالحهم (١) . فقد وقف آل فضل وغيرهم من قبائل واهل الشام الى جانب الملك الناصر محمد بن قلاوون عندما قام بحركته لاستعادة السلطنة بعد أن كان قد تخلى عنها سنة ٧٠٨هـ (١٣٠٨م) (٢) ، لكنهم ، على عكس ذلك ، وقفوا موقفا معاديا للسلطان برقوق سنة ٧٩١هـ (١٣٨٩م) ، وكانوا من القوى التي ساعدت في خلعه من السلطنة ونفيه الى الكرك (٣) .

وكان آل فضل بن ربيعة مركز العلاقات التي نشأت بين قبائل الشام ، العربية منها والتركمانية . فقد كانت معظم القبائل العربية تابعة لآل فضل وتحت حمايتهم (٤) ، اما القبائل التركمانية فكانت مستقلة بامورها . وكان ظهور دور هذه القبائل — كبنى كلاب والتركمان — مرتبطا باستعانه الفئات المتنازعة ، من مماليك وعرب بها .

وكان ابرز صراع قبلي في بلاد الشام خلال فترة المماليك البحرية هو ذلك الذى نشأ بين فروع طيء من آل فضل (آل مهنا بن عيسى وآل فضل بن عيسى) وآل مرا وآل على . وكان اساس هذا الصراع التنافس على امرة العرب . ففي فترة حكم الظاهر

---

(١) انظر مثلا ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا (القاهرة ، ١٩٥١) ، ص ٣٢٤ ، الدرر الكامنة ، ج ٤ ص ٤٨٩ ، ذيل تاريخ الاسلام ، ج ١ ورقه ٢٦٣ أ ، ج ٢ الاوراق ١٠٧ أ ، ١١٧ أ .

(٢) الدرر الكامنة ، ج ٤ ص ٣٦٩ ، السلوك ، ج ٢ ص ٥٦ وما بعدها ، ذيل تاريخ الاسلام ، ج ١ ورقة ٢٠ أ ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٤ .

(٣) سيبحث ذلك بالتفصيل في القسم المتعلق بحركة منطاش من هذا الفصل .

(٤) مسالك الابصار ، ج ٣ ص ٢٧—٢٨ ، العبر ، ج ٥ ص ٣٦٩ .

بيبرس كانت الفتنة بين عيسى بن مهنا وزامل بن على بن حديثة ، ثم النزاع بين آل مهنا امراء العرب في البلاد الشمالية والشرقية من الشام وآل مرا امراء العرب في البلاد "القبلية"(١) ، والذى تمثل بالمنافسة بين عيسى بن مهنا وابنه من جهة واحمد بن حجي من جهة أخرى . لكن هذه الحوادث لم تتطور الى قتال بين الجانبين كما حصل فيما بعد . ففي سنة ٧١٣هـ (١٣١٣م) استعان المماليك ببني كلاب وآل مرا وآل فضل بن عيسى وآل على لطرد مهنا بن عيسى واهله من البلاد (٢) ، فطردوه واخذوا منه امرة العرب واعطوها لسيف بن فضل (٣) . وادى ذلك الى قيام آل مهنا بالفتن التي ادت الى سجن احمد بن مهنا ، وقيام أخيه بجمع العرب للهجوم على دمشق واطلاق أخيه ، فانتشرت الاخبار بأنه كان "يريد أخذ دمشق"(٤) . ولم تخمد هذه الفتنة حتى هَزَم آل مهنا ومن كان معهم من بنى كلاب(٥) ، سيف بن فضل ومن كان معه من آل مرا

---

(١) مسالك الابصار ، ج ٣ ص٤٦ ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٦ (م . خورى) ص١٤٩ ، السلوك ، ج ١ ص ص٢٣٥—٢٣٦ .

(٢) السلوك ، ج ٢ ص ص ١٣١—١٣٢ .

(٣) لم يكن سيف بن فضل فى موقف يمكنه من القضاء على الفتنة اذ "لا طاقة له بآل مهنا" في رأى نائب حلب . السلوك ، ج ٢ ص ص ٧٢٨—٧٢٩ . وقد علق ابن الوردى عن تعيين سيف بن فضل في منصب امير العرب ببيتين من الشعر

نريد لأهل مصر كل خير وقصدهم لنا حتف وحيف
وكيف يسمو لأهل الشام رمح اذا استولى على العربان سيف

(٤) السلوك ، ج ٢ ص ص ٦٦٧—٦٦٨ .

(٥) كان بنو كلاب ، كما رأينا في السابق ، امراء العرب فى منطقة حلب قبل آل فضل ، لكن خلافاتهم الكثيرة وعدم خضوعهم لأمير واحد اضعفهم ، "ولو انقادوا لامير واحد لم يبق لأحد من العرب بهم قبل ولا طاقة" . مسالك الابصار ، ج ٣ ص٥١ . وارجع الى درة الاسلاك ، ج ٢ ورقة ٢٩٨أ ، العبر ، ج ٥ ص٩٨٥ ، ذيل تاريخ الاسلام ، ج ١ الاوراق ١٩٧ ب — ١٩٨ أ ، بدائع الزهور ، ج ١ ص ص٢٢٦-٢٦٦ ، نهر الذهب ، ج ٣ ص ص ١٨٩-١٩٢ ، كأمثلة لاستعانة آل فضل بهم .

وآل على (١) ، واعيد احمد بن مهنا الى الامرة (٢) .

ويمكننا ان نتصور ما كانت تؤدى اليه هذه الفتن من فوضى واضرار مما قاله ابن الوردى المؤرخ المعاصر، من أن فتنة فياض أدت الى "قطع الطرق والخوف على السبل" وأنه جرى "على بلدة المعرة [بلدة المؤرخ] وحماه وغيرها في هذه السنة ... من العرب اصحاب سيف واحمد وفياض من النهب وقطع الطرق ورعى الكروم والزروع والقطن والمقاتي ما لا يوصف" (٣) .

ولم تكن العلاقات بين العرب من آل فضل والتركمان تختلف كثيرا عن العلاقات بين آل فضل وفروع طيء الأخرى ، فقد استعان آل مهنا (من آل فضل بن ربيعة) بالتركمان على نواب حلب وضد امراء العرب المعارضين لهم، لكن هذا التعاون بين آل فضل والتركمان لم يمنع من قيام الحروب بينهم في بعض الأحيان (٤) .

٣ — دور العرب في حركات امراء المماليك في بلاد الشام

قام امراء المماليك في بلاد الشام بعدة حركات كانت تهدف الى الاستقلال بالسلطة في جميع بلاد الشام او في أجزاء منها . وبدأت هذه الحركات مع بداية دولة المماليك البحرية . ففي سنة ٦٥٩هـ (١٢٦١م) أعلن علم الدين سنجر الحلبي ، نائب دمشق ، استقلاله بالسلطة في نيابته وتلقب بالملك المجاهد وضربت السكة باسمه (٥) . ثم

---

(١) درة الاسلاك ، ج ٢ ورقه ٢٩٨ أ — ب ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ص١٨٣، ج ٣ ص٢٣٤، السلوك ، ج ٢ ص ص ٧٣٤، ٧٥٩ .

(٢) ذات مصادر حاشية (٤)

(٣) تتمة المختصر ، ج ٤ ص ١٤٨ .

(٤) انظر كأمثلة عن العلاقات بين آل فضل والتركمان: السلوك ، ج ٢ ص ٦٦٥، ٨٩٨، التعريف بابن خلدون ، ص ٣٢٤، ذيل تاريخ الاسلام ، ج ٢ الاوراق ٣٨ ب ، ٢١٦ أ ، الغزى ، نهر الذهب ، ج ٣ ص ١٨٩ .

(٥) المختصر ، ج ٣ ص ٢٠٨ — ٢١٠، النهج السديد ، ص ٦٨—٦٩، زبدة الفكرة ، ج ١٠ ورقة ٤٢ ب .

تنازل عن سلطنته ، لكنه عاد فأعلن نفسه سلطانا من جديد . واستمر في سلطنته هذه مدة تقارب السنة حتى ارسل له السلطان الظاهر بيبرس من هزمه . ومثل ذلك ما قام به الأمير شمس الدين آقوش البرلي نائب حلب بعد مقتل السلطان المظفر قطز (سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) ، اذ استقل بالأمر في نيابته "وأمر واقطع"(١) واستمال اليه العرب والتركمان بالمال ، وبقي على استقلاله هذا مدة اربعة أشهر(٢) .

ولم تقم خلال بقية سلطنة الظاهر بيبرس حركات مماثلة لهتين الحركتين ، ذلك أن الظاهر بيبرس تمكن من تثبيت سلطته في بلاد الشام وكان كثير التنقل بين القاهرة ودمشق منشغلا هو ونوابه وجيشه طول الوقت في حرب التتار والأرمن والصليبيين .

وفي بداية سلطنة الملك المنصور قلاوون قام الأمير سنقر الأشقر بحركته .

أ — حركة سنقر الأشقر

كان سنقر الأشقر من كبار امراء المماليك البحرية ومن الذين أيدوا الملك المغيث الأيوبي صاحب الكرك في النزاع الذى كان بين هذا الملك وبين الملك الناصر الأيوبي (٦٤٨—٦٥٨ هـ/ ١٢٥٠—١٢٦٠م) صاحب دمشق وحلب . لكن الملك المغيث تغير على هؤلاء الامراء بسبب من تهديد الملك الناصر له، فأمسك عددا منهم وارسلهم الى صاحب دمشق وحلب (الملك الناصر المذكور) الذى سجنهم في حلب . وكان بين الامراء المسجونين سنقر الأشقر(٣) ، الذى بقى في سجنه حتى استولى هولاكو على حلب سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠م)

---

(١) زبدة الفكرة ، ج ١٠ ورقه ١٤٤ أ .

(٢) درة الاسلاك ، ج ١ الاوراق ٢٦—٢٧ .

(٣) المختصر ، ج ٣ ص ١٩٨ ، الوافي بالوفيات (خط) ج ٨ ورقه ١٩٥ أ .

فأسره واخذه معه الى بلاده[١] . وبقي سنقر الاشقر في الاسر الى أن استعاده الملك الظاهر بيبرس مقابل اطلاق ابناء هيتوم ملك الارمن (١٢٢٦—١٢٧٠م) الذين أسرهم الظاهر في حروبه معهم[٢] .

وتولى سنقر الاشقر بعد عودته من الاسر الولاية بالشام ، كما شارك في الحروب ضد التتار[٣] ، واصبح من الامراء المقربين الى السلطان الظاهر بيبرس.

وبعد وفاة السلطان بيبرس سنة ٦٧٦ هـ (١٢٧٧م)، بدأ الخلاف بين سنقر الاشقر وبين قلاوون الالفي الذى كان أيضا من الامراء المقربين الى السلطان المتوفي . فعندما تولى الملك السعيد بن الظاهر بيبرس السلطنة سنة ١٢٧٧م تغير عليه بعض الامراء المماليك — ومنهم سنقر الاشقر وقلاوون الالفي — لانهم كانوا " يرون أنهم احق بالملك" منه[٤] ، وأخذوا يتآمرون عليه مما ادى الى سجن الاميرين سنقر الاشقر وبيسرى اللذين أطلقهما السلطان بعد قليل[٥] .

وعندما بدأ قلاوون العمل لعزل السلطان الملك السعيد عن السلطنة حتى يأخذ مكانه انقسم امراء المماليك على انفسهم . فقد أيد الأمير بيسرى قلاوون الالفي ، وأيد سنقر الاشقر وعز الدين الافرم السلطان[٦] . وانتهى الصراع بعزل الملك السعيد وتوليه

---

(١) زبدة الفكرة ، ج ١٠ ورقه ٣٠، الوافي بالوفيات ، ج ٨ ورقه ١٩٥ أ .

(٢) ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٨٦، ذيل مرآة الزمان، ج ٢ ص ٣٨٦ — ٣٨٧ حيث اورد قصة استرداد قراسنقر مفصلة .

(٣) الوافي بالوفيات ، ج ٨ ورقه ١٩٥ ب ، السلوك ، ج ١ ص ٦٢٨ .

(٤) السلوك ، ج ١ ص ٦٤٥ .

(٥) النهج السديد ، ص ٢٩٠—٢٩١، السلوك ، ج ١ صى ٦٤٥ .

(٦) النهج السديد ، ص ٣٠٣—٣٠٥ ، السلوك ، ج ١ ص ٦٥٢ .
عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام ، ص ٦٦—٦٧ .

الملك العادل سلامش مكانه، وعيّن قلاوون الالفي أتابكا وشريكا للسلطان، وسنقر الاشقر في نيابة السلطنة في دمشق(١).

وتمكن قلاوون من الاستئثار بالسلطنة سنة ١٢٧٩م. وتم ذلك بموافقة كبار الامراء المماليك في القاهرة. لكن ذلك لم يرض سنقر الاشقر الذى كان لا يزال نائبا للسلطنة في دمشق، لاعتقاده بأنه احق بالسلطنة من قلاوون(٢). لكن سنقر الاشقر لم يقم بأى عمل مباشر ضد قلاوون وانما آثره، كما قال ابن الفرات، "الاستبداد" بالشام واعماله(٣)، وأن يكون، كما قال بيبرس الدوادار، "حاكما" من الفرات الى العريش"(٤). ويبدو أنه كان هنالك اتفاق بين سنقر الاشقر وبين قلاوون، على أساس أن يقتسما البلاد بينهما ويصير "الامر على ما كان عليه في اواخر الدولة الايوبية"(٥)، سلطان في مصر وسلطان في بلاد الشام.

وارسل السلطان قلاوون مملوكه حسام الدين لاجين الى دمشق فأقام في قلعتها. واعتقد سنقر الاشقر أنه جاء للقضاء عليه، فجمع الامراء المماليك بدمشق واخبرهم بمقتل السلطان، ودعاهم الى طاعته ومبايعته، فحلفوا له وبايعوه. وفي ٢٤ ذى الحجة من سنة ٦٧٨ هـ (نيسان ١٢٧٩م) ركب سنقر الاشقر "بشعار السلطنة" من دار السعادة التي كانت مقر النائب الى القلعة، وتلقب بالملك الكامل(٦). ثم أخذ يثبت سلطته، فقبض

---

(١) النهج السديد، ص ٣١٠، تاريخ ابن الفرات، ج ٧ ص ١٦٢ وما بعدها، السلوك، ج ١ ص ٦٥٢ — ٦٥٨.

(٢) البداية والنهاية، ج ١٣ ص ٢٨٩.

(٣) تاريخ ابن الفرات، ج ٧ ص ١٦٢، المختصر، ج ٤ ص ١٣.

(٤) زبدة الفكرة، ج ١٠ ورقه ١٠٢ ب، تاريخ ابن الفرات، ج ٧ ص ١٦٧.

(٥) زبدة الفكرة، ج ١٠ ورقه ١٠١ ب، تاريخ ابن الفرات، ص ١٦٢.

(٦) زبدة الفكرة، ج ١٠ الاوراق ١٠١ أ — ١٠٢ ب، ذيل مرآة الزمان، ج ٤ ص ١١، النهج السديد، ص ٣١٢، المختصر، ج ٤ ص ١٣، تاريخ ابن الفرات، ج ٧ ص ١٦٢.

على الامراء المؤيدين لقلاوون ، وعين الموظفين ، وبعث الى امراء المماليك في بلاد الشام يستميلهم اليه ، وارسل القوات من دمشق الى غزة "لحفظ البلاد ومنعها ودفع من يتطرق اليها من البلاد المصرية"، وكتب الى أميري العرب عيسى بن مهنا واحمد بن حجي يعلمهما بما تم من أمره ويطلب منهما القدوم اليه(١) .

ولاقت دعوة السلطان الجديد استجابة سريعة من امراء العرب. ففي الخامس من محرم سنة ٦٧٩ هـ (٧ أيار ١٢٨٠م) قدم الأمير عيسى بن مهنا الى دمشق فاستقبله السلطان الملك الكامل أحسن استقبال واجلسه عن يمينه "فوق الحاضرين". وبعد ذلك بخمسة أيام قدم الأمير أحمد بن حجي من بلاد العراق(٢) . وقد وصل الاميران وعربهما في الوقت الذى بدأ فيه السلطان قلاوون يستعد لحرب الملك الكامل(٣) .

ولم يشارك العرب في الوقائع الاولى بين قوات مصر وقوات دمشق ، لكنهم اشتركوا في المعركة الحاسمة التي تقرر فيها مصير سلطنة سنقر الأشقر، والتي وقعت في ١٩ صفر سنة ٦٧٩هـ (٢٠ حزيران ١٢٨٠م) (٤) . فقد رتب سنقر الأشقر للعرب دورا كانوا يتقنونه تمام الاتقان ، اذ قرر "مع العربان الذين جمعهم أن يقاطعوا ساعة الملتقى على

---

(١) ذيل مرآة الزمان ، ج ٤ ص ١١ وما بعدها، زبدة الفكرة ، ج ١٠ ورقه ١٠٣ ، المختصر، ج ٤ ص ١١ وما بعدها، البداية والنهاية ، ج ١٣ ص ٢٨٩ ، درة الاسلاك، ج ١ ورقه ٥٦ ب ، تاريخ ابن الفرات، ج ٧ ص ١٦٢، ١٦٧ — ١٧٨، السلوك، ج ١ ص ٦٧١ — ٦٧٤ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ، ج ٤ ص ٣٦ .

(٣) ذيل مرآة الزمان ، ج ٤ ص ٤٠ ، السلوك، ج ١ ص ٦٧٥ .

(٤) معركة الجَسُورَة قرب دمشق . زبدة الفكرة ، ج ١٠ ورقه ١٠٣ ب ، السلوك ، ج ١ ص ١٧٦ .

العساكر المصرية ويجيئوهم من ورائهم ويحطوا ايديهم في نهب الاثقال والغلمان والحمال ليثنوا اليهم عنا ...»[١] . وقام العرب بما اوصاهم به السلطان ، لكن الحيلة لم تنطل على الأفرم الذى كان يقود العساكر المصرية [٢] ، فانكسرت العساكر الشامية وتفرقت .

وعندما رأى سنقر الأشقر هزيمة عسكره وانضمام قسم منه الى العساكر المصرية ، هرب ومن بقى معه من الامراء على طريق البرية مع الامير عيسى بن مهنا ، وساروا معا الى بيوت الامير عيسى . واستجار سنقر بأمير العرب واقام عنده[٣] ، ثم اتصلا بملك التتار وطلبا اليه قصد بلاد الشام ، ووعداه بمساعدته في الاستيلاء عليها[٤] .

واتخذ السلطان قلاوون ، بعد فشل هذه الحركة ، موقفا حازما من امراء العرب الذين شاركوا فيها ، فعزل عيسى بن مهنا عن امرة العرب ، واخذ اقطاعه ، واعطاها والاقطاع الخاص بالأمير للامراء عثمان بن مانع بن هبة ، ومحمد بن ابي بكر ، ودراج بن

---

(١) زبدة الفكرة ، ج ١٠ ورقه ١٠٤ أ ، وهو نفس الاسلوب الذى كان الأفرم يريد اللجوء اليه فيما بعد . الدر الفاخر ، ص ٢٢٦ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ، ج ٤ ص ٤٠ ، الوافي بالوفيات ، ج ٨ ص ١٩٥ ب ، البداية والنهاية ، ج ٣ ص ٢٩١ ، درة الاسلاك ، ج ١ ورقه ٥٨ ب .

(٣) النهج السديد ، ص ٣١٦ ، ذيل مرآة الزمان ، ج ٤ ص ٤٠—٤١ ، ١٠٩ .

(٤) هذا ما تتفق عليه اكثر المصادر . ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول (ط ٢ ، بيروت ، ١٩٥٨) ، ص ٢٨٨ ، زبدة الفكرة ، ج ١٠ ورقه ١٠٤ ب ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٧ ص ١٧٢ ، السلوك ، ج ١ ص ٦٧٧—٦٧٨ ولكن اليونيني يخالفهما فى ذلك اذ ذكر انه عندما سمع التتار بالفوضى في بلاد الشام ، واختلاف الكلمة ، ظنوا ان سنقر الأشقر ومن معه سيتفقون معهم ، ويكونوا جميعا على العسكر المصرى . ذيل مرآة الزمان ، ج ٤ ص ٤٥ . ويؤيد ذلك موقفهما الى جانب السلطان فى حرب التتار . أما رشيد الدين الهمذاني (جامع التواريخ ، ج ٢ قسم ٢ من الترجمة العربية ، ص ٨٢) فقد ذكر انه عندما علم أباقا خان «أن اهل الشام يسيرون الى حدود الروم وديار بكر ويهاجمونها ، ويدمرون بلاد المسلمين ، ويأكلون الغلال ، ويثيرون الفتن ، كان يتألم من اعمالهم ، وصمم على المسير الى تلك البلاد» .

الظاهر[١] . أما احمد بن حجي فقد كان اكثر دهاء من عيسى ، اذ تخلى عن سنقر الاشقر بعد المعركة مباشرة وعاد الى طاعة سلطان مصر بأمان[٢] .

ولم يعد عيسى بن مهنا الى طاعة قلاوون الا بعد مدة تقارب العام ، وذلك بعد اتفاق الكلمة بين السلطان وسنقر الاشقر للوقوف في وجه التتار[٣] .

ب — حركة قراسنقر سنة ٧١١هـ (١٣١١م)

لم تكن حركة قراسنقر زمن الملك الناصر محمد مثل حركة سنقر الاشقر زمن والده ، كما كان دور العرب فيها يختلف عن دورهم في الحركة السابقة . فقد كان قراسنقر مملوكا جركسيا اشتراه السلطان قلاوون واستخدمه في وظائف الدولة ، وترقى في المناصب حتى أصبح من كبار الامراء ، فتولى نيابة حلب ، واميرجاندار ، ونائب السلطنة زمن السلطان لاجين (١٢٩٦—١٢٩٨م) . واستمر يحتل هذا المنصب الاخير حتى اعتقاله[٤] . وتولى في زمن السلطان محمد بن قلاوون عدة نيابات منها الصبيبة وحماة وحلب ، كما قام في زمن الناصر محمد بن قلاوون — في سلطنته الثانية (٦٩٧—٧٠٨هـ/ ١٢٩٨—١٣٠٨م) بتدبير المملكة حتى صار السلطان "تبعا له فيما يريد[٥]" ، الى أن تغير

---

(١) تاريخ ابن الفرات ، ج ٧ ص ١٧٧ ، السلوك ، ج ١ ص ٦٧٩ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ، ج ٤ ص ص ٤٠—٤١ ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٧ ص ١٧١ ، السلوك ، ج ١ ص ٦٧٧ .

(٣) ذيل مرآة الزمان ، ج ٤ ص ص ٨٨—٩٢ ، المختصر ، ج ٤ ص ١٠٥ ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٧ ص ٢٠٠ ، السلوك ، ج ١ ص ٦٨٤ .

(٤) الدرر الكامنة ، ج ٣ ص ٢٤٧ ، و "اميرجاندار" هو الامير الذى يستأذن على دخول الامراء للخدمة السلطانية ويدخل امامهم الى الديوان . عاشور ، العصر المماليكي في مصر والشام (القاهرة ، ١٩٦٥) ، ص ٤٠٤ .

(٥) الدرر الكامنة ، ج ٣ ص ٢٤٧ .

السلطان
عليه ابعد مدة فعينه نائبا بالشام ثم في حلب. وبقى في هذا المنصب حتى خروجه عن الطاعة سنة ٧١١هـ (١٣١١م) .

ولم يكن السبب الذى دفع قراسنقر الى الخروج عن طاعة السلطان هو رغبته بالاستئثار بالسلطة في بلاد الشام ، وانما كان تخوفه من السياسة التي اتبعها السلطان تجاه الامراء الذين شاركوا في مقتل أخيه الملك الأشرف خليل (١٢٩٠—١٢٩٣م) ، لانه (قراسنقر) كان أحد هؤلاء الامراء[١] . فقد بدأ الناصر محمد بتتبع الامراء واحدا واحدا للقضاء عليهم مستعملا الابعاد والاعتقال والقتل "اظهارا لثأر أخيه، وخوفا من أن يتجاسروا عليه بما تجاسروا على اخيه".[٢] ولذلك فقد اتخذ الامراء قراسنقر والافرم والزردكاش[٣] موقفا حذرا من السلطان حتى انه كان لهم مخبرون في القاهره يعلموهم بجميع ما كان يحاك فيها ضدهم[٣] . وعرف قراسنقر عن طريق مخبريه بخروج تجريدة كبيرة من مصر الى الشام للقضاء عليه، فقام بحركته التي اشتهر امرها في جميع "اقاليم الشام"،[٤] والتي انتهت بخروجه والامراء الذين شاركوه رأيه-الافرم والزردكاش—عن الطاعة والتجائهم الى التتار في العراق حيث اقطعوا هناك واستقروا .

وكان امير العرب في ذلك الوقت مهنا بن عيسى اشهر الامراء في القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) . وكانت علاقة هذا الأمير مع السلطان الناصر قد بدأت

---

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص٧٦ .

(٢) المصدر ذاته ، ص٧٦،والسلوك ، ج ٢ ص١٠٨ .

(٣) الدر الفاخر ، ص ص ٢١٨—٢١٩، ٢٢٣—٢٢٥، والأفرم والزردكاش من امراء المماليك .

(٤) المصدر ذاته ، ص٢٢٢ .

تسوء بسبب عدم قبول السلطان الاستجابة لشفاعاته. وفي ذات الوقت كانت علاقات مهنا مع قراسنقر حسنة نظرا لخدمة هذا الأمير المملوكي الطويلة في حلب(١). وهذه العلاقة هي التي دفعت قراسنقر الى اللجوء الى مهنا بن عيسى طالبا اجارته(٢). وقبل مهنا استجارة قراسنقر بالرغم من معارضة أخيه فضل بن عيسى الذى كان يريد امساكه وارساله الى السلطان(٣).

وقام الأمير مهنا بمحاولة للاصلاح بين السلطان وبين قراسنقر، خاصة وان الكتب التي وردت اليه من السلطان كانت توكد أن لا اساس لخوف قراسنقر ووهمه(٤)، فطلب من قراسنقر الاقامة عنده في بيوته حتى يقوم بمكاتبة السلطان لتعريفه بما تم من امره، والانتظار حتى يعود الجواب، ثم يقررا بعد ذلك الاجراء المناسب(٥). وارسل مهنا ابنه موسى مع هدية الى السلطان وطلب منه "أن يتصدق عليه [اى قراسنقر] بنيابة قلعة الروم" ليمضي فيها آخر أيامه(٦).

---

(١) مسالك الابصار، ج ٣ ص ٣٢، الدر الفاخر، ص ٢١٩.

(٢) كان السلطان قد طلب من قراسنقر، وقبل قيامه بحركته، القبض على مهنا. وقد اطلع قراسنقر مهنا على هذه الرسالة في بداية حركته. مسالك الابصار، ج ٣ ص ٣٤، الدر الفاخر، ص ٢١٩ — ٢٢٠، المختصر، ج ٤ ص ٦٤.

(٣) مسالك الابصار، ج ٣ ص ٣٣.

(٤) الدر الفاخر، ص ٢٢٠ — ٢٢١.

(٥) مسالك الابصار، ج ٣ ص ٣٣.

(٦) الدر الفاخر، ص ٢٢٢.

وبعد سفر موسى بن مهنا وردت الى مهنا رسالة من السلطان . وجاء مع هذه الرسالة "الامان ... لقراسنقر وتقليد حلب على عادته ومستقر قاعدته ، ويعتب عليه على ما قد خامره من الوهم الهذياني الذى لم تكن له صحة "، وفي الجملة "انك [قراسنقر] رجل كبير، ونحن برأيك نقتدى في الامور الكبار، ترجع الى كلام الجهلة والاعدا وتفعل ما لا تفعله الصغار ؟ " ويطلب منه أن " ... تترك هذا وترجع الى حلب ... فأنت تعلم محلك عندنا وعظم منزلتك . ونحن قد اقمناك مقام أنفسنا في جميع الممالك الشامية ". فكاد أن يقتنع مهنا بوجهة نظر السلطان ، لولا أن " مناصحي " قراسنقر أرسلوا يحذرونه من هذه المكيدة . فأطلع قراسنقر الامير مهنا على "البطاقة [الرسالة] "الواردة من اصحابه في القاهرة وذكره بحق الجيرة قائلا : "انا الآن في جيرتك ، ومهما لحقني من الضيم كان عيبه عليك ، وعاره لازم عليك". وكان جواب مهنا الالتزام بحق الجيرة ، والاستعداد للمساعدة في كل ما من شأنه المحافظة على قراسنقر ومصالحه، فرفض عودته الى حلب بناء على طلب السلطان (١) .

ثم وردت كتب السلطان مع الرسل الذين بعثهم مهنا، فزادت في تعقيد الامور. فقد طلب السلطان في هذه المرة عودة قراسنقر الى القاهرة لتعيينه نائبا للسلطنة . وهنا ايضا حاول مهنا اقناعه بالعودة ، لكن خوف قراسنقر كان قد بلغ مداه، وظهر ذلك واضحا في جوابه لمهنا : "يا ابا موسى ، أنا في الأصل قطعة مملوك جركسي ، رأسي ورجلي ما يسوو ثلاث ماية درهم، وايش هو أنا اذا قتلت ؟ انما عيبي يبقى لازمك وتلبس ثوب العار بين العربان الى آخر الدهر. اذا اشرت على بشيء ما اخالفك . ثم قال : قدموا الخيل اركب واتوجه اليه ..."، فأثار ذلك الموقف نخوة مهنا، الذى كان يعرف نية الناصر ،

---

(١) الدر الفاخر، ص٢٢٣ — ٢٢٤ .

فصمم على تأييده، حتى لا يلبس العار بين البدو الحضر[١] . ثم قرر مهنا وقراسنقر التوجه الى ناحية الفرات.

وفي هذه الاثناء قدم اليهما الافرم نائب دمشق والزردكاش نائب طرابلس[٢] . وكان من رأى الافرم ان يقوم المماليك والعرب بمحاربة العساكر التي ارسلها السلطان الناصر، الا ان رأى قراسنقر كان غير ذلك اذ رأى التوجه الى بلاد العراق ومراسلة السلطان في مصر ليعطيهم بعض القلاع[٣] البعيدة، فان رفض دخلوا في طاعة خدابندا (٧٠٣-٧١٧هـ/ ١٣٠٤-١٣١٧م) سلطان العراق . ورفض السلطان اعطائهم ما طلبوا، وانما قرر لهم قلاعا كانت قريبة من مراكز الممالك الشامية[٤]، فأدى ذلك الى ذهابهم جميعا، ومهنا معهم، الى التتار، حيث استقبلوا احسن استقبال[٥] . أما مهنا فقد اكتفى بايصالهم الى الفرات، وارسل الى سلطان العراق طالبا منه حمايتهم، ومعلنا دخوله في طاعته، وتعهده بخفارة طريق الركب العراقي[٦] .

وهكذا انتهت هذه الفتنة الداخلية دون قتال، لكن النتائج التي ترتبت عليها كانت بعيدة الاثر، فقد ادت الى خروج آل مهنا عن الطاعة، وتبع ذلك فترة من الفتن في بلاد الشام، وبدأ امراء هذه القبيلة يتعاونون مع التتار، ويشجعوهم على غزو البلاد،

---

(١) الدر الفاخر، ص ٢٢٥ .

(٢) المصدر ذاته، ص ص ٢٢٢-٢٢٦، العبر، ج ٥ ص ٩٤١، البداية والنهاية، ج ٤ ص ص ٢٦٣-٢٦٥ .

(٣) البيرة لقراسنقر، وبهنسا للزردكاش، والرحبة للافرم . مسالك الابصار، ج ٣ ص ٣٣ .

(٤) اعطى السلطان لهم الصبيبة لقراسنقر، وعجلون للافرم والصلت للزردكاش . الدر الفاخر، ص ٢٢٦ .

(٥) الدر الفاخر، ص ص ٢٢٦ - ٢٣٥ .

(٦) مسالك الابصار، ج ٣ ص ٣٤ .

ويشاركون في بعض هذه الغزوات .

جـ - ثورة منطاش ٧٩١ - ٧٩٥ هـ (١٣٨٩-١٣٩٣م)

لعل ثورة منطاش (١) من أهم الحركات الداخلية التي قامت في بلاد الشام ، والتي واجهت السلطان الظاهر برقوق . فقد استمرت خمس سنوات ، واشترك العرب فيها أو في مقاومتها على نطاق اوسع بكثير من الحركتين السابقتين . وحتى "عشير" (٢) الشام من قيسية ويمنية كان له دور فيها (٢) .

كان تمربغا الاشرفي ، المعروف بمنطاش ، من كبار الامراء المماليك الاتراك ،

---

(١) عالجت المصادر المعاصرة والمتأخرة حركة منطاش بالكثير من التفصيل . ومن اشهر المصادر المعاصرة : الجزء التاسع من تاريخ ابن الفرات ، والدرة المضيئة في الدولة الظاهرية (نشر وليم برينر، بركلي - جامعة كليفورنيا ، ١٩٦٣) لابن صصرى الذى كان يعيش في دمشق في ذلك الوقت ومشاهدا لمعظم الاحداث التي دونها ، والعبر لابن خلدون (ج ٦ من طبعة بيروت) وسيرة برقوق التي الفها D. De Mignanelli . ومن المصادر المتأخرة النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى (ج ١١ ، ١٢ من طبعة دار الكتب المصرية) ، وبدائع الزهور في وقائع الدهور لابن اياس (ج ١ من طبعة بولاق) وتاريخ بيروت لصالح بن يحي (بيروت ، ١٨٩٨) الذى ترد فيه بعض الاشارات عن علاقة امراء الغرب بهذه الحركة ، والذيل على تاريخ الاسلام لابن قاضي شهبة (ج ٢ - حوادث السنين ٧٩١ هـ - ٧٩٥ هـ) . ومن الدراسات الحديثة : قيام دولة المماليك الثانية لحكيم السيد (القاهرة ، ١٩٦٧) ، وهي من الدراسات الجيدة التي اعتمدت المصادر الاولية .

(٢) انظر عن دور العشير: الدرة المضيئة ، ص ص ١٨ ، ٢٥ ، ٣٠ وما بعدها ، ص ٧٦ - ٩٠ . و "العشير" مصطلح يطلق على العرب او الاعراب الذين كانوا يسكنون الارياف والدروز . ارجع الى السلوك ، ج ١ ص ٦٨٩ حاشية (٢)

وقد شغل عددا من الوظائف في الدولة المملوكية حتى استقر آخر الامر في نيابة ملطية (١) . وقد ولاه السلطان الظاهر برقوق الجركسي هذا المركز البعيد ليتخلص منه كما تخلص من الكثيرين من الامراء الاتراك بالابعاد او السجن او القتل (٢) . لكن منطاش أعلن ثورته على السلطان ، فاستقل في نيابته ، وانضم اليه عدد من الامراء المماليك الاتراك الناقمين على السلطان برقوق .

ثم قام أمير تركي آخر هو يلبغا الناصرى بحركة مناهضة للسلطان برقوق في بلاد الشام ، فجمع الامراء والمماليك الأتراك في بلاد الشام ، واستمال منطاش ومن معه ، وقرر واياهم خلع السلطان برقوق (٣) . وسار يلبغا ومنطاش — بعد ان استقر لهما الامر في بلاد الشام — ومن كان يؤيدهما من المماليك والعرب والتركمان الى مصر ، فقاما بعزل السلطان برقوق ونفياه الى الكرك (٤) ، وعينا مكانه السلطان المظفر حاجي (٧٩١هـ/ ١٣٨٩) الذى كان قد عزله برقوق سنة ٧٨٤هـ (١٣٨٢م) . وكان النفوذ الفعلي في فترة سلطنة المظفر حاجي القصيرة (سنة واحدة) بيد يلبغا الناصرى ومنطاش . وقد وقع بينهما نفور من البداية ، وتطور الى صراع انتهى بسجن الناصرى واستيلاء منطاش على

---

(١) الدرر الكامنة ، ج ٤ ص ٣٦٤ ، Ascensus Barcoch, p. 151

(٢) صور صاحب قيام دولة المماليك حركة منطاش على أساس أنها ردة فعل الامراء الاتراك على استيلاء الجراكسة على السلطنة . انظر الفصل الثالث ص ص ٦١—٩٢ .

(٣) العبر ، ج ٥ ص ١٠٣١—١٠٣٤ ، الدرر الكامنة ، ج ٤ ص ٣٦٤—٣٦٥ ، ذيل تاريخ الاسلام ، ج ٢ ورقه ٢٩ ب ، النجوم الزاهرة ، ج ١١ ص ٢٥١—٢٥٨ ، قيام دولة المماليك ، ص ٦٥—٦٨ .

(٤) نجد الكثير من تفاصيل هذه الحركة في تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ص ٥١ وما بعدها ، النجوم الزاهرة ، ج ١١ ص ٢٥٥ وما بعدها .

المملكة . في هذه الاثناء تمكن السلطان برقوق من الخروج من سجنه وبدأ يعمل للعودة الى السلطنة . وعندما عرف منطاش بحركة برقوق هرب الى الشام .

وايد امير العرب نعير بن حيار حركة الناصرى وبرقوق من بدايتها . ولم يكن هذا التأييد مرتبطا بالصراع بين المماليك الأتراك والمماليك الجراكسة على السلطنة ، وانما كان لاسباب شخصية مرتبطة بعلاقته مع السلطان برقوق الذى أخرج امرة العرب عنه واعطاها لابناء عمه آل فضل بن عيسى (١) . ولذلك فقد كان على استعداد للمشاركة بأى عمل يهدف الى القضاء على برقوق ، خصوصا اذا كان هذا العمل سيؤدى الى وصول اصدقائه (٢) الى مراكز القوة في القاهرة .

وعندما تمكن الناصرى ومنطاش من الاستيلاء على السلطة في القاهرة ، كان الامير نعير من اوائل الذين قدموا الى مصر لتقديم الولاء للسلطان المظفر حاجي مع أنه "لم يكن قط حضر الى الديار المصرية في أيام الظاهر برقوق" (٣) . وفي القاهرة أخذ رأى أمير العرب في مصير السلطان المعزول ، فكان من مؤيدى رأى منطاش الذى قال بقتل الظاهر برقوق لا مجرد الاكتفاء بسجنه او نفيه (٤) . ولم يأخذ الناصرى وغيره من

---

(١) لم أجد ما يؤيد قول De Mignanelli من أن السبب كان "لان نعيرا، الذى كان من اصل عربي عريق ، كان يكره سيده [برقوق] لان هذا كان نصرانيا وبيع كمملوك عندما كان يعرفه نعير في شبابه" . Ascensus Barcoch, p. 153.

(٢) كان نعير على علاقة حسنة مع الناصرى ، كما كان مصاهرا لمنطاش . تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ص ١٠٩ ، قيام دولة المماليك ، ص ٧٠ .

(٣) تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ص ١٠٩ — ١١١ .

(٤) التعريف بابن خلدون ، ص ٣٢٨ — ٣٣٢ .

كبار الامراء المماليك برأيهما واكتفوا بنفيه الى الكرك.

وعاد الأمير نعير الى بلاده في تموز سنة ١٣٨٩ م . وعرف بعد عودته بما وقع بين يلبغا ومنطاشيا من الخلاف ، فصعب عليه ذلك الأمر وخرج عن الطاعة ، واتفق مع الأمير سولي بن قراجا بن دلغادر التركماني (١) على العصيان، وقاما ومن معهما من اتباع بالاستيلاء على بلاد كثيرة من بلاد حلب(١) .

وأما برقوق فقد بدأ حركة من منفاه في الكرك لاستعادة السلطنة ، فاستولى على الكرك واطاعه أهلها . ثم ايده امراء بني عقبة وامير آل فضل المعارض لنعير(٢) . عند ذلك قرر برقوق المسير الى دمشق للاستيلاء عليها . وانضم اليه في الطريق عرب بني مهدي وجماعة من آل علي الذين كانوا على طاعته في سلطنته الاولى (٣) . وعندما عرف أهل دمشق بذلك "جفلت خواطر الناس" لانهم لم ينتهوا بعد من الفتنة السابقة (٤) .

وانقسم أهلها ما بين مؤيد لمنطاش ومؤيد للظاهر برقوق ، ويبدو أن غالبيتهم كانت "منطاشية".(٥)

وعندما عرف منطاش بحركة برقوق سار الى الشام وصحب معه السلطان والخليفة .

---

(١) تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ص ١٣٢—١٣٣ . وسولي هو والي نيابة الأبلستين ومرعش عدة مرات. الدرر الكامنة ، ج ٢ ص ١٧٩ .

(٢) ذيل تاريخ الاسلام ، ج ٢ الاوراق ٤٢ ب — ٤٣ أ، قيام دولة المماليك ، ص ٨٥ .

(٣) ذيل تاريخ الاسلام ، ج ٢ الاوراق ٤٣ ب — ٤٤ ب . اما ابن صصرى فيذكر انضمام "العشران والفلاحين" الى الظاهر برقوق . الدرة المضيئة ، ص ص ٢٥—٢٦ .

(٤) الدرة المضيئة ، ص ٢٥ .

(٥) الدرة المضيئة ، ص ٣١، Ascensus Barcoch,pp.155-156. ، بدائع الزهور ، ج ١ ص ٢٨٢ .

وفي المعركة التي كانت بينه وبين برقوق عند شقحب ـ قرب دمشق ـ هُزِم منطاش(١) فهرب الى دمشق واعتصم بها(٢) ولحقه برقوق وقام بمحاصرة المدينة ، لكنه لم يستمر في محاصرتها اذ قرر العودة الى القاهرة بعد أن أصبح الطريق اليها مفتوحا(٣) .

ولم تؤد هزيمة منطاش على شقحب الى نهاية ثورته ، بل على العكس استمرت وقويت بانضمام آل مهنا بقيادة نعير وآل مرا بقيادة عنقاء بن شطي اليها(٤) . أما السلطان برقوق فبدأ يعمل للقضاء على ثورة منطاش، فاستعان بيلبغا الناصري وغيره من الامراء الاتراك وعينهم قادة للجيش الذي ارسله الى الشام(٥) ، وارسل مرسوما بتقليد الامير نعير الامرة ، وحاول اقناع منطاش بأنه "اذا اطاع كان له الامان، واى بلد اختار تكون له خلا دمشق وحلب"(٦) ، اما اذا امتنع هو ونعير عن قبول ذلك فعلى العسكر حربهم . ولم يوافق نعير ومنطاش على شروط برقوق فكانت الحرب .

ووقعت المعركة الاولى بين الجانبين في شعبان سنة ٧٩٢ هـ (تموز ١٣٩٠م) ، وفيها تمكن الناصري من كسر نعير وهزيمته وتتبعه حتى منازله(٧) ، لكن بقية جيش

---

(١) معركة شقحب قرب دمشق ، وقد وصفتها المصادر بتفصيل زائد . وقد وصفها De Mignanelli وصفا دقيقا . Ascensus Barcoch, pp. 155-159.
وذكر صالح بن يحي وقوف الامراء البحتريين الى جانب برقوق . تاريخ بيروت ، ص١٩٣ـ ١٩٤ .

(٢) الدرر الكامنة ، ج ٤ ص٣٦٥، ذيل تاريخ الاسلام، ج ٢ ورقه ٥٥ ب ، الدرة المضيئة ، ص٦٣ .

(٣) قيام دولة المماليك ، ص ٩٠ .

(٤) تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ص٢١٧ ، الدرة المضيئة ، ص١١٦ .

(٥) كان هدف السلطان برقوق القضاء على ثورة الامراء الاتراك بواسطة الاتراك انفسهم حتى يتمكن من اضعافهم وتثبيت حكم الجراكسة . قيام دولة المماليك ، ص ص ٩٤ـ٩٥ .

(٦) الدرة المضيئة ، ص ٦٤ .

(٧) تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ص٢١٨، ذيل تاريخ الاسلام ، ج ٢ ورقه ٥٧ ب .

السلطان لم تتمكن من احراز نصر حاسم على منطاش ومن معه، بل على العكس فانه تمكن ومن معه من عرب نعير وعنقاء من هزيمة الامراء المماليك وقتل واسر عدد كبير منهم (١). وادت هذه الهزيمة الى بلبلة في دمشق حتى "قالت الناس: ان منطاش والعرب يريدون أخذ المدينة فانه لم يبق قدامه أحد من العساكر" (٢). ولم يأت المنتصرون الى دمشق، بل توجهوا جميعا الى حلب وحاصروها فلم يتمكنوا من الاستيلاء عليها (٣). وفي هذه الاثناء حدثت موقعة بين عرب نعير ونائب حلب كان نتيجتها هزيمة العرب واسر عدد كبير منهم، من بينهم أحد ابناء نعير (٤). وادى ذلك الى تغير موقف نعير، فارسل الى السلطان برقوق كتابا شرح فيه موقفه وسأله "امانا شريفا"، فاجابه السلطان الى ما طلب، وارسل له "تقليده بالامرة على عادته". (٥)

وتوجه منطاش، بعد رجوع نعير الى الطاعة، الى مرعش، ومنها عاد عن طريق البرية الى الشام (٦)، وتمكن من دخول دمشق والاستيلاء عليها. وحدث في المدينة نزاع

---

(١) عزا ابن صصرى سبب هزيمة العسكر الى العرب. الدرة المضيئة، ص٦٦. ايضا تاريخ ابن الفرات، ج ٩ ص ٢١٩، الدرر الكامنة، ج ٤ ص ص ٣٦٥—٣٦٦.

(٢) الدرة المضيئة، ص٦٧.

(٣) الدرة المضيئة، ص ٦٩، ذيل تاريخ الاسلام، ج ٢ ورقه ٥٨ ب — ٥٩ أ. تاريخ ابن الفرات، ج ٩ ص ص ٢١٩—٢٢٠.

(٤) تاريخ ابن الفرات، ج ٩ ص ٢٢٠، ذيل تاريخ الاسلام، ج ٢ ورقه ٥٨ أ.

(٥) تاريخ ابن الفرات، ج ٩ ص ص ٢٣٢—٢٣٣، ٢٥٠، ذيل تاريخ الاسلام، ج ٢ ورقه ٥٩ أ. ويرد أن الامير عنقاء كان في هذا الاتفاق، وانه التزم باحضار جثة منطاش، وان السلطان وافقه على ذلك، لكن يبدو ان عنقاء لم يتقيد بالاتفاق واستمر في تأييد منطاش.

(٦) الدرة المضيئة، ص ص ٧٥—٧٦، تاريخ ابن الفرات، ج ٩ ص ٢٥٥ حيث ذكر البلاد التي مر بها وهي: العمق الى اعزاز الى سرمين الى حماه (استولى عليها) الى حمص (استولى عليها) الى بعلبك (دخلها) الى دمشق (استولى عليها).

شديد بين المؤيدين له والمؤيدين للسلطان برقوق (١) .

وتتابعت بعد ذلك الاحداث التي ادت في النهاية الى القضاء على ثورة منطاش . فقد انضم عنقاء بن شطي اميرآل مرا الى منطاش في دمشق (٢) وقاما معا بحرب عسكر الناصري ، فهزما وخرجا من دمشق (٣) ولحقهما يلبغا بمن كان معه من العساكر . وفي هذه الاثناء توجه الامير نعير من منازله نحو دمشق (٤) ، فالتقى في الطريق بالقوات التي كانت عائدة من ملاحقة الهاربين ، ووقع بين الجانبين معركة (في شعبان ٧٩٣هـ/ حزيران ١٣٩١م) كُسر فيها العسكر الناصري كسرة علّق عليها ابن صصرى بقوله : "ورجعت الترك مكسورين وراحت العرب منصورين ، ومن اعظم العظائم أن تفوز العرب من الترك بالغنائم" . (٥) وتبع ذلك خروج نعير عن الطاعة من جديد (٦) .

وأما منطاش وعنقاء فقد وقع الاختلاف بينهما بعد هزيمتهما ، فتوجه عنقاء الى البرية وتوجه منطاش الى نعير واستجار به (٧) .

---

(١) الدرة المضيئة ، ص ص ٨٠—٨١ .

(٢) الدرة المضيئة ، ص ٨٩ . وقد "دقت البشائر عند المناطشة في الميدان وفرحوا بسبب قدومه" . ايضا ذيل تاريخ الاسلام ، ج ٢ ورقه ٦٧ أ .

(٣) تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ص ٢٦٥ ، الدرة المضيئة ، ص ٩٠ ، ذيل تاريخ الاسلام ، ج ٢ ورقه ٦٧ ب .

(٤) ذكر ابن قاضي شهبة انه كان قادما لنجدة منطاش . ذيل تاريخ الاسلام ، ج ٢ ورقه ٦٧ ب ، لكن نائب حماه ، في كتابه الى السلطان ، ذكر ان نعيرا لم يكن خارجا عن الطاعة وانما كان قادما لتقديم الولاء . تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ص ٢٦٥ . وفي هذه المعركة كان امراء الغرب من بني بحتر مع الناصري . تاريخ بيروت ، ص ١٩٨ — ٢٢٠ .

(٥) الدرة المضيئة ، ص ٩٢ .

(٦) لكنه حاول في نفس الوقت الابقاء على اتصالاته مع السلطان . تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ص ٢٦٥ ، ذيل تاريخ الاسلام ، ج ٢ ورقه ٨١ ب .

(٧) الدرة المضيئة ، ص ٩٣ ، ذيل تاريخ الاسلام ، ج ٢ الاوراق ٦٨ ب ، ٨٠ أ — ٨١ أ ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ص ٢٦٧ .

وفي سنة ٧٩٥هـ(١٣٩٣م) لحق بنعير ومنطاش ومن كان يؤيدهما من الهزائم ما ادى الى تغير آل مهنا عليهما(١) . ووقع الخلاف بين نعير وبعض امراء آل مهنا الذين رغبوا في العودة الى طاعة السلطان . وادى ذلك الى توجه عامر بن طاهر بن حيار الى القاهرة لمقابلة السلطان وشرح موقف آل مهنا المخالفين لنعير، كما ارسل ابو بكر وعمر ابناء نعير رسالة الى السلطان عن طريق نائب حلب أيدا فيها مسعى عامر بن طاهر بن حيار(٢) .

ولما عاد عامر من القاهرة "تفاوض" مع جميع آل مهنا في حالتهم وفي الوعود التي وعدها السلطان لهم، فاتفقوا "وعرضوا على يعبر [نعير] أن يجيبهم الى احدى الحسنيين من امساك منطاش او تخليه سبيلهم الى طاعة السلطان ويفارقهم هو الى حيث شاء من البلاد ، فجزع لذلك ، ولم يسعه خلافهم، واذن لهم في القبض على منطاش وتسليمه الى نواب السلطان"(٣) . فأمسكوا منطاش وارسلوه الى نائب حلب الذى قتله وبعث برأسه الى دمشق والقاهرة للطواف به(٤) .

وبالقضاء على منطاش خمدت الفتنة التي استمرت خمس سنوات ، وتثبتت سلطة المماليك الجراكسة في بلاد الشام، وعادت الامرة الى نعير ثم خرجت عنه حتى تولى السلطنة فرج بن برقوق سنة ٨٠١هـ(١٣٩٩م) "فاعيد الى الامرة كعادته"(٥) .

(١) تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ص ٣٣٢-٣٣٣، ذيل تاريخ الاسلام ، ج ٢ الاوراق ٨٩ ب - ٩٠ أ ، الدرة المضيئة ، ص ١٣٥-١٣٧ ، النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ص ٣٩ .

(٢) تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ص ٣٣٦ ، الملحق رقم ٥ .

(٣) العبر، ج ٥ ص ١٠٧٧-١٠٧٨ .

(٤) تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ص ٣٣٨-٣٤١، الدرة المضيئة ، ص ١٣٩، ذيل تاريخ الاسلام ، ج ٢ ورقه ٩١ أ ، الدرر الكامنة ، ج ٤ ص ٣٦٦ ، النجوم الزاهرة ، ص ٤١-٤٢، بدائع الزهور، ج ١ ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٥) ذيل تاريخ الاسلام ، ورقه ١٤٣ ب .

الفصل السادس

أمراء العرب وسلطنة المماليك

— ٣ —

موقف امراء العرب من الصراع بين المماليك والتتار

في سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨م) استولى التتار على بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، واقاموا في العراق ادارة تابعة لهم . وكان يحكم مصر ، في ذات الوقت ، المماليك ، أما بلاد الشام فقد كانت في يد ملوك الأيوبيين . ولم يكن الملوك الأيوبيين في وضع يسمح لهم بالدفاع عن بلاد الشام في حال تقدم التتار اليها ، فأسرع الملك الناصر يوسف الأيوبي صاحب دمشق وحلب الى اعلان خضوعه للتتار . لكن هذا الاستسلام الأيوبي لم يمنع قوات التتار من التوجه نحو بلاد الشام ، والاستيلاء ، سنة ١٢٦٠م ، على حلب ودمشق وبقية بلاد الشام .

وتوجه التتار — بعد استيلائهم على بلاد الشام — الى مصر للقضاء على نفوذ المماليك فيها . لكن قوات المماليك ، التي كان يقودها السلطان المظفر قطز وبيبرس ، تمكنت من طرد التتار عن غزة ، ثم الحقت الهزيمة بهم في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠م) .

واصبحت بلاد الشام ، بعد معركة عين جالوت ، تابعة لسلاطين المماليك ، فتولوا الدفاع عنها ضد هجمات التتار المتكررة عليها .

الصراع بين المماليك والتتار

كانت معركة عين جالوت بداية الصراع الطويل والمرير بين دولة المماليك في مصر والشام وبين دولة التتار في فارس والعراق (١) . وتمثل هذا الصراع بين هتين الجارتين

(١) G. Browne, A Literary History of Persia, vol.3 (Cambridge, England, 1928) , p. 20.

بالغارات التي كانت تشنها كل منهما على الأخرى ، والتي كانت تؤدي احيانا الى وقوع معارك كبيرة بينهما . ففي سنة ٦٧٦هـ (١٢٧٧م) وقعت معركة الابلستين (١) التي انتصرت فيها قوات المماليك على قوات التتار(٢) . وفي سنة ٦٨٠هـ (١٢٨١م) تغلبت جيوش المماليك مرة اخرى على قوات التتار في معركة حمص (قرب سلمية) .(٢)

وبعد موقعة حمص اتصل احمد تَكُودَار، ملك فارس والعراق ، بالسلطان قلاوون سلطان المماليك. ونتج عن المراسلات التي تبادلاها عقد معاهدة صلح بين المماليك والتتار. وتلى عقد هذا الصلح فترة من الهدوء — على الرغم مما تخللها من غارات — استمرت حتى تولى غازان (سنة ١٢٩٥م) الحكم على التتار. فقد قاد هذا الايلخان(٣) جيشا كبيرا توجه به الى بلاد الشام ، فهزم قوات المماليك في معركة مجمع المروج(او الخازندار) سنة ١٣٠٠م ، واستولى على دمشق وجعلها تابعة لمملكة التتار. ثم عاد الى بلاده ، وترك قسما من جيشه في بلاد الشام.

واستعاد المماليك دمشق . وعندما عرف غازان بعودة دمشق الى المماليك اتصل بالملك الناصر محمد بن قلاوون طلبا للهدنة والاتفاق ، لكن المراسلات بينهما لم تؤد الى نتيجة فاستؤنفت الحرب من جديد . وفي معركة مرج الصفّر(٤) سنة ٧٠٢ هـ

---

(١) W. Muir, The Mameluke or Slave Dynasty of Egypt (London, 1896), pp. 28-29.

والابلستين : مدينة مشهورة في الجنوب الشرقي من الاناضول . EI², II, p.693

(٢) النهج السديد ، ص٣٢٧—٣٢٨، زبدة الفكرة ، ج ١٠ الاوراق ١١٤أ — ١١٥ب ، ذيل مرآة الزمان ، ج ٤ ص٩٤. وقد ذكر رشيد الدين الهمداني هذه المعركة بصورة موجزة . جامع التواريخ ، م ٢ ج ٢ (ترجمة محمد صادق نشأت ، القاهرة لا . ت.) ص٨٢ — ٨٤ .

(٣) والايلخان اى التابع للخان الكبير. Bosworth, The Islamic Dynasties, p. 149

(٤) بنواحي دمشق . معجم البلدان ، ج ٢ ص١٠١ .

(١٣٠٣م) ثأر المماليك لهزيمتهم في موقعة الخازندار، وشتتوا جيش التتار(١).

وتولى ابو سعيد سنة ١٣١٧م السلطة في فارس والعراق. وفي زمنه تم الاتفاق مع المماليك، وعقد صلحا بين دولته ودولة المماليك. وكان أهم ما اشتمل عليه هذا الصلح ما تعلق بالطرق والتجارة والحجاج وغارات العرب على بلاد التتار(٢).

وساد مملكة التتار في فارس والعراق، بعد وفاة السلطان ابو سعيد (١٣٣٥م) فترة من الفوضى والفتن الداخلية دامت مدة تقارب نصف قرن، الى أن تولى السلطة تيمورلنك سنة ١٣٨٤م فوحّد مملكة التتار، واعاد النظام اليها، واستأنف السياسة التوسعية التي بدأها أسلافه.

دور العرب في الصراع بين المماليك والتتار

كان للقبائل العربية، بحكم موطنها، دور في النزاع بين المماليك والتتار. فقد كان آل فضل وآل علي وآل مرا (والقبائل التابعة لهم) يسيطرون على منطقة جغرافية هامة بالنسبة للمماليك وللتتار. فنفوذ التتار كان يمتد غربا حتى نهر الفرات الذى كان يشكل الحد الفاصل بين دولتهم ودولة المماليك في القسم الاكبر من حدودهما المشتركة. وامتد نفوذ المماليك الفعلي في بلاد الشام حتى نهر الفرات في الشمال الشرقي الى الرحبة جنوبا، وحتى حدود المعمور من ناحية الشرق(٣). أما البادية الواقعة

---

(١) Browne, A Literary History of Persia, p.42.
وحسن ابراهيم حسن، دراسات في تاريخ المماليك البحرية (القاهرة، ١٩٤٩) ص١٢٣ — ١٢٤.

(٢) السلوك، ج ٢ ص ٢٠٩—٢١٠، ولخصها جمال الدين سرور في دولة بني قلاوون في مصر (القاهرة، ١٩٤٧) ص٢٠٧.

(٣) كان نفوذ المماليك الفعلي في البادية لا يتعدى حدود المعمور من بلاد الشام. ارجع الى الخارطة في دراسات في تاريخ المماليك، ص ١١١.

بين الفرات شرقا وحدود بلاد الشام غربا فقد كانت تحت سيطرة القبائل العربية التي كانت تراسها فروع قبيلة طيء[١] . وكانت هذه القبائل تتحكم بطرق المواصلات التي تمر عبر هذه البادية او على أطرافها . ولذلك كان لا بد لمن كان يسيطر على المناطق الواقعة الى الغرب او الى الشرق من هذه البادية ، من اكتساب ولاء هذه القبائل ، ليتمكن من المحافظة على طرق البريد وقوافل التجارة ومواكب الحجاج ، وحتى تبقى هذه الطرق متصلة الحركة دون عائق أو مانع.

وعرف المماليك أهمية القبائل والمهام التي يمكن ان تقوم بها لهم من المحافظة على الامن والاستقرار في البادية وعلى طرقها، الى المساعدة في الحروب ضد اعدائهم . فأبقى سلاطين المماليك على امارة العرب التي انشأها الأيوبيون، ونظموها وحددوا مهامها تجاه الدولة ، واستمالوا امراء العرب بمختلف وسائل الترغيب من اقطاعات وهدايا وهبات . وبهذا تمكن سلاطين المماليك من الحصول على تأييد القبائل في صراعهم مع التتار، على الاقل في نصف القرن الأول من هذا الصراع .

ويمكننا أن نميز مرحلتين في موقف العرب من آل فضل من الصراع بين المماليك والتتار: الاولى مرحلة المشاركة الايجابية مع المماليك، والثانية مرحلة خروجهم عن طاعة المماليك وتقربهم من التتار ومساعدتهم لهم ضد المماليك.

تعاون آل فضل مع المماليك

بدأت المرحلة الأولى من دور آل فضل في النزاع بين المماليك والتتار بمعركة عين جالوت . ويبدو أن مشاركة آل فضل في هذه المعركة كانت فعالة ، اذ انعم السلطان

---

(١) كانت قبائل عبادة وخفاجة في العراق والى الجنوب الغربي من الفرات لا تخضع لسلطة آل فضل . وكان آل فضل يغيرون على هذه القبائل احيانا . انظر تشريف الايام ، ص ١١١ ، ذيل مرآة الزمان ، ج ٣ ص ١٧٦ ، ج ٤ ص ٣٦ .

المظفر قطز على اميرهم بمدينة سلمية كاقطاع له. واشترك امراء العرب، بعد هذه المعركة، بمعظم ما اتخذه المماليك من اعمال للتصدى للخطر التترى، من غارات وتجاريد واستكشاف وحروب، حتى نهاية القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) . ففي سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦١) اوقع امير العرب زامل بن علي بالتتار على الرستن بين حماه وحمص(١) . وفي السنة التالية سار العرب من آل فضل مع كشافة المماليك الى حدود العراق لكشف أخبار التتار(٢) . وفي سنة ٦٦٢هـ (١٢٦٤م) أمر السلطان الملك الظاهر بيبرس بعدم خروج عربان الشام الى البرية للحاجة اليهم في دفع التتار عن البلاد (٣) . كما كان يستفاد من آل فضل في نواح أخرى. فعندما نزل التتار على بلدة البيرة وحاصروها، أرسل السلطان نجدة الى حاميتها، وطلب من أمير العرب عيسى بن مهنا أن يسير عن طريق البرية الى حرّان للاغارة عليها " فلما بلغ التتار عبور العساكر [لنهر الفرات] وغارة ابن مهنا، رحلوا عن البيرة " ورجعت التجريدة التي ارسلها السلطان الى بلاد الشام(٤) .

واستمر تأييد آل فضل للمماليك . ففي سنة ٦٦٧هـ (١٢٦٩م) طلب السلطان من امير العرب الاستعداد لمرافقة الحملة التي كان يعدها السلطان لارسالها الى العراق(٥).

---

(١) السلوك، ج ١ ص ٤٤١ .

(٢) تاريخ ابن الفرات (م. خورى) ج ٦ ص ١١-١٢، ص ٣١ .

(٣) تاريخ ابن الفرات (م. خورى) ج ٦ ص ٨٧، السلوك، ج ١ ص ٥١١ .

(٤) ذيل مرآة الزمان، ج ٢ ص ٣١٨ .

(٥) السلوك، ج ١ ص ٥٨١ .

كما رافق امير العرب السلطان الظاهر بيبرس في بعض غزواته على جهة الفرات(١) .

وفي سنة ٦٨٠هـ (١٢٨١م) قام العرب من آل فضل وآل مرا وغيرهم بأهم دور لهم في تأييد المماليك . فقد اشتركوا في معركة حمص، وكانوا يشكلون جزءا من ميمنة جيش السلطان . وانتصر المماليك في هذه المعركة على التتار، وشاد المؤرخون بدور العرب في الحرب ، حتى نسب بعضهم سبب النصر لدور العرب فيها(٢) .

ومن معركة حمص وحتى نهاية القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) لا نجد في المصادر المعاصرة ما يشير الى دور العرب واثرهم في النزاع بين المماليك والتتار. وربما كان من أسباب ذلك ما وقع بين امراء العرب وبين السلطان الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩—٦٩٣هـ/ ١٢٩٠—١٢٩٤م) ، فقد قام هذا السلطان بسجن مهنا بن عيسى امير العرب ، وعددا آخر من امراء بيته في قلعة القاهرة (٣) .

وأما دور العرب من آل فضل بن ربيعة في حروب المماليك مع غازان (٦٩٨—٧٠٢هـ/ ١٢٩٩—١٣٠٣م) فيكتنفه الكثير من الغموض . فابن خلدون يذكر انه لم تكن لهم مشاركة في هذه الحروب(٤) ، والمقريزى يخالفه في ذلك فيذكر انهم اشتركوا في معركة

---

(١) ذيل مرآة الزمان ، ج ٢ ص ٤٦٨ . انظر ايضا تاريخ ابن الفرات ، ج ٧ ص ٦—٣١ .

(٢) تاريخ ابن الفرات ، ج ٧ ص ٢١٥—٢١٨، السلوك ، ج ١ ص ٦٨٤—٦٩١ .

(٣) مسالك الابصار ، ج ٣ ص ، العبر ، ج ٥ ص ٩٤٠ .

(٤) العبر ، ج ٥ ص ٩٤١ .

الخازندار(١) سنة ٦٩٩ هـ (١٣٠٠م) التي انتصر فيها التتار على المماليك ومعركة مرج الصفر(٢) سنة ٧٠٢هـ (١٣٠٣م) التي انتصر فيها المماليك على التتار. ولكن يبدو أن رواية ابن كثير أدق من الروايتين السابقتين ، فقد ذكر أنه عندما وصل التتار الى بلاد الشام ، كان مهنا أمير العرب خارجا عن طاعة المماليك. فقام عدد من كبار شخصيات الشام في ذلك الوقت - الشيخ احمد بن تيمية ، والشيخ ابراهيم الفارقي ، والشيخ زين الدين الفارقي - بالاتصال بامير العرب لثني عزمه عن الامتناع عن الحضور لقتال العدو "فاجابهم بالسمع والطاعة"(٣) واشترك وعربه في معركة مرج الصفّر(٤).

خروج امراء العرب عن طاعة سلاطين المماليك وتقربهم من التتار

بدأ آل مهنا من آل فضل بالتقرب من التتار بعد خروج الأمير مهنا بن عيسى واخوانه واولاده من السجن في القاهرة سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٥م). وأخذ بعض ابناء مهنا يلجأون الى بلاد التتار ثم يشنون الغارات على اطراف بلاد الشام ، وعلى طرق المواصلات والقوافل التجارية(٥). وفي سنة ٧١١هـ (١٣١١م) خرج الامير مهنا عن طاعة السلطان

---

(١) السلوك ، ج ١ ص٨٨٦ - ٨٨٧، ولم أجد عند غير المقريزي ما يدل على اشتراك آل فضل في هذه الموقعة ، وما ذكره المقريزي ليس دقيقا. فقد قال أن الأمير عيسى بن مهنا وقف على رأس ميمنة جيش السلطان. وعيسى هذا توفي سنة ٦٨٤هـ (١٢٨٣م) ، وهذه المعركة كانت سنة ٦٩٩ هـ (١٣٠٠م). ويبدو انه وقع خلط عند المقريزي او ناسخه بين موقعة حمص سنة ٦٨٠هـ التي اشترك فيها عيسى وبين هذه المعركة التي لم يشترك فيها ابنه مهنا.

(٢) السلوك ، ج ١ ص٩٣٣.

(٣) البداية والنهاية ، ج ١٤ ص١٦.

(٤) مسالك الابصار ، ج ٢٩ ورقة ٥٦.

(٥) كان يلجأ امراء العرب في بعض الاحيان الى التتار بسبب خلافاتهم الداخلية ، مثل ما حدث لاحمد بن عميره الذي ذهب الى بلاد التتار وحارب امير الموصل وكسره ، وولاه خدابندة سلطان التتار امارة الموصل ، فبقي فيها مدة ثم رجع الى بلاد الشام. الدرر الكامنة ، ج ١ ص٢١٨ ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ١ ص٤١٢ - ٤١٣.

الناصر محمد بن قلاوون بسبب حركة قراسنقر . واستمر خروج امير العرب عن طاعة المماليك مدة ربع قرن .

وفي خلال فترة خروج مهنا عن طاعة سلاطين المماليك هذه المرة ، حاول امراء العرب الاستفادة من المماليك والتتار في وقت واحد . فقد قال ابن فضل العمرى ، المعاصر لمهنا ، : "كان الاخوين (مهنا بن عيسى ، وفضل الذى بقي على الطاعة) متفقين في الباطن مختلفين في الظاهر". (١) ويؤكد ذلك ما ذكره مهنا لابنائه واخوته — عندما الحّوا عليه بالعودة الى طاعة سلطان المماليك بعد الصلح الذى عقد بين المماليك والتتار — اذ قال : "فاكتفوا بما اقول لكم وكلوا رزق هذا الرجل ، فوالله لولا مهنا ما رأيتم شيئا من هذا ، ودعه يطعمك علي فالهناء لكم". (٢) وصارح موسى بن مهنا السلطان الناصر محمد بن قلاوون بمثل ذلك فقال "والله يا مولانا السلطان ، لو اطاعك مهنا ما كنا عندك بهذه المنزلة ، والله ان عصيانه عليك جيد لنا ، والله لو اطغناك ما اطقناك ، فاحمر وجه السلطان خجلا". (٣)

واخذ امراء العرب من آل فضل بن ربيعة الاقطاعات من التتار اضافة الى ما كان لهم من الاقطاعات من المماليك . وعلق ابو الفداء ، المؤرخ المعاصر ، على ذلك بقول له دلالته:

"واستمر مهنا على ذلك يأخذ الاقطاعين بالشام والعراق ويصل اليه

---

(١) مسالك الابصار ، ج ٢٩ ورقة ٥٠ ، ورقة ١٠١ .

(٢) المصدر ذاته ، ورقه ١٠١ .

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ١ ص ٤٦٧ عن عقد الجمان للعيني ، ج ٢٢ ص ٢١٦ .

الرسل من الفريقين وخلعهما وانعامهما وهو مقيم بالبرية ينتقل من شط الفرات من منازله لا يروح الى أحد من الفئتين . وهذا امر لم يعهد مثله ولا جرى نظيره فان كلا من الطائفتين لو اطلعوا على أحد منهم انه يكتب الى الطائفة الأخرى قتلوه لساعته ولا يمهلونه ساعة ".(١)

ولكي يستطيع آل فضل الاحتفاظ باقطاعاتهم التي حصلوا عليها من المماليك والتتار ، كان لا بد لهم من القيام باعمال ترضي الفئتين . ففي سنة ٧١٢ هـ (١٣١٢م) اشترك سليمان بن مهنا في حصار الرحبة الذى قام به خدابندا ملك التتار وقراسنقر(٢) . وقام سليمان ايضا بعد ثلاث سنوات من حصار الرحبة بالاغارة على تدمر ونهبها ، ووصل في غارته الى قرب البيضاء بين القريتين وتدمر(٣) .

أما بالنسبة لامراء آل فضل الذين كانوا لا يزالون في طاعة سلطان المماليك فقد حاولوا الحدّ من تخريب الامراء الخارجين عن الطاعة من ناحية ، والقيام باعمال ترضي المماليك من ناحية أخرى . ومن ابرز الإعمال التي قام بها الامير محمد بن عيسى خدمة لدولة المماليك ، قضاؤه على فتنة الشريف حُميضة امير مكة (٤) . فقد التجأ هذا الشريف ، بعد خروج امرة مكة عنه، الى التتار ، وطلب منهم ارسال جيش معه لغزو مكة وامتلاكها ، وتدمير قبرى ابي بكر وعمر . فاغتمّ أهل السنة لهذا الامر كثيرا(٥) ، لكن محمد بن

---

(١) المختصر ، ج ٤ ص ٧١ .

(٢) الدر الفاخر ، ص ٢٥١-٢٦٤ ، السلوك ، ج ٢ ص ١١٩ .

(٣) السلوك ، ج ٢ ص ١٤٥ ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ١ ص ٤٣٥ .

(٤) الدرر الكامنة ، ج ٢ ص ٧٨-٨١ .

(٥) الدرر الكامنة ، ج ٢ ص ٨٠ ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ١ ص ٤٤١-٤٤٢ عن عقد الجمان ج ٢٢ (دون تحديد للصفحة) .

عيسى جمع جمعا من العربان وقصد جيش التتار الذى قدم مع الشريف حميضة فكسره ونهبه واخذ جميع ما كان معه من الاموال . وكان من جملة ما استولى عليه محمد بن عيسى من التتار "الفوس والمعاول التي هيأوها لنبش الشيخين"(١) . وكافأ السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون امير آل فضل على هذا العمل وثبته في اقطاعه معرة النعمان .

واستمر الامير مهنا يأخذ الاقطاعات من التتار ، لكنه لم يؤيدهم ضد المماليك ، ولم يطلب مساعدتهم للانتقام من المماليك ، على الرغم من انتشار الاخبار في بلاد الشام بانه كان يريد الاستنصار بالتتار على المماليك(٢) . وقد عبر الامير مهنا عن وجهة نظره حول هذه الاخبار في جوابه لملك التتار عندما سأله الملك عن سبب حضوره الى بلاد التتار ، فقال : "نحن ناس عرب وعلينا طاعة مفروضة للملوك ، ورأينا من سلطاننا [سلطان المماليك] امر فخشينا عاقبته فخرجنا عن طاعته فسيّر يقول أخرج من بلادى . خرجت من بلاده الى بلادك ونزحت من طاعته . فان قبلتنا اقمنا وان كنت تكره جوارنا رحلنا عنك فالبر للبدوى متسع".(٣)

وفي سنة ٧٢٠هـ (١٣٢٠م) تم الاتفاق بين المماليك والتتار ، وعقدت اتفاقية لصلح بينهما . وتضمنت هذه الاتفاقية شروطا تتعلق بالقبائل العربية . فقد طلب ابو سعيد ، ايلخان التتار ، من السلطان المملوكي الملك الناصر محمد بن قلاوون الامتناع عن ارسال العرب والتركمان للاغارة على بلاد التتار . ووافق سلطان المماليك ، في رسالته الجوابية ،

---

(١) المصادر ذاتها في الحاشية ص ١٦١، والصفحات ذاتها .

(٢) المختصر ، ج ٣ ص ٩١، مسالك الابصار ، ج ٢ الاوراق ٥١-٥٢ .

(٣) مسالك الابصار ، ج ٢٩ ورقة ٥١ .

على ذلك شرط ان يمتنع ملك التتار عن ارسال الغارات الى بلاد المماليك ، وان لا يسمح لآل مهنا، الخارجين عن طاعة المماليك ، بالدخول الى بلاد التتار، وان يتعاون المماليك والتتار على حرب آل مهنا (١) .

وبدأ آل مهنا، نتيجة لاتفاق المماليك والتتار عليهم ، بالاعتداء على طرق المواصلات في البادية . فاعترض سليمان بن مهنا رسل المماليك العائدين من بلاد التتار واستولى على ما كان معهم من التقادم والهدايا التي أرسلها ايلخان العراق وفارس الى سلطان مصر . وبرّر سليمان عمله هذا بقوله أن " البلاد التي للملك الناصر طردنا منها، وخرجنا عن طاعته ، واعطى أخبازنا لغيرنا من العرب ، وما بقى لنا معاش ومكسب الا قطع الطريق واخافة السبل والذى معكم نأخذه "(٢) . وفي نفس الوقت قرّر مهنا اعتراض ركب كبير للحجاج كان قد سار من العراق بعد عقد الاتفاق مباشرة ، فارسل الى الحجاج مع رسوله طالبا " لنا خفر عليكم خمسة آلاف دينار، وبذلك جرت العادة من العرب" (٣) ، لكن الحجاج رفضوا دفع الخفارة مستندين الى الاتفاق الذى تم بين " ملك مصر وملك بغداد والموصل "، وانه لولا معرفتهم بذلك الاتفاق لما خرجوا من بلادهم . (٤)

---

(١) السلوك ، ج ٢ ص ٢٠٩-١٢٠، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ١ ص ٤٦٩ عن عقد الجمان ، ج ٢٢ ص ٢٢١ .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ١ ص ٤٦٩ عن عقد الجمان (دون تحديد الجزء والصفحة) . وقد اطلق سليمان الرسل بسبب رجاء صديق له كان معهم .

(٣) المصدر ذاته ، ج ١ ص ٤٦٦، عن عقد الجمان ، ج ٢٢ (دون تحديد الصفحة) .

(٤) المصدر ذاته ، ج ١ ص ٤٦٦ .

وعند ما عرف الملك الناصر محمد باعتراض مهنا لركب العراق ، ارسل الى سيف بن فضل طالبا منه التدخل لانه، كما قال السلطان له ، " ما عملت أباك أميرا على العرب الا ان يمنع مهنا واولاده من التعرض لبلادي "(١) . فتوجه سيف - بناء على رغبة الملك الناصر ورغبة والده - الى حيث كان يقيم مهنا، وطلب منه عدم التعرض للركب العراقي ، لكن مهنا امتنع - في البداية - عن قبول وساطته على أساس انه " ما لابيك فانه يأكل خبز مهنا وانت تأكل خبز اولاده ولم لا تحفظون البلاد وتراعون حق السلطان في كل ما يقصده ؟ فأنتم تأكلون الاخباز ومهنا يأكل من كسب سيفه وكيف ارجع عن هذا الركب العراقي وفيه مكسب يقوت لمهنا سنة كاملة ، واذا اخذت بحقي فاني رجل ما أنا تحت طاعة سلطان مصر ولا سلطان العراق وانما آكل من سيفي ".(٢) لكن الامير الحّ عليه حتى قبل بتخلية سبيل ركب الحجاج .(٣)

وفي الفترة التالية لوفاة الامير مهنا (٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م) بدأت مرحلة جديدة من النزاع بين المماليك والتتار، لم يكن دور العرب واضحا الى حد كبير. فالمصادر المعاصرة لهذه الفترة تورد بعض الاخبار المتفرقة التي تدل على تعاون امراء آل مهنا مع سلاطين الدولة الجلائرية في العراق(٤) . وكان يتم مثل هذا التعاون في الاوقات التي كان يخرج

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ١ ص ٤٦٦ .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ١ ص ٤٦٦ عن عقد الجمان للعيني ، ج ٢٢ (دون تحديد الصفحة) .

(٣) المصدر ذاته ، ج ١ ص ٤٦٦ .

(٤) وجلائر قبيلة مغولية كبيرة قدمت خدمات جليلة للايلخانيين .

Al Feel, The Historical Geography of Iraq, pp. 39-40.

فيها بعض امراء العرب عن طاعة السلطان المملوكي . ففي سنة ٧٣٨هـ (١٣٣٨م) توجه حيار بن مهنا وجماعته من العرب الى العراق والتحقوا بالشيخ حسن الكبير سلطان العراق (١) . وبعد ذلك بمدة ثار فياض بن مهنا وقرر الاتصال بالتتار ليحثهم على أخذ بلاد الشام، الا ان صاحب ماردين منعه من الاتصال بالتتار وشفع به لدى السلطان الذى أعاد الى فياض اقطاعه. وساعد حيار بن مهنا صاحب بغداد في حرب جماعة من العرب في برية العراق (٢) .

ووقع في النصف الثاني من القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) حوادث تدل على تأييد امراء آل مهنا للتتار (٣) . وكانت أهم حادثة من هذه الحوادث اتصال تيمورلنك ملك التتار بالامير نعير بن حيار، أمير العرب الخارج عن طاعة سلطان المماليك. فارسل تيمورلنك الى نعير خلعة حتى يستميله الى جانبه. وقبل امير العرب الخلعة ولبسها (٤) لكنه لم يقدم للتتار خدمات تذكر (٥) .

وعاد الامير نعير الى طاعة سلطان المماليك ، وارجع السلطان اليه اقطاعه (٦) .

---

(١) السلوك ، ج ٢ ص ٤٤٥ والشيخ حسن الكبير هو صاحب العراق بين ١٣٣٧م و ١٣٥٦م .

(٢) السلوك ، ج ٢ ص ٨١٥ .

(٣) انظر البداية والنهاية ، ج ١٤ ص ٢٦٦–٢٦٧، ص ٣١٣ ، ذيل تاريخ الاسلام ، ج ١ الاوراق ١٣٢ ب ، ١٥١ أ، ١٥٧ ب .

(٤) ذيل تاريخ الاسلام ، ج ٢ ورقه ٩٣ ب .

(٥) وسبب عدم تأييد نعير لتيمورلنك يرجع الى التجاء أحمد بن اويس سلطان العراق — الذى هرب من العراق أمام تيمورلنك — الى نعير. ذيل تاريخ الاسلام ، ج ٢ ورقه ٩٢ ب .

(٦) السلوك ، ج ٢ ص ٨١٥ .

ووقف امير العرب الى جانب قوات المماليك عندما استعدت هذه القوات لمجابهة جيوش تيمورلنك التي توجهت الى بلاد الشام سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م (١) .

ونرى مما تقدم، انه كان للأمراء العرب من آل فضل (خاصة آل مهنا) دور في الصراع بين المماليك والتتار. فقد ايدوا في البداية المماليك على التتار، لكنهم كانوا على استعداد للجوء الى التتار ومساعدتهم في الغارات على بلاد الشام في الاوقات التي كانت تخرج فيها الامرة والاقطاعات عن آل مهنا الى اقربائهم من آل فضل بن عيسى وآل علي ابن حديثة .

وعرف امراء العرب أهميتهم لكل من المماليك والتتار، فحاولوا الاستفادة من الجانبين المتنازعين . واخذوا الاقطاعات من المماليك والتتار، والتي كانت تشمل احيانا مناطق كثيرة من الشام والعراق . واما اذا فشل امراء العرب في الاستفادة من المماليك والتتار - نتيجة لاتفاق الجانبين - فقد كانوا يلجأون الى البادية، حصنهم الامين، ويبدأون بالاعتداء على طرق المواصلات ويستولون على ما كانوا يجدونه مع القوافل التجارية ومواكب الحجاج من اموال ومتاع .

---

(١) ذيل تاريخ الاسلام، ج ٢ ورقه ١٧١م، بدائع الزهور، ج ١ ص٣٢٦ .

الفصل السابع

دور الامارة الطائية في بلاد الشام

قال ابن خلدون عن العرب الذين قاموا بالفتوحات الذين نصروا "الايمان والملة ، ووطدوا أكناف الخلافة":

" . . . هؤلاء كلهم أنفقتهم الدولة العربية الاسلامية ، فنبا منهم الثغور القصية ، وأكلتهم الأقطار المتباعدة ، واستلحمتهم الوقائع المذكورة ، فلم يبق منهم حي يطرق ولا حلة تنجع ولا عشير يعرف ، ولا قليل يذكر . . . متفرقين في الامصار ألوى الخمول بجملتهم ، فتقطعوا في البلاد ، ودخلوا بين الناس فامتهنوا واستهينوا واصبحوا خولا للامراء ، وبهما للذائذ وعالة على الحرف . وقام بالاسلام والملة غيرهم ، وصار الملك والأمر في أيدي سواهم . . . فغلب أعاجم المشرق من الديلم والسلجوقية والأكراد والغزّ والترك على ملكه ودولته ، فلم يزل مناقلة فيهم الى هذا العهد".

العبر ، ج ٦ (ط. بيروت) ص ٦

ثم قال :

" . . . واندرج العرب أهل الحماية في القهر واختلطوا بالهمج ولم يراجعوا أحوال البداوة لبعدها ، ولا تذكروا عهد الانساب لدروسها فدثروا وتلاشوا شأن من قبلهم ومن بعدهم ، سنة الله قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

"وانتبذ بقية هذه الشعوب من هذه الطبقة بالقفار واقاموا أحياء بادين لم يفارقوا الحلل ولا تركوا البداوة والخشونة فلم يتورطوا في مهلكة الترف ولا غرقوا في بحر النعيم ، ولا فقدوا في غيابات الامصار والحضارة".

العبر ، ج ٦ ص ٦—٧

" . . . واعتز بعض اهل هذا الجيل [الفقرة السابقة] غربا وشرقا فاستعملتهم الدول وولوهم الامارة على أحيائهم واقطعوهم في الضاحية والامصـــــار والتلول (١)

(١) الخط تحت "فاستعملتهم . . . . " من وضعي .

واصبحوا جيلا في العالم ناشئا، كثروا سائر أهله من العجم. ولهم في تلك الامارة دول فاستحقوا ان تذكر أخبارهم وتلحق بالأجيال من العرب سلفهم . . . "

العبر، ج ٦ ص ص ٧—٨

ويطلق ابن خلدون عليهم اسم "العرب المستعجمة".

ومن هؤلاء العرب، في ارض الشام :

"بنو حارثة بن سنبس وآل مراء من ربيعة اخوة آل فضل الملوك على العرب في برية الشام والعراق ونجد . . . فلنذكر الآن خبر أولاد فضل امراء الشام والعراق من طيء فنبين [حال] (١) أعراب الشام جميعا".

العبر، ج ٦ ص ١١

---

(١) او "فبهم يتبين حال اعراب" . العبر، ج ٦ ص ١١ حاشية (٢) عن نسخة أخرى .

ظهرت الامارات القبلية في العراق والجزيرة الفراتية وبلاد الشام في فترات تسلط غير العرب من اتراك بويهيين وسلاجقة ومماليك على هذه المناطق . فقيام الامارة الحمدانية في الموصل والجزيرة — ثم امتداد نفوذها الى حلب وبلاد الشام جنوبا حتى دمشق والبادية — كان مرافقا لفترة التسلط التركي ثم البويهي على الخلافة العباسية . وكانت بدايات الامارة الطائية في جنوبي فلسطين وشرقي الاردن مرافقة لقيام الدولة الفاطمية في مصر وامتداد نفوذها الى بلاد الشام شمالا حتى دمشق .

ويلاحظ ، من ناحية أخرى ، انه لم تقم امارات عربية قبلية ، كتلك التي بدأت تظهر من النصف الثاني للقرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، قبل سيطرة الجماعات غير العربية على امور العراق والجزيرة وبلاد الشام . فاذا استثنينا الامارة الحمدانية ، فان ظهور امارات أسد وعقيل وخفاجة وكلاب وكلب وطيء (وحتى بنى مروان الاكراد) كان من بداية النصف الثاني للقرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) .

وكانت الفترة التي بدأت تظهر فيها الامارات القبلية هي فترة الانقسام الداخلي في العالم الاسلامي (والخلافة العباسية بشكل خاص) ، والنزاع بين الخلفاء العباسيين والمتسلطين عليهم من بويهيين وسلاجقة ، والصراع بين العباسيين والخلافة الفاطمية التي كانت تطمع بمدّ نفوذها على المنطقة (العراق والشام والجزيرة الفراتية) باجمعها .

وقد ضعفت معظم الامارات القبلية وكادت تتلاشى في بداية استيلاء السلاجقة على الخلافة العباسية والجزيرة وبلاد الشام . وربما كان سبب هذا الضعف والانحلال ان السلاجقة كانوا قوة موحدة تمكنت من فرض سيطرتها على الجميع . ولكن انقسام قوة السلاجقة على نفسها بحيث اصبحت تعيش في صراع داخلي دائم أدى الى عودة القبائل الى

المسرح السياسي في المنطقة ·

ومما زاد من الفوضى السياسية في المنطقة ، وساعد في استرداد القبائل لقوتها ، مجيء الصليبيين وتكوينهم عددا من الامارات والممالك في الجزيرة الفراتية وعلى طول ساحل بلاد الشام · وقد صار الصليبيون ، منذ بداية القرن الثاني عشر الميلادى ، قوة لها اثرها في حياة هذه المنطقة ·

ومن القبائل التي استعادت نفوذها من بداية القرن السادس الهجرى (الثاني عشر الميلادى) قبيلة طيء (آل مرا وآل فضل ابني ربيعة) التي أخذت منذ ذلك الوقت تلعب دورا متزايدا باستمرار في حياة بلاد الشام السياسية ، حتى أصبحت لها — في نهاية دولة الايوبيين وفي دولة المماليك — الامرة على جميع القبائل الاخرى ·

ان البحث عن دور القبائل العربية في الحياة السياسية لبلاد الشام وباديتها ، وعلاقات هذه القبائل بالدول التي قامت في هذه المنطقة ، يقود بالضرورة الى البحث عن الاسس التي كانت تقوم عليها هذه العلاقات والتي قررت الدور الذى كان للقبائل في البلاد التي خضعت لنفوذ هذه الدول · وهذه الاسس كانت تستند الى نقطة يمكن اعتبارها الاساس الذى تركزت حوله العلاقات بين القبائل وبين الدول ، هذه النقطة هي " المصالح المشتركة " التي جمعت بين امارات القبائل وبين الدول المتتابعة التي قامت في المنطقة الممتدة من مصر الى العراق ·

فماذا كانت مصالح القبائل ؟ وماذا كانت مصالح الدول ؟ من العلاقات التي كانت بين الطرفين ؟

كانت تتلخص مصالح القبائل ، من مشاركتها في الحياة السياسية للمنطقة ،

بالمكاسب المادية التي كانت تحصل عليها سواء أكانت هذه المكاسب نقدية مما كان يعطي لها من الجهات التي شاركتها، او عينية من المغانم التي كانت تحصل عليها. وقد كانت هذه المكاسب موردا من موارد رزقها يضاف الى مواردها التقليدية التي لم تكن ثابتة — تنقص وتزيد حسب الظروف نتيجة للغزو — نظرا لطبيعة الحياة البدوية. وتتمثل هذه الموارد التقليدية بتربية الابل والماشية، وبالقليل من الزراعة (أن وجدت في مواطن الاستقرار)، وبالمكاسب التي كانت تحصل عليها القبائل عندما كانت تشارك في الحروب، وبالتجارة في مواسم الحج وغيرها من المواسم. فهل كانت هذه الموارد كافية لحياة القبائل ؟ يبدو أن القبائل التي كانت تسكن البادية قد اكتفت خلال القسم الاكبر من القرون الثلاثة الاولى من الاسلام، بهذه الموارد المحدودة. وسواء أكان هذا الاكتفاء بسبب قناعتها بتحصيل ما هو ضروري لبقائها او بسبب قوة الدولة خلال هذه الفترة — العامل الذي كان يمنعها من الاعتداء على المصالح العامة وحقوق الآخرين — فاننا لا نلاحظ أن القبائل كانت تعتدي على مصالح الدولة خاصة طرق المواصلات وما كان يمر بها من قوافل حجّاج وتجار، او على الارياف والحواضر ومن كان يسكنها. وقد بدأت هذه الاعتداءات وفرض الخفارات والاتاوات على الحجاج والتجار في نهاية النصف الثاني من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، مع بداية تسلط الفئات غير العربية من تركية (وبويهية) وسيطرتها على الدولة والجيش. وهو ذات الوقت الذي بدأت تظهر فيه الامارات البدوية التي كانت على استعداد لتقديم خدماتها — اذا كان في مثل هذا العمل خدمة لمصالحها — لهذا الجانب أو ذاك من الفئات المسيطرة، التي كانت بدورها على استعداد لقبول خدمات القبائل والاستعانة بها في تحقيق مصالحها المتعددة.

ويمكن أن نلخص مصالح الدول التي كانت على علاقة مع القبائل بما يلي :

اولا ، المحافظة على الامن والاستقرار في المناطق التي كانت تتبع الدولة او الدول ، ومنع القبائل من الاعتداء على الأرياف والحواضر .

ثانيا ، المحافظة على طرق المواصلات — البريد والتجارة والحاج — الهامة لحياتها : البريد للاتصال بين بلادها ، والتجارة لاقتصادها ، والحاج لهيبتها وسمعتها .

ثالثا ، المساعدة في الحروب . فقد كانت القبائل قوة عسكرية لها اساليبها الخاصة في الحروب والتي كان لها أثرها ، في حالات كثيرة ، في هزيمة الاعداء . يضاف الى ذلك التجسس ، ومعرفة الطرقات في البادية معرفة جيدة الأمر الذى لم يكن ممكنا بالنسبة للقوات الغريبة عن المنطقة والقادمة من الشرق (الدبالمة والأتراك) ومن الغرب (الفاطميـة) .

رابعا ، الاستعانة بالقبائل في القضاء على الفتن والثورات الداخلية .

خامسا ، تزويد الجيوش (خاصة زمن المماليك) بما كانت تحتاج اليه من الخيل والابل .

وكانت المصلحة المشتركة هي الرابطة التي جمعت بين الامارات القبلية والدول في بلاد الشام وباديتها . ومن البداية وجدت هذه الدول صعوبة في التعامل مع القبائل . فقد كانت هذه القبائل تعيش متنقلة بين مصايفها ومشاتيها ، لها مواطن لكن ليس لها وطن او ارض تعيش من نتاجها ، فالأرض والبلاد ارض وبلاد هذا السلطان او ذاك كائنا من كان .

وعدم ارتباط القبائل بالارض معناه عدم ارتباطها بدولة ، فالدولة في نظرها دولة السلطان المسيطر وليس دولتها . وولاء القبائل لاى دولة كان مرتبطا بمصلحتها ، فاذا

انتهت المصلحة انتهى الولاء . وعند ذلك تبدأ القبائل في البحث عن مصدر جديد لمصلحتها وولائها (١) ، فان لم تجد هذا المصدر الجديد فانها كانت تلجأ الى البرية ، فالبرية للبدو هي الموطن وفيها متسع لهم دائما .

وبالاضافة الى فقدان الارتباط بالارض والولاء للدولة ، لم يكن للقبائل ولاء حقيقي لعقيدة دينية يدفعها الى الوقوف الى جانب المسلمين ضد اعدائهم . والامثلة التي توضح ذلك كثيرة . فتعاون القبائل العربية مع الروم والصليبيين والتتار، ونهبها لجيوش المسلمين وقت هزيمتها في الحروب ، تتردد كثيرا في الاخبار، ومن الأسباب التي أثارت نقمة المؤرخين المعاصرين — ومعظمهم من أهل المراكز الحضرية ومن المتدينين — عليها .

فكيف يمكن ، والحالة هذه ، التوفيق بصورة دائمة او شبه دائمة بين مصالح القبائل ومصالح الدول التي قامت في هذه المنطقة ؟ في رأيي أن انشاء امارة العرب واعطائها لأقوى القبائل واكثرها نفوذا — آل فضل من طيء — مع قلة عددها (٢) ، هو الحل الذي توصّل اليه الايوبيون ، والذي نظمه وثبته المماليك . فقد تمكن المماليك عن طريق امارة العرب من تحديد دور القبائل بالشكل الذي يخدم الدولة على أفضل وجه، ومن

---

(١) من الامثلة التي توضح ذلك ، وان كان يرتبط بامارة حلب المرداسية ، ما قاله محمود بن صالح ابن مرداس اميرها عند بدأ زحف السلاجقة الى الشام :
" قد ذهبت دولة المصريين [الفاطميين] ، وهذه دولة جديدة ومملكة سديدة ونحن تحت الخوف منهم، وهم يستحلون دماءكم لاجل مذهبكم [الشيعة] ، والرأى ان نقيم الخطبة خوف أن يجيئنا وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل ... . فأجاب مشايخ البلد الى ذلك فلبس المؤذنون والخطباء السواد [شعار العباسيين] " .
زبدة الحلب ، ج ٢ ص ١٧—١٨ .

(٢) مسالك الابصار ، ج ٣ ص ٤٧ .

ارضاء امراء القبائل باعطائهم الامتيازات من اقطاعات وهبات ، وهؤلاء الامراء هم الذين قال عنهم ابن خلدون : " فاستعملتهم الدول وولوهم الامارة على احيائهم واقطعوهم في النواحي والأمصار والتلول واصبحوا جيلا في العالم ناشئا ".(١)

وكان انشاء امارة العرب ، وتعيين الامراء على القبائل ، وربطهم بجهاز الدولة ، الحل المناسب — وان لم يكن الحل المثالي — الذى أدى الى نتائج ايجابية تظهر واضحة من دور القبائل في بلاد الشام في فترة المماليك البحرية على الرغم مما كانت تقوم به هذه القبائل أحيانا من أعمال كانت تؤثر على هذه الايجابية وتحولها الى سلبية تتمثل بالتخريب والنهب والسلب والاعتداء على طرق المواصلات .

ولتوضيح ما تقدم سنأخذ تاريخ فروع قبيلة طيء في بلاد الشام كمثال على موافقة الاحداث في تاريخ القبائل على النقاط الرئيسية التي ذكرت في ما سبق من هذا الفصل . وبذلك نستطيع ، كما قال ابن خلدون ، ان نبين " [حال] أعراب الشام جميعا ".(٢)

لقد ميزنا في تاريخ فروع طيء ، كما عرض في هذه الدراسة ، بين مرحلتين : مرحلة ما قبل الامارة الرسمية التي امتدت فترة قرنين ونصف قرن ، ومرحلة الامارة الرسمية التي امتدت مدة قرنين . ومع أن هدفنا هو دراسة دور وأثر آل فضل وغيرهم من بني ربيعة في المرحلة الثانية ، فان تبيّن المعالم الرئيسية للمرحلة الاولى يساعد في معرفة ما طرأ من تغير على الدور والأثر في المرحلة الثانية نتيجة لقيام الامارة الرسمية .

---

(١) العبر ، ج ٦ ص ٧ .

(٢) العبر ، ج ٦ ص ١١ .

المرحلة الاولى : الامارة غير الرسمية

قدم آل الجراح من طيء الى بلاد الشام - على الأرجح - في بداية النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، واستقروا في المناطق الجنوبية من فلسطين وشرقي الأردن ، واقاموا امارة قبلية في هذه المناطق ، لكنهم لم يفقدوا ارتباطهم بالبادية والجبلين - أجا وسلمى - موطن قبيلة طيء الاصلي ، وملجأ آل الجراح الأمين في وقت الشدة .

ولم يكن يهم آل الجراح ومن كان معهم من طيء أمر الارض التي تغلبوا عليها ولا أمر الدولة الفاطمية التي كانوا تابعين لها . وكل ما كان يهمهم من السيطرة على الأرض والارتباط بالدولة هو ما كانوا يستفيدونه من الضرائب التي كانوا يفرضونها على أهل فلسطين والتي كانت تؤدى احيانا الى هجرة السكان من البلاد والى خراب المدن العامرة ، وأما ما كانوا يستفيدونه من الدولة فقد تمثل بالاقطاعات التي كانوا يحصلون عليها من خلفاء الفاطميين .

وكان أهم مورد لآل الجراح هو تأجير خدماتهم في الحروب لمن كان يدفع أعلى ثمن ، للفاطميين ومن حكم بعدهم بلاد الشام او لأعدائهم . وكان في تلك الخدمات مكسب لآل الجراح من ناحيتين : الاولى ما كان يدفع نقدا للأمير وقبيلته، والثانية ما كان يعطي لهم عينا من الاقطاعات والهدايا ، وما يضاف الى ذلك مما كان يؤخذ من المغانم من رجال ومتاع في الحرب . والأمثلة على المساعدات التي قدمها آل الجراح مقابل المال كثيرة منها : تخلي آل الجراح عن القرامطة مقابل المال الذى دفعه الفاطميون لهم ، وتأييدهم أفتكين التركي في بداية حركته ثم التخلي عنه واسره وارساله الى الخليفة الفاطمي

مقابل مبلغ من المال ، وتخليهم عن الفاطميين والانضمام الى اتسز بن أوق الخوارزمي القائد السلجوقي — وذلك في بداية سيطرته على الشام — ثم تركه والرجوع الى تأييد الفاطميين مقابل المال ، مما أدى الى هزيمة اتسز أمام الفاطميين ، وامساكهم أحد الاشراف "ربيعة" من الافضل بن بدر الجمالي حتى قال الناس في دمشق "أما هذه عادتهم ؟".(١)

هذا زمن الفاطميين . فماذا كان دور آل ربيعة من طيء زمن آل طغتكين والزنكيين والايوبيين ؟ ضعف دور قبيلة طيء ، نتيجة لاستيلاء السلاجقة والصليبيين على بلاد الشام ، لفترة قصيرة ، أخذوا بعدها يشاركون — منذ بداية القرن السادس الهجرى (الثاني عشر الميلادى) — في الاحداث التي كانت بين أصحاب دمشق من آل طغتكين وآل زنكي والايوبيين وبين الصليبيين . وفي هذه الفترة كانت هنالك مصلحة مشتركة بين بنى ربيعة من طيء وحكام دمشق . فقد وقف مرا بن ربيعة الى جانب حكام دمشق في حروبهم مع الصليبيين ، بينما كان فضل ابن ربيعة تارة الى جانب الاتراك وتارة الى جانب الصليبيين . وقد أغضب فضل بتذبذبه صاحب دمشق فطرده من الشام ، فذهب الى العراق ، ثم رجع من هناك ليستقر هو وعربه قريبا من حمص وحماه .

وقد استفاد الاتراك من العرب في هذه الفترة في عدة مجالات منها : التجسس على الصليبيين وتزويد الاتراك باخبارهم ، والاشتراك في الحروب خاصة الكمائن التي برعوا فيها ، وعدم التعرض لطرق المواصلات .

وكان استمرار التوافق في المصالح بين العرب من ربيعة طيء وبين أصحاب مصر ودمشق — او اى منهما — خلال هذه الفترة مرتبطا بالامتيازات التي كان يحصل عليها

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٤ . والخط تحت "عادتهم" من وضعي .

العرب ، خاصة الاقطاعات . أما اذا انقطعت هذه الامتيازات ، فان ذلك كان يعني خروج العرب عن الطاعة واثارتهم الفتن ، وربما أدى الى تعاونهم مع اعداء المسلمين اذا كان هؤلاء الاعداء على استعداد لدفع المال مقابل الخدمات التي كان العرب على استعداد لتقديمها دون أن يكون هنالك وازع من ولاء لارض أو دولة أو دين .

ومن الامثلة التي توضح عدم ارتباط آل الجراح وآل ربيعة من طيء ، في هذه الفترة ، بأي من انواع الولاء المذكورة ما رأيناه من التجاء آل الجراح زمن الفاطميين اكثر من مرة الى ملك الروم طالبين مساعدته وحمايته وواضعين انفسهم تحت تصرفه . ومثل ذلك ما كان من علاقتهم مع الصليبيين الأمر الذي ادى الى طرد فضل بن ربيعة وعربه من الشام ، وما اتخذه صلاح الدين الأيوبي الاول من اجراءات ضد عرب الكرك بسبب مساعدتهم للصليبيين .

الفترة الثانية : الامارة الرسميـة

في مطلع القرن السابع الهجري انشئت امارة العرب الرسمية واعطيت لآل فضل ابن ربيعة من طيء الذين كانوا ينزلون على اطراف البادية قرب حمص وحماه وحلب . وقد ساعدت ظروف القبائل الأخرى هؤلاء العرب في الوصول الى ذلك المركز . فبنو كلاب — أصحاب امرة العرب غير الرسمية حتى ذلك الوقت — كانوا ضعفاء متوزعي الولاء بين عدة أمراء ولم يظهر بينهم شخصية توحدهم — وكذلك الأمر بالنسبة لآل بشار في منطقة حلب[١] — حتى فقدوا زعامة العرب التي كانت لهم واصبحوا من أحلاف آل فضل ، وآل مرا بن ربيعة (من طيء) ، كانوا ايضا ضعفاء بتفرقهم ففقدوا ما كان لهم من سيطرة على جميع فروع طيء الشام واكتفوا بما اعطوا زمن المماليك من امرة على العرب في " البلاد القبلية " مع

---

(١) مسالك الابصار ، ج ٣ ص ٥١ .

بقائهم رسميا تحت طاعة امراء كل "عرب الطاعة" — آل فضل بن ربيعة . أما آل علي بن حديثة من طيء فقد اكتفوا باقطاعاتهم ونفوذهم المحدود ، كما كانوا على استعداد لتولي امرة العرب عامة اذا منحهم أياها سلطان المماليك ، الامر الذى كان يحدث أحيانا بسبب خروج آل فضل عن الطاعة . وأما بقية قبائل بلاد الشام فقد كانت ترتبط بالسلاطين مباشرة كالقبائل التي كانت مسؤولة عن طرق البريد بين مصر والشام ، وبني عقبة (١) وبني مهدى ، والتي لم يكن لها أهمية بالمقارنة مع آل فضل .

وكانت امارة العرب ، في بداية قيامها ، محدودة التنظيم ، وكل ما نعرفه عنها خلال نصف القرن الأول من قيامها هو اسماء الامراء الذين تولوها وبعض الخدمات التي قدموها . وقد تبع عدم وضوح التنظيم لدور القبائل في هذه الفترة ، تنظيم دقيق — استمر بعد ذلك عدة قرون — قام به الملك الظاهر بيبرس واضع أسس دولة المماليك البحرية . فقد قام هذا السلطان بتحديد دور وعلاقات القبائل مع الدولة على الأسس التي تضمن تحقيق أكبر قدر ممكن من مصالح كل منهما .

واعتمدت هذه الأسس على التوازن بين مصالح القبائل ومصالح الدولة . وكان كل اخلال بهذا التوازن ، من أى جانب منهما ، يؤدى غالبا الى عدم تحقيق امارة العرب للأهداف التي قامت من أجلها . وكان يحدث هذا الاخلال بالتوازن في الحالات التي كان يُخرَج الامراء من آل مهنا من آل فضل عن الامرة ، والحالات التي كان يَخرُج فيها هؤلاء الامراء عن الطاعة بسبب من السلاطين وعلاقتهم مع الامراء او بسبب الظروف السياسية التي كانت تدفع الامراء على الانغماس في والمشاركة بالمؤامرات والفتن والثورات الداخلية . وفي

---

(١) ذكر ابن فضل الله العمرى ان السلطان الحق بنى عقبة بآل فضل وآل مرا . مسالك الابصار ، ج ٣ ص ٢٥ .

هذه الحالات فقط ، ولأن من اعطيت لهم الامرة مكان آل مهنا كانوا عاجزين عن السيطرة على الامراء الخارجين وعلى اوضاع القبائل ، كانت تتعطل بعض المهام التي كان يفترض في امارة العرب القيام بها ، ويختل التوازن في المصالح بين دولة المماليك وامراء العرب .

ويؤدى بنا ما تقدم من بحث الى السؤال التالي عن دور الامارة الرسمية وهو : الى اى حد نجحت امارة العرب او فشلت في تحقيق الاهداف التي انشئت من أجلها ؟ وهذا السؤال يدفعنا الى البحث عما حققه كل من امراء العرب وسلطنة المماليك من مصالح من ارتباطهما عن طريق امارة العرب .

فمن ناحية امراء العرب حلّت الاقطاعات ، التي منحها المماليك لمعظم امراء العرب ، المشكلة المادية بأن أصبح لهم ولقبائلهم موارد رزق ثابتة . واذا أضفنا الى ذلك موارد القبائل التقليدية ، والأموال التي كان يحصل عليها الامراء من بيع الخيول والجمال من السلاطين بمبالغ كبيرة ، والهدايا الكثيرة التي كان يرسلها السلاطين الى امراء العرب ، لاصبح من الممكن القول بأن القبائل — وآل فضل بشكل خاص — حصلت على ما هو اكثر من الضرورى لمعيشتها بكثير ، بل والترف الذى تذمر منه بعض الامراء . فقد عاتب أحد امراء العرب السلطان الناصر محمد بن قلاوون لانه أفسد بهداياه نساء البدو حتى قال للسلطان " . . . ومتى سمعت عن بدوية أنها تلبس غير الثوب من القطن والبرقع المصبوغ وفي يدها سوار من حديد ؟ . . . فوالله ! لقد أفسدت العرب وحال نسائهم واطمعتهم في شيء لم يكونوا يطمعون فيه قبلك ".(١)

وحصلت دولة المماليك ، نتيجة لتنظيمها لدور القبائل على الشيء الكثير : الامن

---

(١) السلوك ، ج ٢ ص ٥٢٩ .

والاستقرار وعدم تعدى العرب على الأرياف والحواضر في بلاد الشام ، والمحافظة على طرق المواصلات والاتصال السريع بين ممالك الدولة ، والاستمرار لحركة القوافل التجارية ، والمساعدة من العرب في القضاء على فتن امراء المماليك — الا اذا كانت مؤيدة من القبائل — وعلى اخماد فتن القبائل ، والمشاركة من القبائل — خاصة آل فضل — في الحروب والغزوات والمهمات العسكرية الاخرى . ووصل تنظيم دولة المماليك لدور العرب في فترات " توازن المصالح " الى حد ان كانت تطلب الدولة منهم عدم الخروج الى البرية (مشاتيهم) في الاوقات التي كانت تحتاج فيها الى خدماتهم ، وعدم العودة الى مصايفهم كالعادة ، الا بعد جمع الغلات .

ولكن هذا التوازن بين مصالح الدولة المملوكية ومصالح القبائل لم يكن حالة دائمة . وان نظرة الى تاريخ امارة العرب الرسمية خلال فترة المماليك البحرية توضح ذلك . فقد كانت ظروف سلاطين المماليك وامراء العرب والعلاقة بينهما من ناحية ، وظروف بلاد الشام السياسية الداخلية والخارجية من ناحية أخرى ، تساعد في الاخلال بهذا التوازن . وكان ينتج عن ذلك ضرر بمصالح الدولة المملوكية بالدرجة الأولى ، أما امراء العرب وقبائلهم فقد كانت تتكرر الحالة التي عرفناها في السابق — زمن الفاطميين ومن جاء بعدهم — والمرتبطة بمبدأ عدم الولاء لارض أو دولة أو دين ، فكانوا يخرجون عن الطاعة ويلجأون الى التتار أو البرية ثم يبدأون بالتعرض للأرياف والحواضر والحجاج والتجار .

وعلى الرغم من كل ما كان يقوم به العرب من آل فضل من "فساد" — في فترات خروجهم عن الطاعة — بعد قيام الامارة الرسمية ، فانه يمكن القول أنهم كانوا يقومون بذلك خدمة لمصالحهم اما للاستفادة من اكثر من جانب في نفس الوقت أو لاجبار سلاطين المماليك على اعادتهم لمناصبهم واقطاعاتهم .

الملاحق والخرائط

ملحـق رقـــم ١

١ — آل الجرّاح امراء طيء زمن الفاطميين

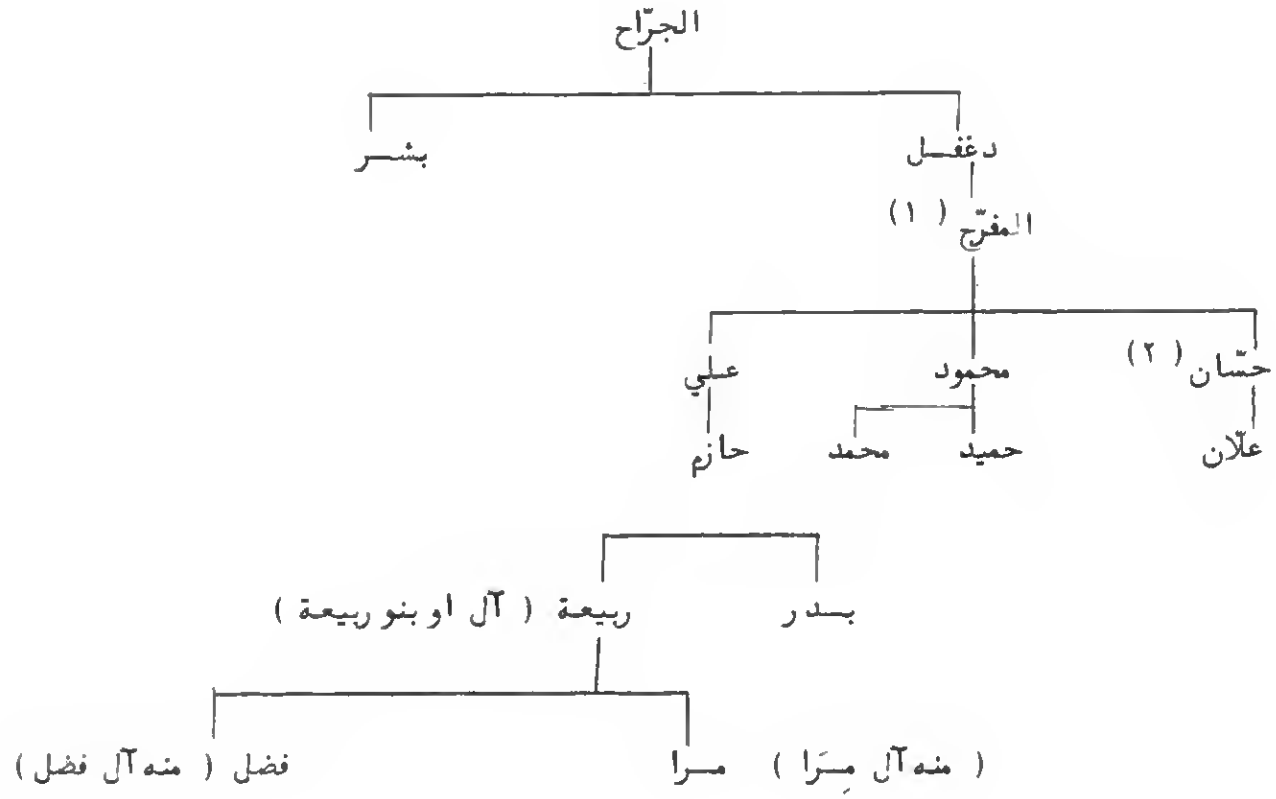

(١) مات سنة ٤٠٤ هـ/ ١٠١٣ـ١٠١٤م

(٢) مات بعد سنة ٤٣٣هـ/ ١٠٤٢ م .

بنو ربيعة من آل الجرّاح امراء طيء زمن السلاجقة والزنكيين والأيوبيين

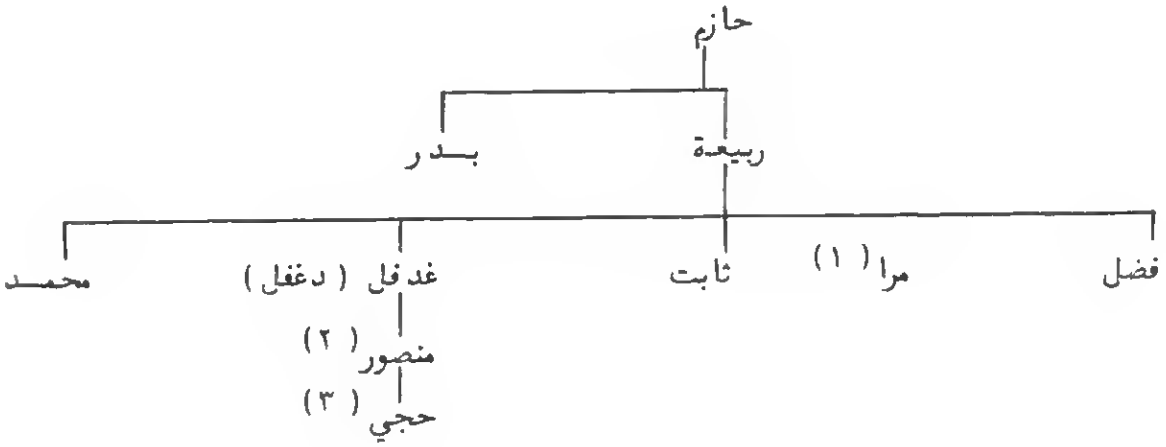

(١) قتل سنة ٥٢٨ هـ/ ١١٣٤م

(٢) صاحب اسامه بن منقذ، وقد ذكره في كتاب الاعتبار، ص٢٧-٢٨

(٣) قتل سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م، في معركة مرجعيون بين قوات صلاح الدين والصليبيين .

آل مرا (١) بن ربيعة امراء العرب في البلاد القبلية

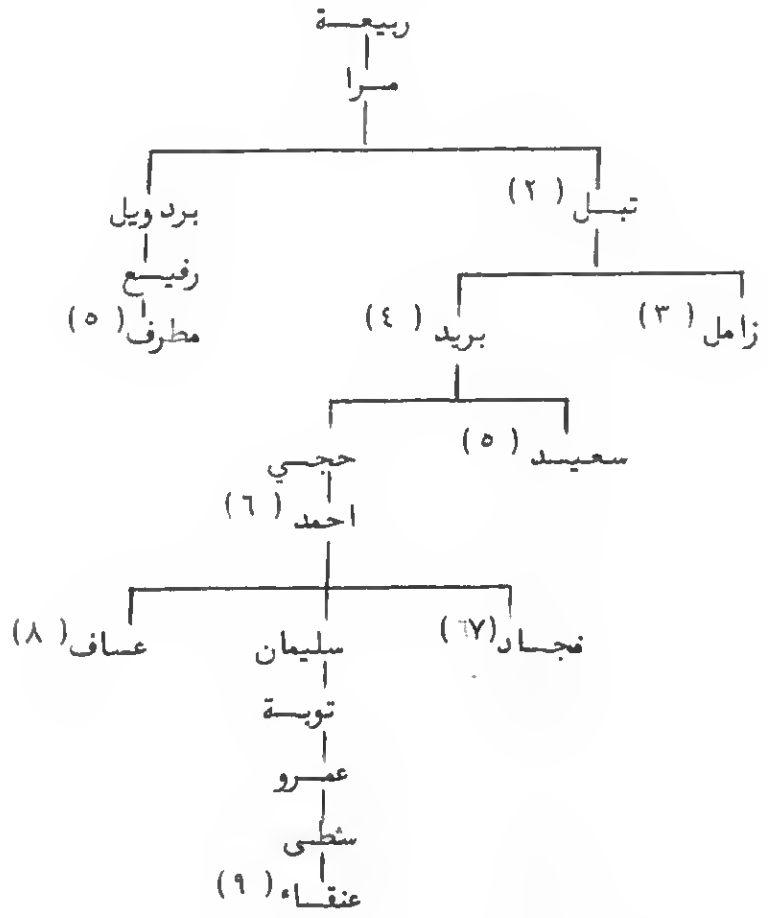

(١) يكتب على عدة صور: مراء، مرة، مرى، مرا. وقد ضبطه ابن تغرى بردى في المنهل الصافي، ج ٢ ورقه ٤٩٣ كما يلي: مِـرّا.

(٢) ويرد على رسم "شبل".

(٣) كان امير النقرة وسرىّ الأسرة زمن صلاح الدين الأيوبي (٥٨٥هـ). الفتح القسي، ص ٢٩٤

(٤) ويرد على رسم "يزيد".

(٥) يرد في تحفة المستفيد في تاريخ الاحساء في القديم والجديد (الرياض، ١٩٦٠)، لمحمد عبد الله الاحسائي، اسم مسعود بن بزيك (بريد) مع مانع بن حديثة وسعيد بن فضل، "وهم رؤساء ربيعة بن حارثة [حازم]"، ص ١٠٤.

(٦) ت ٦٨٢هـ (١٢٨٣م) وبيته بيت الامرة في آل مرا.

(٧) ت ٧١٥ هـ/ ١٣١٥م.

(٨) قتل سنة ٦٩٤ هـ/ ١٢٩٤م.

(٩) قتل سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩٢ م.

آل فضل بن ربيعة امراء العرب

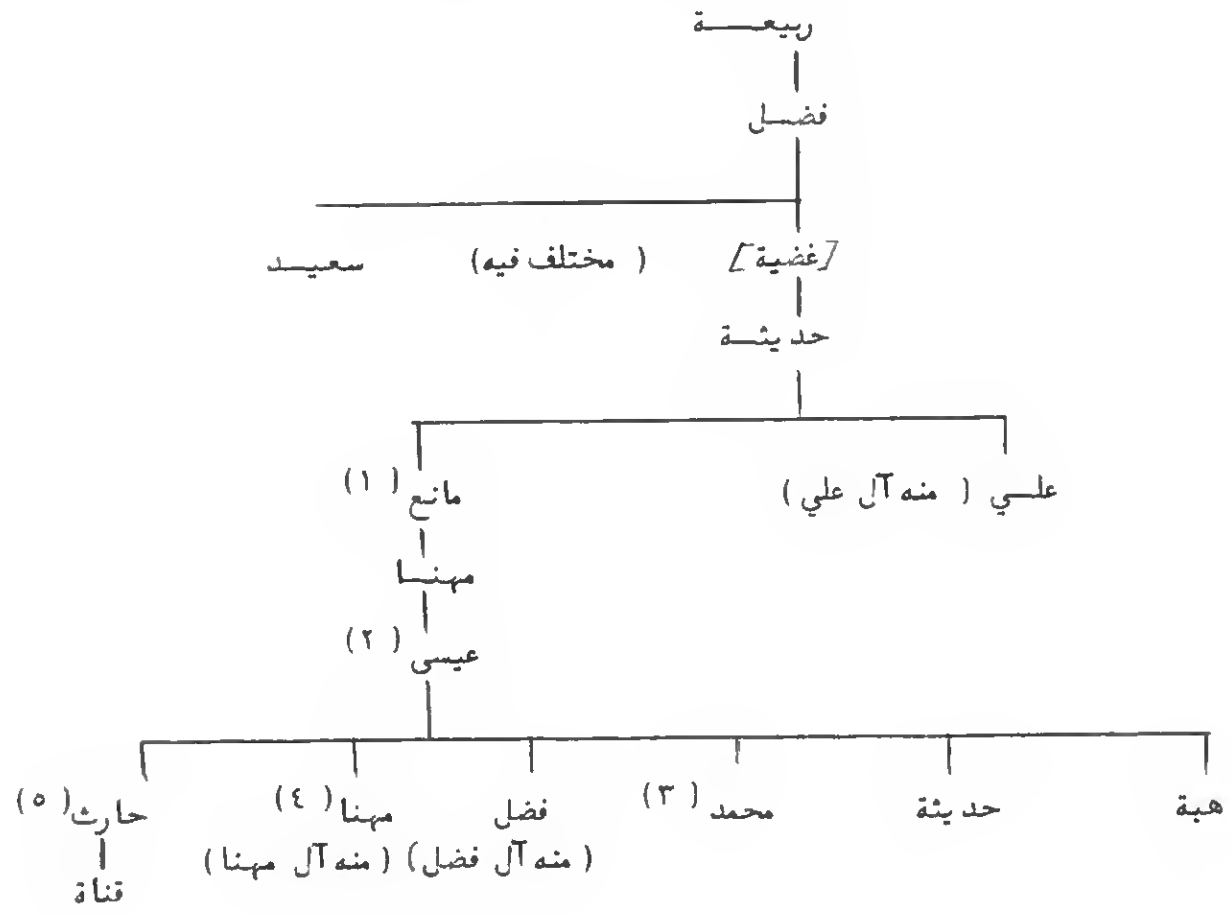

(١) ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م .

(٢) ت ٦٨٣ هـ/ ١٢٨٤ م.

(٣) ت ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤ م .

(٤) ت ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥ م .

(٥) يرد أيضا على شكل "حادث".

آل علي بن حديثـــــة

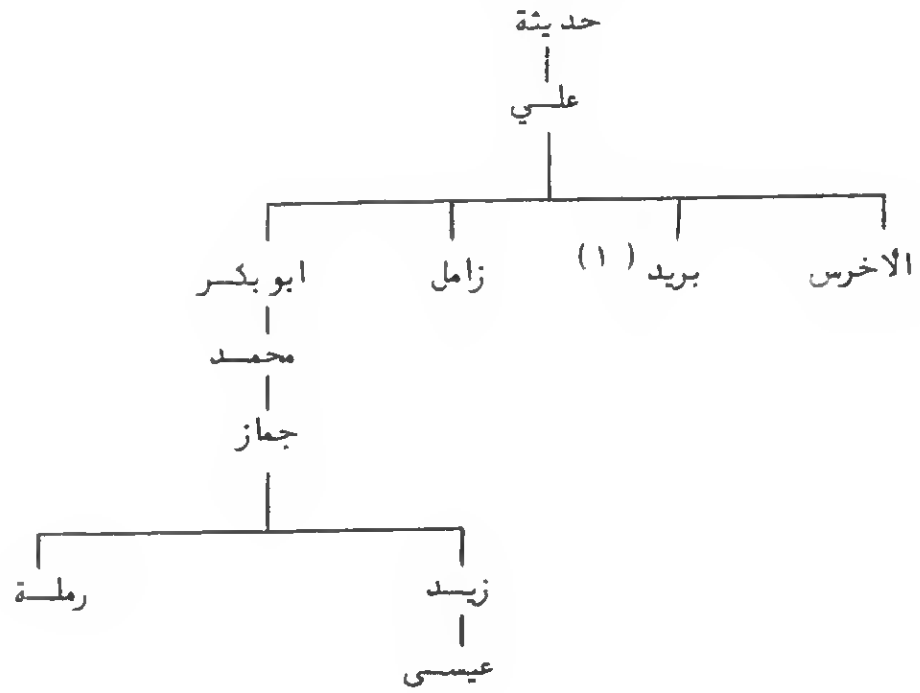

(١) يرد اسمه كذلك على صورة "يزيد".

آل مهنا بن عيسى

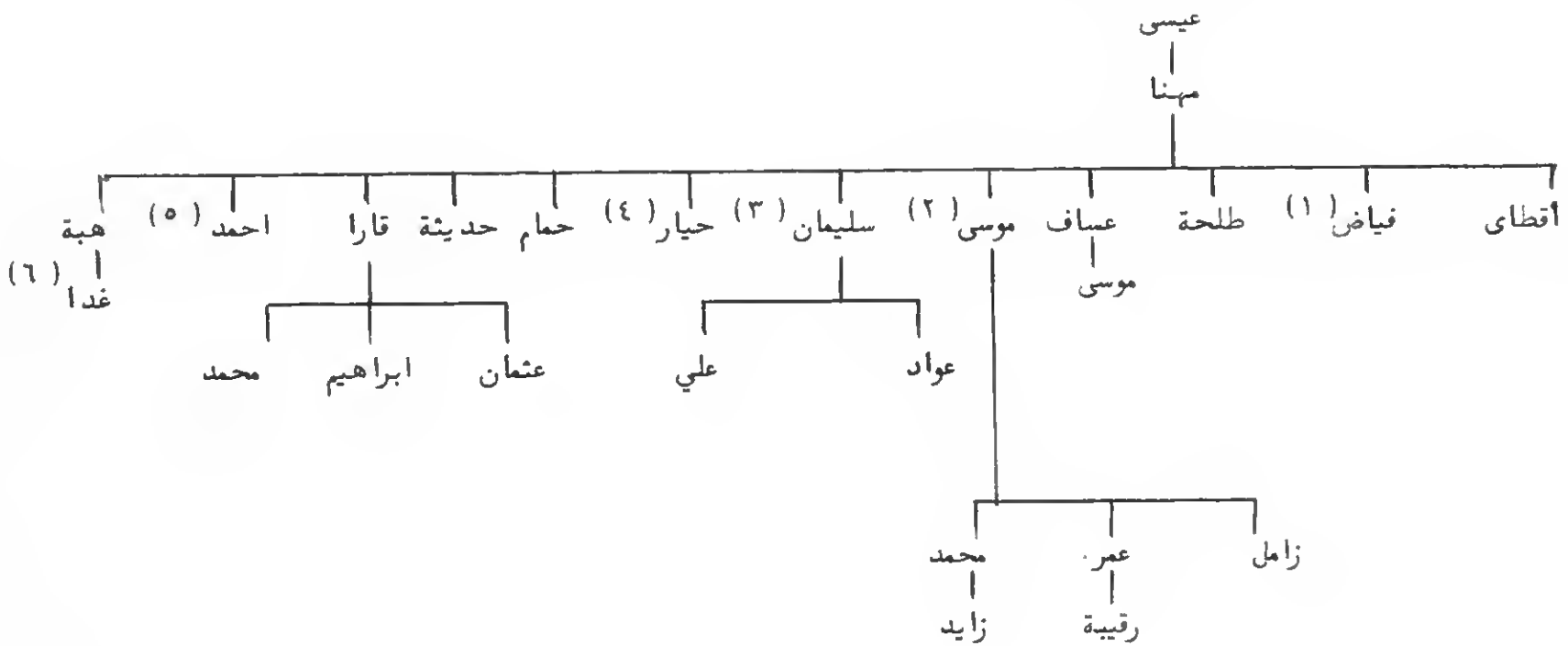

آل فضل بن عيسى

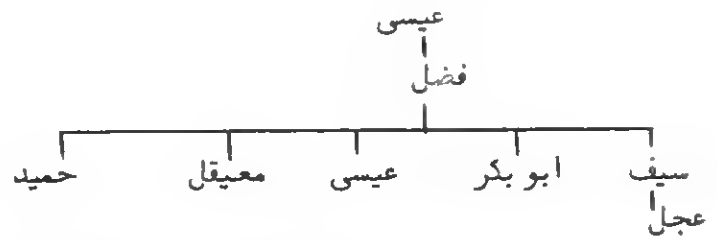

(١) ت ٧٤٤هـ (١٣٤٣م)
(٢) ت ٧٤٢ هـ (١٣٤١م)
(٣) ت ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣ـ١٣٤٤م
(٤) ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م
(٥) ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م
(٦) ذكر ابن بطوطة أن غدا هذا كان في الهند ·

آل مهنا بن عيسى

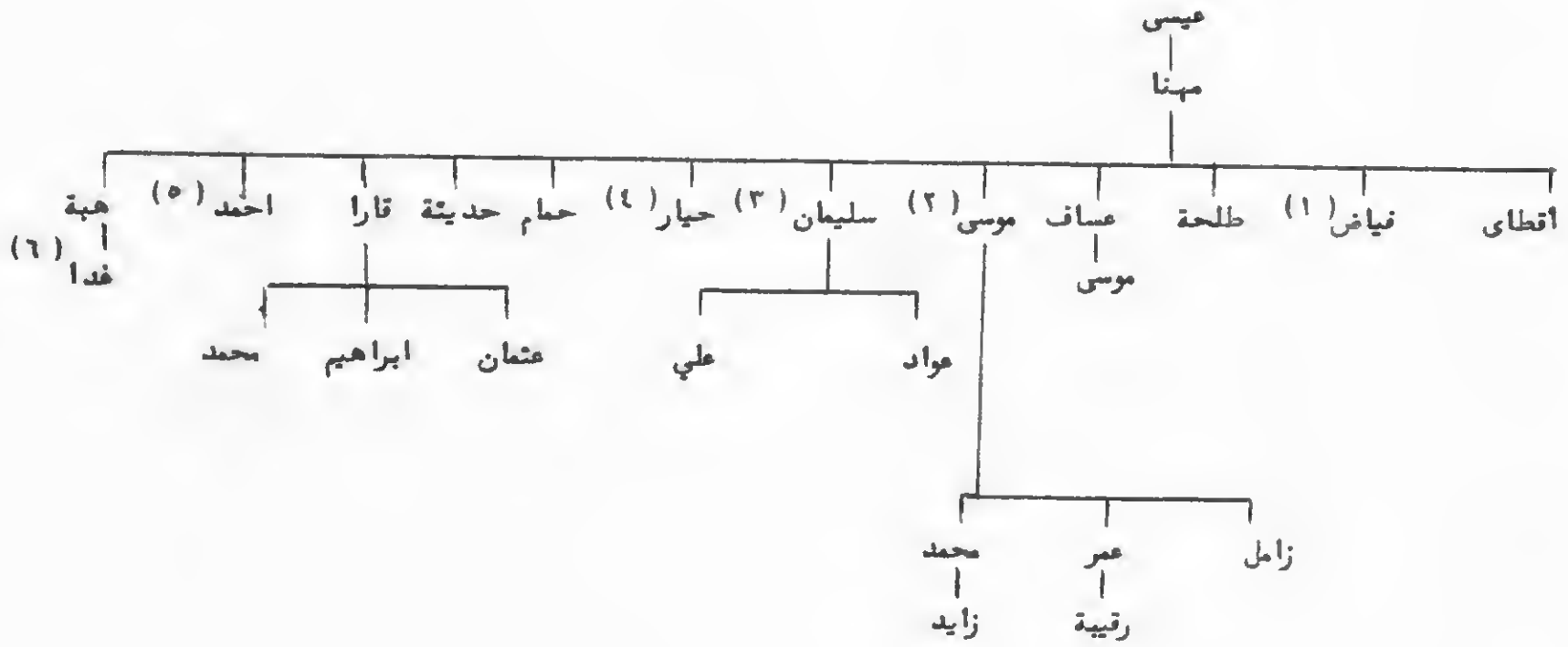

آل فضل بن عيسى

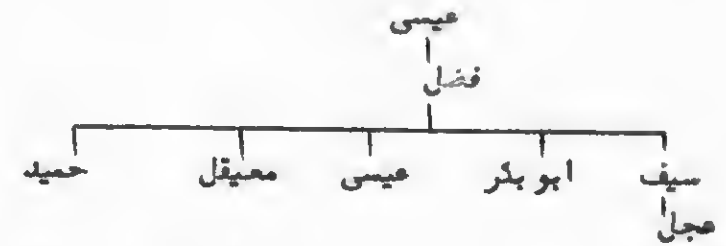

(١) ت ٧٤٤هـ (١٣٤٣م)

(٢) ت ٧٤٢ هـ (١٣٤١م)

(٣) ت ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣—١٣٤٤ م

(٤) ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤ م

(٥) ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م

(٦) ذكر ابن بطوطة أن فدا هذا كان في الهند .
رحلة ابن بطوطة ، ص٤٦٣—٤٦٨

آل حيّار بن مهنـا

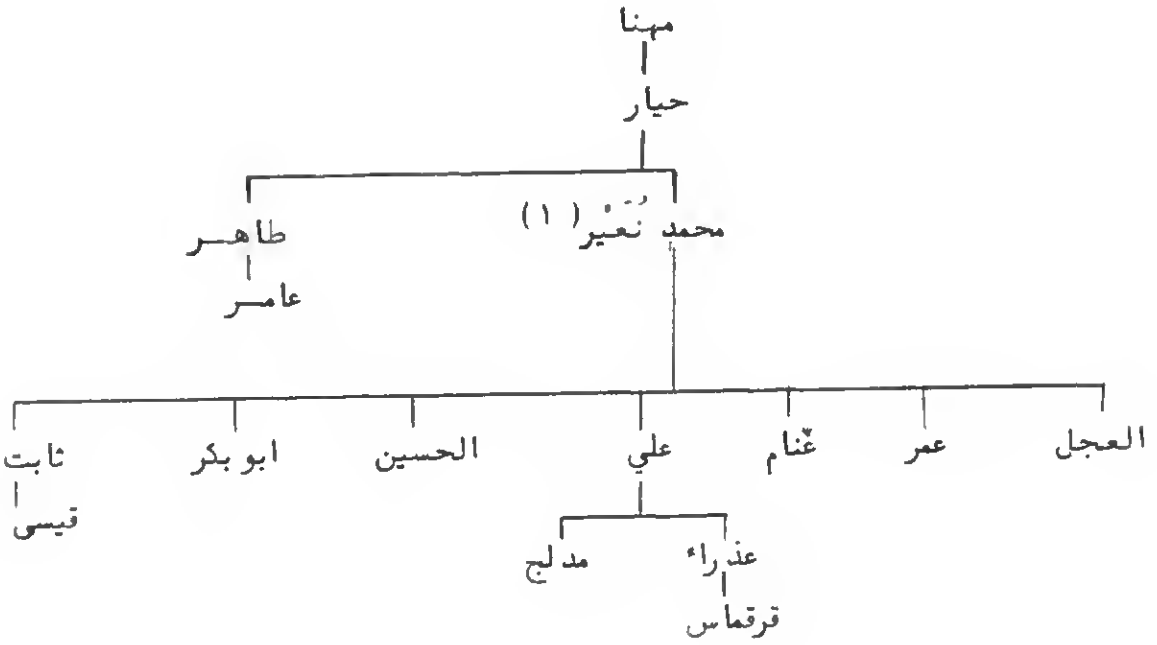

(١) ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م . وكان اسمه قبل الامرة نعير .

ملحـــق رقم (٢)

نسخة تقليد (١) الامير فخر الدين عثمان انشاء القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر صاحب ديوان الانشاء الشريف في شهر ربيع الاول [تموز] من هذه السنة [٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م]

" الحمد لله الذى خص من والى هذه الدولة بالتقدمة والفخر، ورمى من عاداها بالمذلة والقهر، ومدّ في عمر أيامها حتى يستنفد الدهر، وحتى توصف أيامها وان قصرت بالمسارّبان (٢) كل شهر يمر منها كالعام واليوم كالشهر. نحمده على ما منحها به من تأييد وظفر ونصر (٣) ونشر دعوة من ظافرها بعد الطي (٤)، وطوى دعوة من عاندها (٥) بعد النشر. ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، شهادة ان دخلت شواهدها تحت الاحصاء فلا تدخل فوايدها تحت الحصر. وان محمدا عبده ورسوله الذى جعل به الهداية في المبدأ والشفاعة في المعاد يوم الحشر، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تسعد بعد الشقاء وتجبر بعد الكسر.

---

(١) اعتمد هنا على النص الذى اورده ابن الفرات (تاريخ ابن الفرات، ج ٧ ص ١٧٧ — ١٧٩) ثم قورن بالنص الموجود عند القلقشندى (صبح الاعشى، ج ١٢ ص ١٢٨—١٣٠)، الذى عنوانه نسخة مرسوم شريف بالتقدمة على عربي آل فضل وآل علي.

(٢) "بأن" ليست في صبح الاعشى.

(٣) "ونصر" ليست في صبح الاعشى.

(٤) "ونشر دعوة من ظافرها بعد الطي" ليست في صبح الاعشى.

(٥) في صبح الاعشى "عاندنا".

"وبعد فان الله سبحانه وتعالى لما مكن لنا في الارض وجعل بيدنا البسط والقبض، وارانا كيف نضع الجميل ونجمل الصنع، وكيف نجبر قلب من جعل في أيامنا جبره بعد الصدع، وكيف تصبح انجم ذوى الاقدار في سماء مملكتنا نيرة المطالع، وكيف يلقى الخير من في عراضها[١] من رامه اذا كان على الخير في غير أيامنا مانع، وكيف نحل التقدمة في من اذا رفل[٢] في حللها قيل هذا احق بها ممن كان، وهذا الذى ما برحت التقدمة في بيته في صدر الزمان، وهذا الذى اذا ذكر آل فضل وآل علي كانت له مرتبة الشرف، ولا غرو أن تكون مرتبة الشرف لعثمان رأينا ان لا يمتطي[٣] صهوة العز الا اهلها ولا ينسخ الآية لمن تقدم في التقدمة الا خير منها او مثلها، ولا يتسلم[٤] رايتها الا من تعقد عليه الخناصر، ولا يتسنم ذروتها الا من هو احق بها واهلها في الاول والآخر.

"ولما كان المجلس السامي الامير فخر الدين عثمان بن مانع بن هبة هو المراد بهذا القول الحسن، والروح لجسد هذا المدح التي تسر[٥] السر والعلن، والحقيق من الاحسان بكل ما[٦] والجدير[٧] بان، والخصيص من سوالف الخدم بما والمفضل على سائر

---

(١) في صبح الاعشى "عراصها".

(٢) في صبح الاعشى "عقل".

(٣) في صبح الاعشى "واننا لا نعطي" بدل "رأينا ان لا يمتطي".

(٤) في صبح الاعشى "نسلم".

(٥) في صبح الاعشى "الذى يسر".

(٦) في صبح الاعشى "بكلما".

(٧) في صبح الاعشى "والخير".

النظراء ولو قيس بمن اقتضى حسن الرأى الشريف أن خرج الامر العالى [١] لا زال ذو القدر في ايامه يرتفع ، وذو الفضل في دولته لا يعز عليه مطلب عز [٢] ولا يمتنع ، وذو الأصالة يجتمع له فيها من النعماء ما لا يلتئم له في غيرها ويجتمع ،

" ان تفوض له [٣] التقدمة على العربان بالشام المحروس ، وهم من يأتي ذكره على ما يستقر عليه الحال في ترتيبهم ، وأن يكون [٤] منازله [٥] اللازم له حفظها بعدا وقربا حضرا وبدوا ، عامرا وغامرا ، رايحا وغاديا ، من الرستن الى الملوحة . والعرب آل فضل وآل علي ، حيث شاءوا [٦] نزلوا بمنزله ، او بمنزل الأمير شمس الدين محمد بن ابي بكر ، والخدمة واحدة والكلمة على اتفاق المصالح متعاضدة . فليكن للتقوى [٧] جسد روحها لا بل روح جسدها ، ولجموع [٨] القبايل او حد عددها ، اذ [٩] أصبح الاول من عددها ، وقطب فلكها الذى على تدبيره مدارها ، وعلى تقريره اقتصادها [١٠]

---

(١) في صبح الاعشى "ان رسم بالأمر الشريف".

(٢) "عز" ليست في صبح الاعشى .

(٣) في صبح الاعشى "اليه".

(٤) "يكون" ليست في صبح الاعشى .

(٥) أضاف في صبح الاعشى بين "منازله" و "اللازم" "الداروم" .

(٦) في صبح الاعشى "ساروا".

(٧) في صبح الاعشى "للقوى".

(٨) في صبح الاعشى "ومجموع".

(٩) في صبح الاعشى "اذ".

(١٠) "اقتصادها" ليست في صبح الاعشى .

واقتصارها، وعلى تقدمته تعويلها، والى نسبة امارته جملتها وتفصيلها. وليجعلهم على الطاعة فان الطاعة ملاك الامر للآمر وأسى الخير للبادى والحاضر. وليعلم أن لكل منهم بيتا به يعرف(١) او(٢) علمية اصالة بها يعرّف، ومنزلة يرثها الولد عن الوالد، ومشيخة ترجع من ذلك البيت الى ذلك الواحد، فليحفظ لهم الانساب، وليرع لهم الاسباب، واذا امروا بامر من مهام الدولة يتلو عليهم ادخلوا الباب،(٣) واللازم(٤) له ولهم مخايض(٥) تحفظ ومغاوز تلحظ ومطارح لا تلفظ، ومشاتى ومصايف ومقانص(٦) ومصارف ومرابع ومراتع ودنو واقتراب وتوطن واغتراب واغارة ونهيض وبرق وومض. فليرتب ذلك اجمل ترتيب، وليسلك فيه خير مهذب(٧) وتهذيب، وليردع الصادى(٨) ويلاحظ الرائح والغادى، وليؤمن ذلك تأمينا تطرب انبايه(٩) المحدو والحادى. وعليهم عداد مقرر، وقانون محرر، فليكن على يد شاد، شادا، ولسبب تأييدهم مادا، ويعلم

---

(١) في صبح الاعشى بدل "بيتا به يعرف"، نقابة تعرف".

(٢) في صبح الاعشى "و".

(٣) قرآن كريم ٢ : ٥٥.

(٤) في صبح الاعشى "والالزام".

(٥) في صبح الاعشى "مخاوض".

(٦) في صبح الاعشى "نفائض".

(٧) في صبح الاعشى "مذهب".

(٨) في صبح الاعشى "العادى".

(٩) في صبح الاعشى "ابياته".

انه وان كان قد أغمض عن حقوقه[١] فيما مضى ، واعرض عنه في الزمن الاول من انقضى ، وقدم عليه من كان دونه، وقد رد الله له ابكار الامر وعونه ، فلا يجعل لقايل عليه طريقا ، ولا يدخل في امر يقال عنه فيه كان غيره به حقيقا ، بل يفوق من تقدم في الخدمة والهمة والصرامة والعزمة ، والله تعالى يوزعه شكر[٢] النعمة والخط الشريف[٣] .

---

(١) في صبح الاعشى "جفونه".

(٢) أضاف في صبح الاعشى بين "شكر" و "النعمة"، "هذه".

(٣) ما بين الاقواس من صبح الاعشى .

ملحـــق رقم (٣)

نسخة منشور مهنا " بدومة " سنة ٧٣٤ هـ

" الحمد لله الذى جعل الفايز بكرمنا مهنا والحايز لنعمنا لا يتعنى ، والجايز لحرمنا لا يحتاج الى ' شـــم ' برقا ولا يستسقى مزنا .

نحمده على أن أحسن الى ابوابنا العالية الرجوع ، واعا بقربنا ما كان ينكره البعيد عنا من الهجوع ، وعوض بمواهبنا الشريفة عما كان طعامه لا يسمن ولا يغنى من جوع .

ونشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ، الذى عفا الله به عما سلف ، وشفا بتجاوزه من الأسف .

وبعـــد

فان الطيف ينفر ويعود ، والطير وان اطال الحوم لا بد له من الورود ، والليل يمحوه الصباح ، والطور لا تحركه الرياح ، والشجرة تميل ثم تستقيم ، والدرر تفترق ثم يجمعها العقد النظيم ،

وكان الجناب العالى الاميرى الحسامى مهنا بن عيسى هو آخر من بقى من السلف الكريم ، ولقى حق ما ايتلف من ولاية القديم ، وهو صاحب الهجرتين ، والتابع منهما باحسان السابقتين الأولين ، ومن اوتي اجره مرتين . فكم له من سابقة جميلة قصرت الجياد عن مداها ، وعارفة جليلة تتيقظ لها وقد مالت اعناق النجوم مثقلة بكراها . وتمسك على موالاتنا في وقت كان المتمسك فيه بدينه كالقابض على الجمر ، وتظاهر بمحبتنا ولم يخشى زيد ولا عمرو . وكانت له بين أيادينا الشريفة من المواقف التي شهد لديها الله والملائكة الكرام ، والاجتهاد التي

لم يترك السيوف تقر في الاغماد ولا الارواح في الاجسام . فكم له موطن اتجد فيه (باياراته) وآخر بحضوره وعد الله على اعدائه . وله في مرج الصفر اليد الطولى والمجاهدة ، الذى اتبع في النوبة الاخيرة سبيل الصحابة رضى الله عنهم في النوبة الاولى ، ثم يتبع من ولى منهم مدبر لم يعقب ، ونوع دماهم بين غريق في الفرات وتايه في القفار وقتيل بدمه مختصب . فلما أوجس في نفسه خيفة فارق بيته راجع ، ونزع نزع السهم المراجع ، وغاب كالنجم ثم أقبل مثله وهو طالع ، وذهب فقال كل أحد انه غير طائع ، ثم بدا له ولقومه من بعد ما رأوا الآيات ، وعلموا أن حكمنا الشريف لا يؤاخذ بما فات ، وعرفوا من سجايانا الشريفة الرعاية لحسناته فكيف (سرب) واحد والعزمن وفايانا بالحقوق القديمة ما لا تضيعه لانه خرج عنا وما كان لاحساننا مجانح وحضر الى ابوابنا من غير طلب ، فجاء وفود ولاية يسعى لديه وحسن ظنه بالله وبنا يحفظه بمعقبات من بين يديه ومن خلفه . فانعمت صدقاتنا الشريفة عليه بما لم ينهض به همه شكره ، ولا يقدر على مثله في مكافاة وليه السحاب اذا جاد بقطره . ولم يكن له معين يرجع اليه اذا نابت النوب الى حاصله ، ولا يسكن اليه اذا سحب السحب اذيالها مثقلة بواصله . ورسمنا له فتوقف تحقيقا ، وأبى ان يسوم (برانا) وهو البحر الزاخر تكليفا . فابت نعمنا الا ان تشمله (ودينا) الا ان تجوده امطارها المختلفة ونهمله . فخرج الامر الشريف الملكي الناصرى لا زال يولى اوليائه اكراما ويدر لهم انعاما عاما ان يجرى في اقطاعه دومة من غوطة دمشق المحروسة . وهذه بارقة يتلوها امطار وشارفة يجلوها نهار ومعه (عدوها مناسى) غرار وموهبة يتبعها امثالها مما لا يعد من مواهبه البحار وهى نعمة صادقة محلها ، واودعت المعروف في اهلها ووفى بالشكر حقها التمام واستغن عن دومة الجندل بدومة الشام وتعاول بداوم الخصب لان مشتقة من الديم ودالة على

الدوام . والله يد رالى المزيد ويفسح في باع عمرك المديد ، ويبقى بك سعد العشيرة في عز دائم وسعد جديد .

مسالك الابصار ، ٢٩ الاوراق ٥٦—٥٧

ملحـــق رقم (٤)

وصية امير العرب

عن ابن فضل الله العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة (مطبعة العاصمة) ١٣١٢ هـ . ص ١٠٩—١١١

" والتقوى درعك الحصين ، والشرع الشريف سبيلك المبين ، والحدود والقصاص بهما تمنع المحارم ، والجهاد فان فيه شفاء لصدور الصوارم . فاقتد بالانصاف زمام زمانك ، واثن الى الحق عنان عنانك . وفرغ فكرك لمصالح الاسلام ، وامنع كل طارق حتى الطيف في الاحلام . وفرق بعزمك جلابيب الديجور ، وفرق بغوثك وللصبح بالكواكب الدرى منحور . واستعلم أخبار العدا في طليعة كل صباح ، وتأهب لهم فرب يوم يجئ بوجهه وقاح . واثبت في اللقاء ثبات مجرب ، وتطلع الى جموعهم التي كم ناظر اليها مع الصبح نجم مغرب ، ولا تفارق في وجه البلاد وسيما ، ولا تشم من غير الطيبة نسيما ، واذا نزلت على الباب سوى بالبراعة له قسيما . ولا تتبدل بالغرات واردا ولا تتبعك المناظر اذا ارسلت طرفك الى سواها رائدا . واضرب بقارعة الطريق خيامك ، وانشر المعتفين غمامك وطنب دخانك الى السماء ، وابسط ضرامك . واقبل على الذكر الجميل فكل شيء غاد ورائح ، وانزل بساحتك الضيوف وانحر لهم كرم الهجان وكل طرف سانح . واحفظ أطراف البلاد ممن يتولع ببنائها او يترصد لمرابع اسودها او مراتع غزلانها . وخص الرعايا برعاية تنبت لهم الزروع ، وتدر من سوائمهم الضروع . ولا تدخل الى البرية الا اذا لم يبق لك بالبلاد مقام ، ولا منزل بين شيخ وخزام .

وأما العرب فهو أميرهم المطاع ، وآمرهم وهم له أتباع . وهو يعرف مقاديرهم ، وكيف

يعامل كبيرهم وصغيرهم . فليجمعهم على طاعتنا الشريفة ما استطاع ، وليمنعهم من طبع الطباع ، وليصدعهم بالحق على حكم استحقاقهم في كل اقطاع واقتطاع .

وهو بما يصلح لركابنا العالي من الخيل جد خبير، وبما يناسب سرجنا الشريف من كل سابق وسابقة ما لها نظير . فليأخذ نفسه واخوته وبني عمه واهله وعترته الاقربين ، بأن يكونوا بالجياد الينا متقربين . ومتى وردت عليه مراسيمنا الشريفة بأمر سارع الى العمل بحكمه، او اتصل متجدد يعلمنا منه بما وصل الى علمه . وهذا تقليدنا الشريف حجة على من سمعه او قصد في خلافه تفريق كلمة مجتمعة . ومرسومنا أن ينقل مضمونه الى الآفاق ، ويعلم به كل مصعد الى الشام ومنحدر الى العراق ، ليحدو به كل حاد ، والركاب تساق ، ويسمر به في كل حي سامر يتجاذب حواشي حديثه الرفاق ، ويتناجى كل راكب مطية وفارس مطهمة عناق . فمن بلغنا أنه حاد عن امره او تأول في نقض لرفعة قدره، فالسيف اسبق الى نحره ، والموت أعجل اليه لأنه فتح من فمه ما كان سدودا من باب قدره" .

ملحـــق رقم (٥)

نصوص كتب تتعلق بآل مهنا زمن نعيـــر.

١ — "أما المطالعات المختصة بالسلطان فلم اقف عليها . وأما كتاب نايب السلطان الى الامير سيف الدين يتخاص حاجب الحجاب بالديار المصرية فاني وقفت عليه. ومن مضمونه بعد بسم الله الرحمن الرحيم:

الملكي الظاهري يقبل الأرض، وينهى بعد ابتهاله الى الله تعالى بالادعية بدوام الايام الكريمة المخزومية وخلود سعادتها وعلو درجاتها الكريمة في الدنيا والآخرة . أن مملوك مولانا السلطان خلّد الله تعالى ملكه، ومولانا عز نصره الامير عامر بن طالم [طاهر] ابن حيار حضر الى الطاعة الشريفة واحضر صحبته أبا بكر وعمر ولدي نعير، وحضر بعدهم غنام ولد نعير وحضر صحبتهم خلق كثير من العربان ممن كان صحبة نعير المخذول ، ولم يتأخر عند المخذول الا القليل من العربان والتركمان ممن لم يقدر على الانفصال منه. وقد هاجر الامير عامر المذكور الى الابواب الشريفة خلد الله سلطانها راجيا من مراحمها الشاملة الصفح والعفو والتجاوز عن ذنوبه السالفة . وبعده يحضر الى بين يدى المواقف المعظمة خلّد الله سلطانها اولاد نعير كلهم، وقد جهزه المملوك الى خدمة الابواب الشريفة صحبته الولد شهاب الدين أحمد دوادار المملوك وضمن له عن المراحم الشريفة كل خير ونعمة. وليس يخفى عن العلوم الكريمة أن هذا عامر هو جناح نعير المخذول وعمدته ، وفعل ما يجب عليه من الرجوع الى الطاعة الشريفة ، واحضار اولاد نعير طايعين . وهو يتدرك للمواقف الشريفة كلما يراد منه من الخير، وتأمن البلاد والعباد . وقد حصل بقدومه من الخير ما لا يخفى عن العلوم الكريمة . والمملوك يسأل من الصدقات العميمة جبر خاطره والاقبال عليه ومساعدته بين يدى المواقف الشريفة ، خلد الله تعالى سلطانها، والقيام

معه بكل ممكن، والوفاء بضمان المملوك له فيما تكفله من الخير بحيث يعود مجبورا بحسن النظر الكريم ، قرير العين بحصول الرضى الشريف عليه ، اجابة لسؤال المملوك وجبرا لخاطر المشار اليه. وقد حمل الولد امير شهاب الدين من تقبيل الأرض له والادعية ورفع الادعية الصالحة واستعراض المراسيم العالية والمهمات الجليلة ما ينهيه الى الوالد من العلوم الكريمة ، وهو المحسن في الاصغاء الى قبول ما يحمله من ذلك ويشرف المملوك بالمراسيم العالية والمهمات الشريفة ".

تاريخ ابن الفرات ج ٩ ص ٣٣٦—٣٣٧

ب — كتاب أولاد نعير الى الامير بتخاص حاجب الحجاب

" ومن مضمونه بعد بسم الله الرحمن الرحيم :

الملكي الظاهري يقبلون الأرض وينهون أن المماليك مماليك مولانا السلطان خلّد الله ملكه ونشر صدقاته واحسانه ، ومماليك مولانا امير حاجب اعز الله انصاره. وأن المماليك ما تأخروا عن الحضور الى الطاعة الشريفة من مدة الّا اتباع رضا خاطر والد المماليك ، لان طاعة الوالد واجبة لقوله تعالى "فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما"(١) . فلما تحقق المماليك أن والدهم ينيب الى شيء واحد اجتمع المماليك بعامر ابن عمهم وتوافقوا معه انهم يكونون في الطاعة المفترضة . فأناب الى ذلك ورغب فيه وتحالفوا معه أنهم يكونون مجتهدين بالطاعة المفترضة والخدمة الشريفة ، يعادون من عاداها ويناصحون من ناصحها . وأن المماليك

---

(١) الآية ٢٣، الاسراء رقم ١٧ .

حضروا بمن معهم من العربان الى الطاعة ، واجتمع رأى المماليك على تجهيز عامر بن عم المماليك الى خدمة الأبواب الشريفة ، لانه هو كبير المماليك وشيخهم والحاكم في امرهم ، ولا يخالفونه بما يعزم عليه، وانه اذا يدرك بشيء من ما يكون فيه رضا الخواطر الشريفة ، كانوا المماليك قايمين معه ولا يقفون عن امره جملة كافية . وسؤال المماليك من الصدقات الكريمة اعز الله أنصارها حسن سفارتها الكريمة لدى المواقف المعظمة ، مساعدته على اعادة ارزاق المماليك وجبر خاطر عامر المذكور بحيث أن يعود طيب القلب منشرح الصدر. واذا حضر بخير وعافية يحضر مملوك الابواب الشريفة المملوك ابو بكر مملوك مولانا، واذا حضر ابو بكر يحضر المملوك عمر. وقد جهز المماليك مماليك الابواب العاليه ميسرة وربيعة حجاب المماليك على يديهم المطالعات ، وقد حملاها مشافهة يعيداها على المسامع الكريمة . والمماليك يسألون الاصغاء اليها والاستماع . انهوا ذلك والحمد لله وحده وصلوته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه وحسبنا ونعم الوكيل .

وبحاشية الكتاب المماليك عمر وابو بكر ولدى نعير والله أعلم".

تاريخ ابن الفرات ٩ : ٣٣٧—٣٣٨

خريطة توضح المناطق الجغرافية
لبلاد الشام والبادية
الجزيرة الفراتية
صحراء النفود
العراق

(١)

خريطة توضح المناطق الجغرافية
لبلاد الشام والبادية

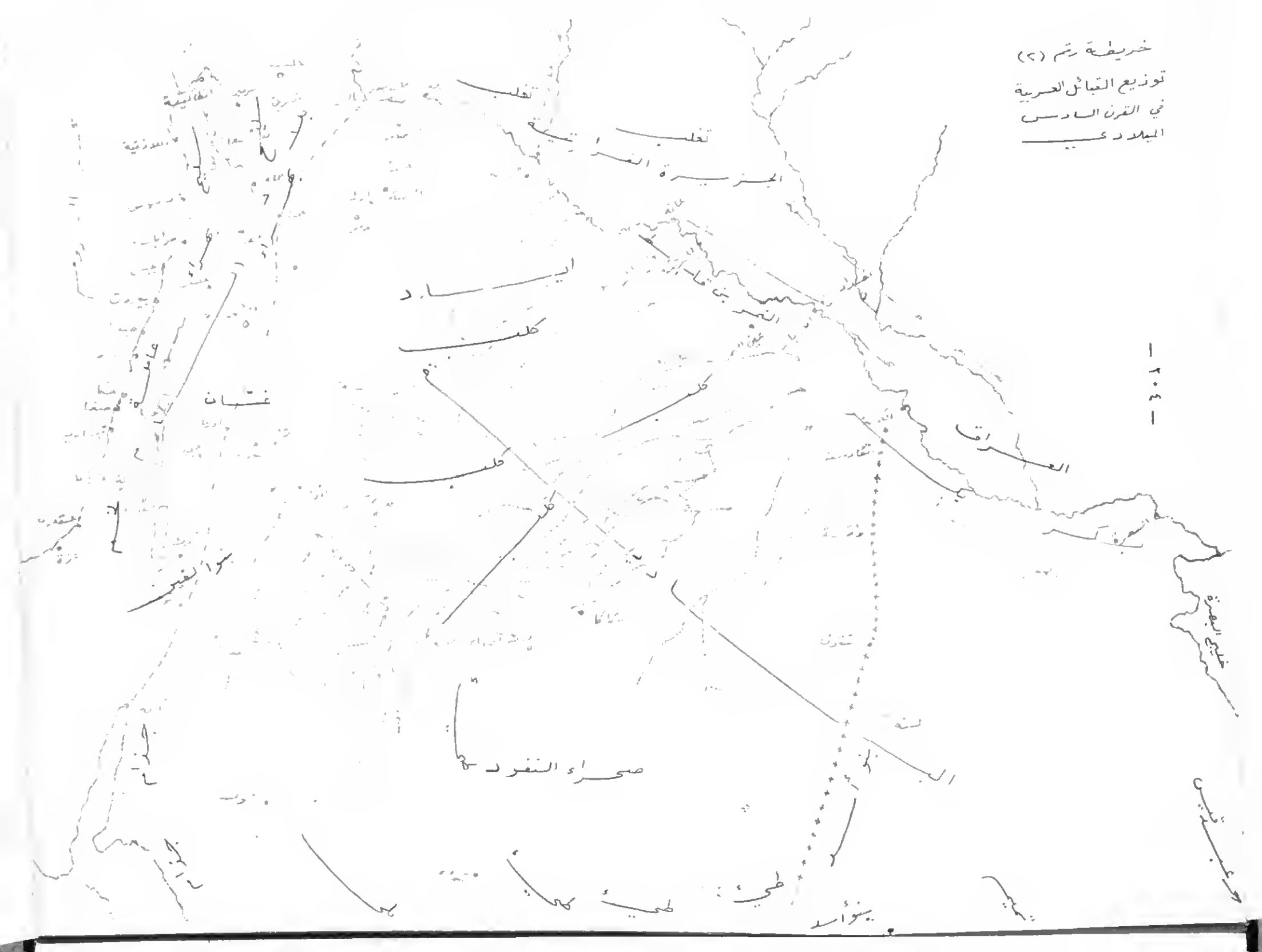
خريطة رقم (٢)
توزيع القبائل العربية
في القرن السادس
الميلادي
تغلب
الجزيرة الفراتية
ايساد
كلب
العراق
غسان
صحراء النفود
طيء
بنو أسد
خليج البصرة

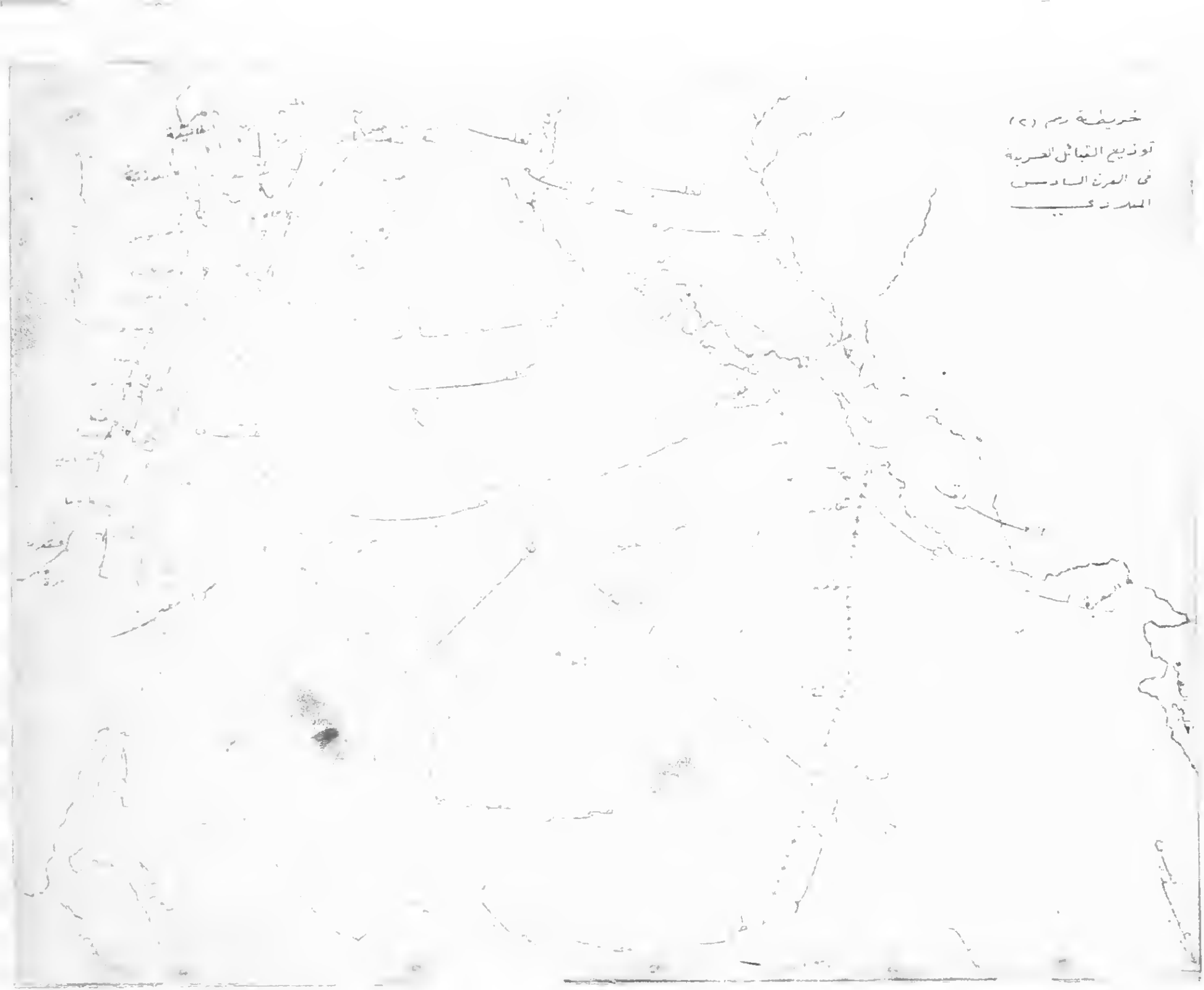
خريطة رقم (٧)
توزيع القبائل العربية
في القرن السادس
الميلادي

خريطة رقم (٣)

توزيع القبائل العربية

في القرن العاشر

الميلادي

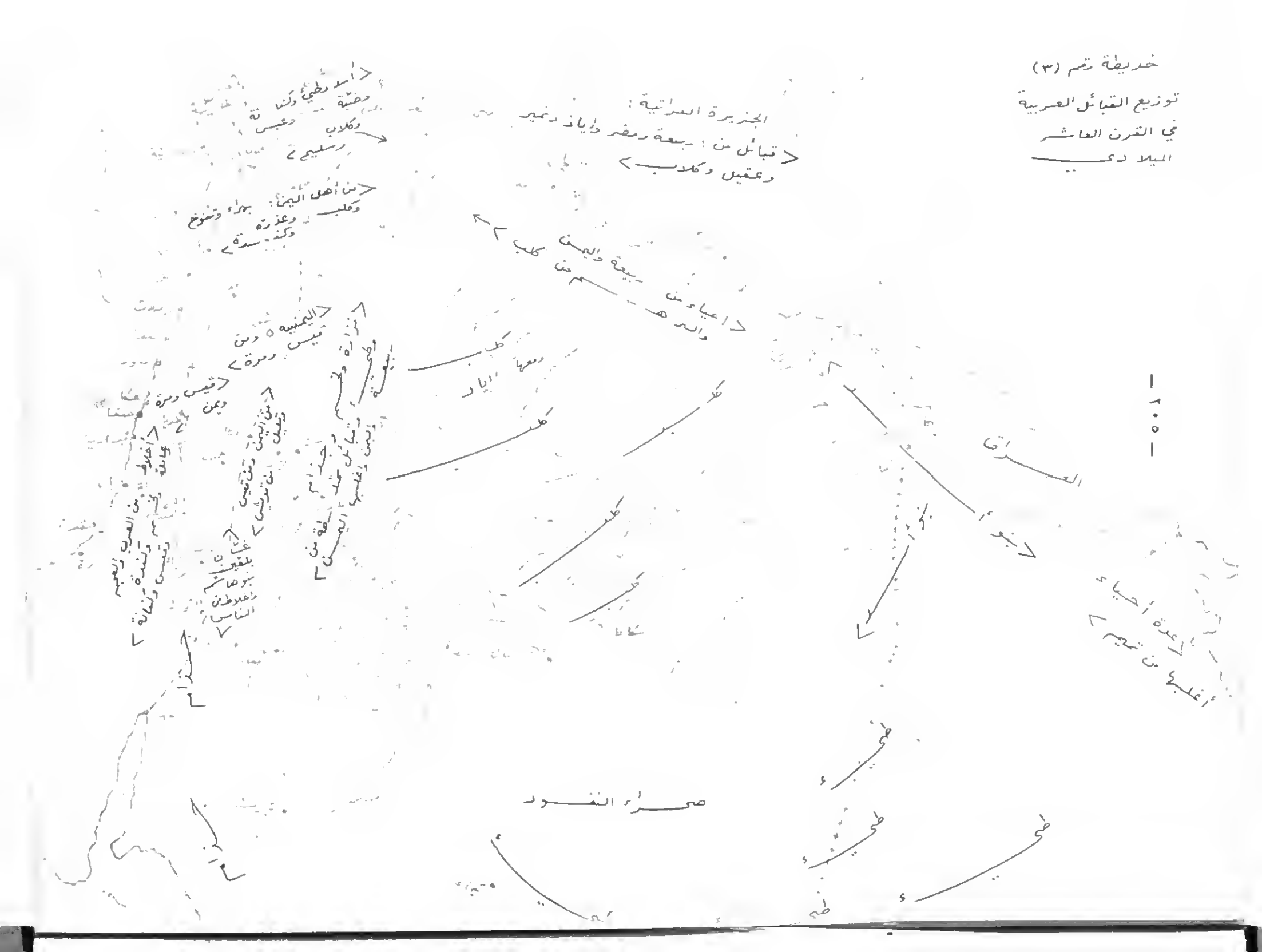

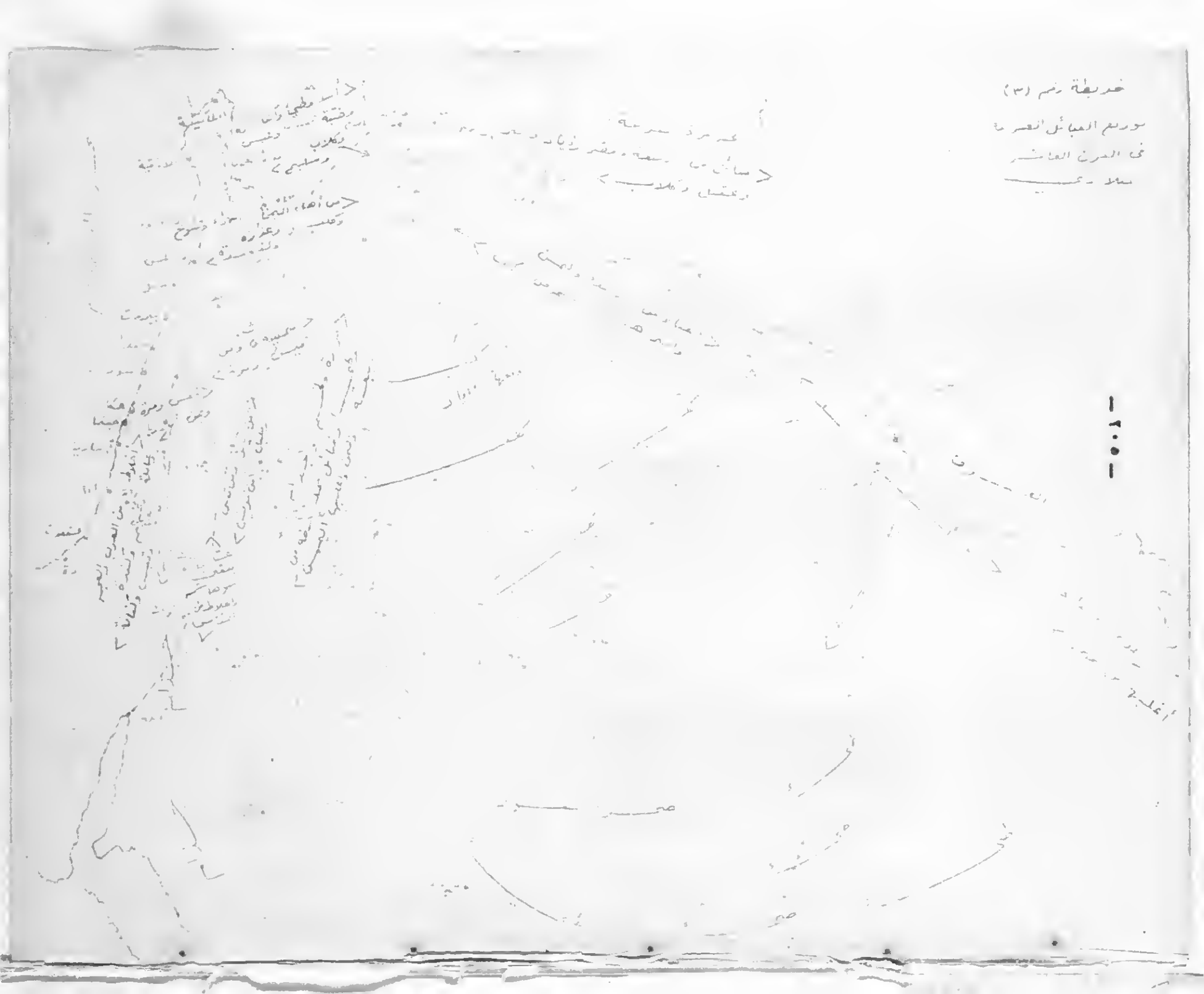
خريطة رقم (٣)
توزيع القبائل العربية
في القرن العاشر
ميلادي

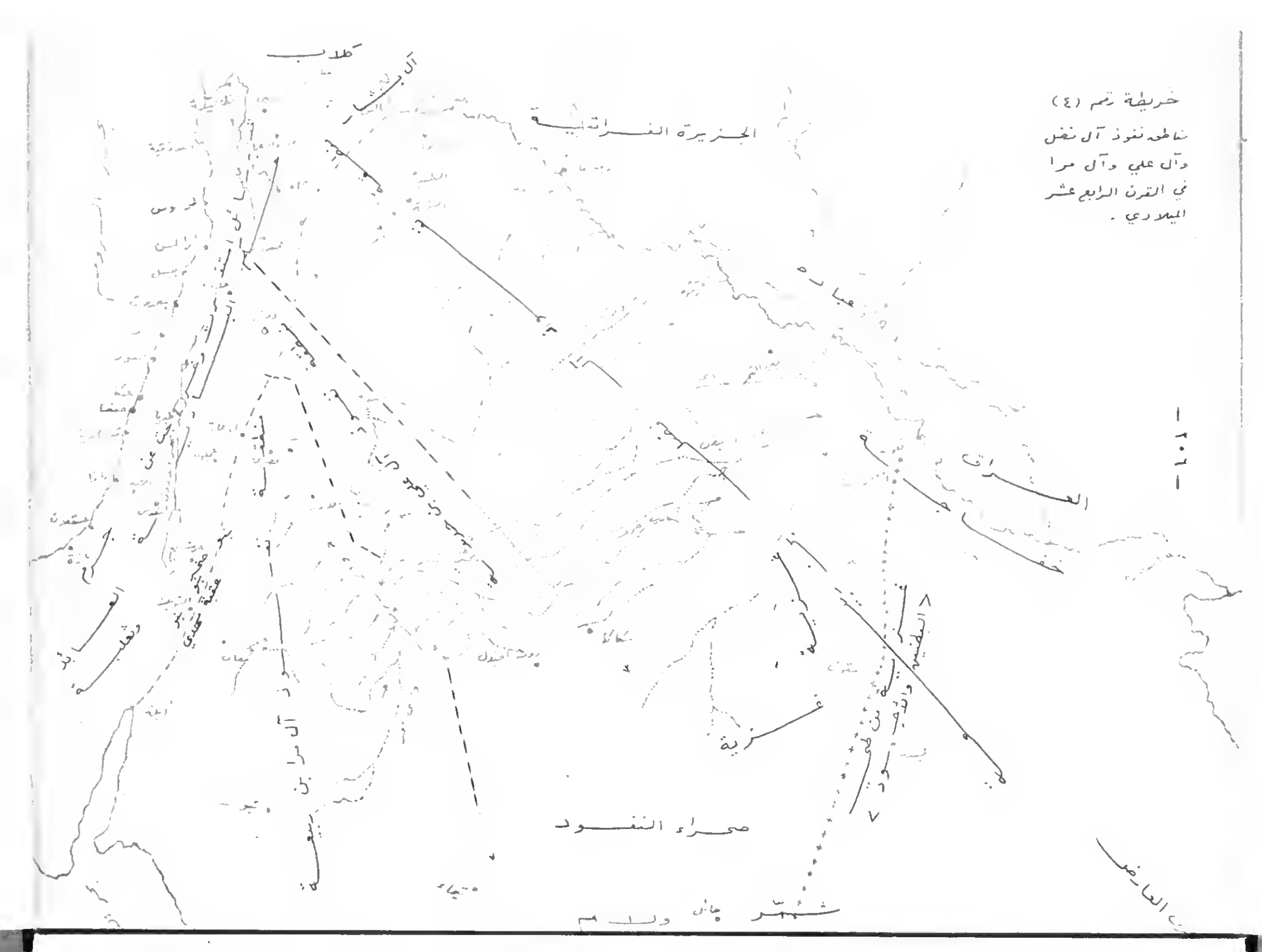

خريطة رقم (٤)
مناطق نفوذ آل فضل وآل علي وآل مرا في القرن الرابع عشر الميلادي .

مصادر البحث

أولا : المصادر العربية المخطوطة

١ — البكرى ، ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)
كتاب المسالك والممالك ، نسخة مصورة بالفوتوستات ، في مكتبة الجامعة الاميركية ببيروت ، رقم MS 910 : B 16 bA

٢ — الادريسى ، ابو عبد الله محمد بن محمد (ت ٥٦٠ هـ/ ١١٦٠م)
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق . نسخة مصورة بالفوتوستات ، في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت ، رقم MS 910 : 121 nuA

٣ — ابن العديم ، كمال الدين عمر (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)
بغية الطلب في تاريخ حلب ، ج ٤ ، نسخة مصورة بالفوتوستات عن مخطوطة مكتبة احمد الثالث ، في اسطنبول ، في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم 920.568: I 13bA
كتاب في تاريخ حلب ، ٣ ج ، نسخة مصورة بالفوتوستات في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم MS 956.8 : I 13KA

٤ — ابن سعيد ، أبو الحسن على بن موسى (ت ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦م)
كتاب نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب اى الجزء الأول من القدح المعلى في التاريخ المحلي . ميكروفيلم مأخوذ عن مخطوط توبنجن في المانيا رقم ١١١٦، في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم Mic-A : 133

٥ — ابن شداد ، ابو عبد الله محمد بن على (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)
الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، ج ١ ، نسخة مصورة بالفوتوستات عن مخطوط سراى رواق كوشكى في اسطنبول ، في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم 956.9: I 138 aIA

٦ — بيبرس الدوادار، ركن الدين (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)
زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، ج١٠ ، ميكروفيلم مصور عن مخطوط المتحف البريطاني رقم ١٢٣٣ (ملك خاص) .

٧ — ابن فضل الله العمرى ، احمد بن يحى (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)
مسالك الابصار في ممالك الامصار ، ج ٣، نسخة منه مصورة بالفوتوستات عن مخطوطة طبقبو سراى (احمد الثالث) باسطنبول رقم ٢٧٩٧ ، في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت. ج ٢—٤ من مخطوطة أيا صوفيا (الارقام ٣٤١٥، ٣٤١٦، ٣٤١٧) ، نسخة مصورة بالفوتوستات ، في مكتبة الجامعة الاميركية رقم MS 915: I 13mA ج ٢٧، ميكروفيلم عن مخطوط أيا صوفيا رقم ٣٤٣٩، في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم ٦٥ : Mic-A، ج ٢٩ (أو ٢٢) ميكروفيلم عن مخطوط أيا صوفيا رقم ٣٤٣٤، في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم Mic-A: 41

٨ — الصفدى ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)
الوافي بالوفيات ، ج ٨ ، ميكروفيلم في مكتبة المعهد الالماني الشرقي ببيروت ، مصور عن مخطوط دار الكتب الوطنية بباريس رقم ٢٠٦٤ .

٩ — ابن حبيب ، الحسن بن عمر (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٥م)
درة الاسلاك في دولة الأتراك ، ٢ ج ، نسخة مصورة بالفوتوستات عن نسخة جامعة دمشق ، في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم MS 956.1 : Il3 dA

١٠— ابن الفرات ، محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)
تاريخ ابن الفرات ، مجلد ٦، نسخة مصورة بالميكروفيلم عن مخطوط مكتبة الزاوية الناصرية بالرباط ، في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم Mic-A: 217

١١— ابن قاضى شهبة ، تقي الدين ابو بكر بن احمد (ت ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م)
الذيل على تاريخ الاسلام ، ٢ ج ، ميكروفيلم عن مخطوط دار الكتب الوطنية بباريس رقم ١٥٩٨، في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم AS 144

١٢— ابن قاضى شهبة ، بدر الدين محمد بن ابى بكر (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)
الدر الثمين في سيرة نور الدين ، ميكروفيلم مصور عن النسخة الخطية بدار الكتب المصرية رقم ١٢٢٧ تاريخ ، في مكتبة الجامعة الاميركية ببيروت رقم Mic-A : 145 ، وميكروفيلم مصور عن النسخة الخطية بمكتبة بلدية الاسكندرية رقم ١٣٣٦، في مكتبة الجامعة الاميركية رقم Mic-A: 147

ثانيا : المصادر العربية المطبوعة

أ — الجغرافيا والرحلات

١ — اليعقوبي ، احمد بن واضح (ت نهاية القرن ٣ هـ/ ٩م)
كتاب البلدان ، تحقيق م. دى غويه (نشر مع الأعلاق النفيسة لابن رسته) ، بريل ، ليدن ، ١٨٩١ .

٢ — ابن خرداذبه ، ابو القاسم عبيد الله (ت حوالي ٣٠٠هـ/ ٩١٢—٩١٣م)
المسالك والممالك (يليه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر) ، تحقيق م. دى غويه ، بريل ، ليدن ، ١٨٨٩ .

٣ — ابن رسته ، اوبعلي احمد بن عمر (ت النصف الأول من ق ٤هـ/ ١٠م)
الاعلاق النفيسة ، تحقيق م. دى غويه ، بريل ، ليدن ، ١٨٩١ .

٤ — ابن الفقيه الهمذاني ، ابو بكر احمد بن محمد (ت ق ٤هـ/ ١٠م)
مختصر كتاب البلدان ، تحقيق م. دى غويه ، بريل ، ليدن ، ١٣٠٢ هـ .

٥ — الاصطخرى ، ابو اسحق ابراهيم بن محمد (ت ق ٤هـ/ ١٠م)
المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسينى ومراجعة محمد شفيق غربال ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦١ .

٦ — ابن حوقل ، ابو القاسم محمد (ت ق ٤هـ/ ١٠ م)
كتاب صورة الأرض ، ٢ ج ، تحقيق جان هنريك كريمرس ، بريل ، ليدن ، ١٨٣٩ .

٧ — الهمداني ، ابو محمد الحسن بن احمد (ت ٣٣٤ هـ/ ٩٤٩ م)
صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن بليهد النجدى ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

٨ — المقدّسي ، محمد بن احمد (ت ٣٧٥هـ/ ٩٩٠م)
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، تحقيق م. دى غويه ، بريل ، ليدن ، ١٩٠٦ .

٩ — خسرو ، ناصر (ت ٤٨٠هـ/ ١٠٨٨م)
سفرنامه ، ترجمة يحي الخشاب ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

١٠— البكرى ، ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)
معجم ما استعجم ، ج ١ ، تحقيق مصطفى السقا، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

١١— ياقوت الرومى الحموى، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)
معجم البلدان ، ٥ ج ، دار صادر — دار بيروت ، بيروت ، ١٩٥٥—١٩٥٧ .

١٢— ابن جبير ، ابو الحسين محمد بن احمد (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)
رحلة ابن جبير، تحقيق حسين نصار، مكتبة مصر، القاهرة ، ١٩٥٥ .

١٣— القزويني ، زكريا بن محمد (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)
آثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر — دار بيروت ، ١٩٦٠م .

١٤— ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)
بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان ن . خينيس، تطوان ، ١٩٥٨ .

١٥— شيخ الربوة الدمشقي الأنصارى ، ابو عبد الله بن محمد (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م)
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تحقيق ا . مهران ، بريل ، ليدن ، ١٩٢٣ .

١٦— ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م)
كتاب البلدان ، تحقيق م . رينو و م . ديسلان ، باريس ، ١٨٥٤ .

١٧— ابن بطوطة ، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)
رحلة ابن بطوطة ، دار صادر — دار بيروت ، بيروت ، ١٩٦٤ .

١٨— ابن شاهين الظاهرى ، عبد الباسط بن خليل (ت ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تصحيح بول راويس، باريس، ١٨٩٤ .

ب — الحوليات والسير والتاريخ المحلي

١ — الطبرى ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)
تاريخ الرسل والملوك ، ٣ مجموعات في ١٥ جزءا ، نشر باشراف دى غويه ، بريل ، ليدن ، ١٩٧٩ — ١٩٠١ .

٢ - ابن البطريق ، سعيد (ت ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)
التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق (ويليه تاريخ يحي بن سعيد الانطاكي) ، ٢ ج ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٥ ، ١٩٠٩ .

٣ - مسكويه ، ابو علي احمد بن محمد (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)
تجارب الامم ، ج ٥-٦، نشر هـ. امدروز ، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، القاهرة ، ١٩١٤-١٩١٩ .

٤ - الانطاكي ، يحي بن سعيد (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م)
تاريخ يحي بن سعيد ، تحقيق ا . ى . كراتسكوفسكي و أ. فازيلياف ، باريس، ١٩٣٢ .

٥ - الروذراوي، ابو شجاع محمد بن الحسين (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)
ذيل تجارب الامم ، ج ٣، نشر هـ. امدروز، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، القاهرة ، ١٩١٦ .

٦ - ابن القلانسي ، ابو حمزه يعلي (ت ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م)
ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق هـ. امدروز، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨ .

٧ - ابن الجوزى ، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)
المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، ج ٦، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدرأباد الدكن ، ١٣٥٧-١٣٥٨ هـ .

٨ - عماد الدين الكاتب الاصفهاني ، ابو عبد الله محمد بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)
الفتح القسي في الفتح القدسي ، مطبعة الموسوعات ، القاهرة ، ١٣٢١ هـ .

٩ - ابن الاثير، ابو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)
الكامل في التاريخ ، ج ١٢، دار صادر - دار بيروت ، بيروت ، ١٩٦٥ - ١٩٦٧ .
الباهر في الدولة الاتابكية ، تحقيق عبد القادر احمد طليمات ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

١٠ - ابن شدّاد ، ابو المحاسن يوسف بن رافع (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م)
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، مطبعة محمود محمد صبح ، القاهرة ، لا . ت .

١١- سبط ابن الجوزى ، ابو المظفر يوسف (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)
مرآة الزمان ، ج ٨، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد الدكن ، ١٣٧٠ هـ .

١٢- ابن العديم ، كمال الدين عمر (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٦م)
زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ٣ ج ، تحقيق سامي الدهان ، منشورات المعهد الفرنسي بدمشق ، دمشق ، ١٩٥١-١٩٦٨ .

١٣- ابو شامه ، ابو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)
الروضتين في أخبار الدولتين ، ٢ ج ، مطبعة وادى النيل ، القاهرة ، ١٢٨٧-١٢٨٨ هـ .

١٤- ابن الساعي ، ابو الطالب علي بن أنجب (ت ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م)
الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، ج ٩ ، تحقيق مصطفى جواد ، المطبعة السريانية الكاثوليكية ، بغداد ، ١٩٣٤ .

١٥- ابن ميسّر، محمد بن علي (ت ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م)
أخبار مصر ، ج ٢، تحقيق هنرى ماسيه، مطبعة المعهد الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية ، القاهرة ، ١٩١٩ .

١٦- ابن شدّاد ، عز الدين بن علي (ت ٦٨٤/ ١٢٨٥م)
الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، ج ١، تحقيق د . سوردل ، ج ٢ قسم ١-٢، تحقيق سامي الدهان، منشورات المعهد الفرنسي بدمشق ، دمشق ، ١٩٥٦-١٩٦٢ .

١٧- ابن العبرى ، ابو الفرج يوحنا غريغوريوس (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)
تاريخ مختصر الدول ، ط ٢ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٥٨ .

١٨- ابن عبد الظاهر، محي الدين (ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م)
تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، نشر قسم الدراسات الاسلامية في المعهد الالماني للآثار بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٦١ .
نبذة من الالطاف الخفية في السيرة الشريفة السلطانية الأشرفية ، نشر موبرغ ، ليبسك ، ١٩٠٢ .

١٩— ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٧٩هـ/ ١٢٩٨م)
مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج ٣، تحقيق جمال الدين الشيال ، منشورات الادارة العامة للثقافة بمصر، القاهرة ، ١٩٥٣—١٩٦٠ .

٢٠— الهمذاني ، رشيد الدين فضل الله (ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م)
جامع التواريخ ، م ٢ ج ٢، ترجمة محمد صادق نشأت وفؤاد الصياد وراجعه يحي الخشاب ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، لا ت.

٢١— ابن الغوطي ، عبد الرزاق (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)
الحوادث الجامعة ، تحقيق مصطفى جواد ، المكتبة العربية ، بغداد، ١٣٥١ هـ .

٢٢— اليونيني ، قطب الدين موسى بن محمد (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٣٢م)
ذيل مرآة الزمان ، ٤ ج ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدرأباد الدكن ، ١٩٥٤—١٩٥٥ .

٢٣— ابو الفداء ، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م)
المختصر في أخبار البشر (ويليه تتمة المختصر في اخبار البشر لابن الوردى ، ت ٧٥٠هـ/ ١٣٥٠م) ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ، ١٣٢٥ هـ .

٢٤— الدواداري ، ابو بكر عبد الله بن ايبك (منتصف ق ٨هـ/ ١٤م)
كنز الدرر وجامع الغرر ، م ٦ : الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، م ٩ : الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق هانس رويمر، نشر قسم الدراسات الاسلامية بالمعهد الالماني للآثار بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٦٠— ١٩٦١ .

٢٥— زيتر ستين ، ك، ن . (ناشر)
تاريخ سلاطين المماليك من ٦٩٠هـ—٧٤١هـ ، نشر ك. ن . زيتر ستين، بريل، ليدن ، ١٩١٩ .

٢٦— الذهبي ، شمس الدين ابو عبد الله (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٦١م)
العبر في خبر من غبر، ج ٥، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت، الكويت ، ١٩٦٦ .

٢٧— ابن ابي الفضائل ، المفضل (ت بعد ٧٥٩هـ/ ١٣٦١م)
النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ، تحقيق أى . بلوشيه ، باريس ، ١٩١١—١٩٣٢ .

٢٨— ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)
البداية والنهاية في التاريخ ، ج ١٣—١٤ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٤٨—١٣٥٨هـ .

٢٩— ابن صصرى ، محمد بن محمد (ت نهاية ق ٨ او بداية ق ٩هـ/ ١٤ او ١٥م)
الدرة المضيئة في الدولة الناصرية ، تحقيق وليم برينر ، بركلي — جامعة كاليفورنيا ، الولايات المتحدة الاميركية ، ١٩٦٣ .

٣٠— ابن الفرات ، محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)
تاريخ ابن الفرات ، م ٤ ج ١ ، تحقيق حسن محمد الشماع ، مطبعة حداد ، البصرة ، ١٩٦٧ و م ٦ قسم ١ ، تحقيق ميخائيل خورى ، في سيرة الملك الظاهر بيبرس ، رسالة ماجستير في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم T:83A سنة ١٩٦١ وج ٧—٩ تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين ، المطبعة الاميركانية ، بيروت ، ١٩٣٦—١٩٤٢ .

٣١— ابن خلدون ، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)
العبر ودیوان المبتدأ والخبر ، ٧ج ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٥٦—١٩٥٩ و طبعة بولاق ، القاهرة ، ١٢٨٤ هـ .
التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥١ .

٣٢— ابن يحي ، صالح (ت ٨٤٠هـ/ ١٤٣٩م)
تاريخ بيروت واخبار الامراء البحتريين من بني الغرب ، نشر لويس شيخو ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ١٨٩٨ .

٣٣— المقريزى ، احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)
اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
السلوك لمعرفة دول الملوك ، ٢ج ، تحقيق محمد مصطفى زياده ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٤—١٩٥٨ .

٣٤- ابن تغرى بردى ، ابو المحاسن جمال الدين يوسف (ت بعد ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٢ج ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٩-١٩٥٨ وج ٦ قسم ١ من الطبعة تحقيق وليم بوبر، مطبعة الجامعة ، بركلي ، الولايات المتحدة ، ١٩٠٩-١٩٢٩ .

٣٥- ابن الشحنة ، ابو الوليد محمد بن محمد (ت ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م)
الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، تحقيق يوسف سركيس، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٨٩٨ .

٣٦- ابن اياس، محمد بن احمد (ت نحو ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م)
بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج ١، بولاق ، القاهرة ، ١٣١١ هـ .

جـ - التراجم

١ - ابن الصيرفي ، ابو القاسم على بن منجب (ت ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م)
الاشارة الى من نال الوزارة ، تحقيق وتعليق عبد الله المخلص، مطبعة المعهد الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٢٤ .

٢ - ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٦م)
التاريخ الكبير، ٥ج ، اعتنى بترتيبه وتصحيحه مع حذف التكرار والاسانيد محمد عبد القادر بدران ، مطبعة روضة الشام ، دمشق ، ١٣٢٩-١٣٣٣ هـ .

٣ - ياقوت الرومي الحموى ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)
معجم الأدباء ، ج ٤ ، تصحيح مرجليوث ، نشر في مجموعة جب التذكارية ، ليدن ، ١٩٠٩ - ١٩٣١ .

٤ - ابو شامه ، ابو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)
تراجم رجال القرنين السادس والسابع او الذيل على الروضتين في اخبار الدولتين ، صححه محمد زاهد بن الحسن الكوثرى ونشره عزت العطار ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

٥ - ابن خلكان ، ابو العباس احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)
وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، ٢ج ، بولاق ، القاهرة ، ١٢٩٩هـ و ٦ج ، تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٧ هـ .

٦ - الصفدى ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣ م)
الوافي بالوفيات ، ٤ج ، تحقيق هـ . ريتر، س. ديدرنج ، مطابع مختلفة ، ١٩٣١-١٩٥٩ .

٧ - ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي (ت ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م)
الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة ، ٤ج ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدرأباد الدكن ، ١٣٤٨-١٣٥٠ هـ .
انباء الغمر بابناء العمر ، ج ١ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدرأباد الدكن ، ١٩٦٧ .

٨ - ابن تغرى بردى ، ابو المحاسن جمال الدين يوسف (بعد ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)
المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، ج ١ ، تحقيق احمد يوسف نجاتي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

٩ - السخاوى ، ابو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٠٧م)
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ١٢ ج ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٣-١٣٥٥ هـ .

١٠- ابن العماد الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ٢ اج ، مكتبة القدسي ، ١٣٥٠-١٣٥٣هـ .

د - النظم والموسوعات

١ - النويرى ، احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م)
نهاية الأرب في معرفة الأدب ، ج ٨ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣١ .

٢ - ابن فضل الله العمرى ، احمد بن يحي (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)
التعريف بالمصطلح الشريف ، مطبعة العاصمة ، القاهرة ، ١٣١٢ هـ .

٣ - القلقشندى ، احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)
صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، ١٤ اج ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩١٣-١٩١٩ .

٤ - المقريزى ، احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ٢ج ، بولاق ، القاهرة ، ١٢٧٠ هـ .

٥ — السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)
حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، ٢ج ، مطبعة الموسوعات ، القاهرة ، ١٣٢٧ هـ .

هـ — مصادر متفرقـــة

١ — الشيباني ، محمد بن الحسن (ت ١٨٩هـ / ٧٩٦ م)
شرح كتاب السير الكبير، املاء محمد بن احمد السرخسي (ت ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م)
ج ١ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة مصر، القاهرة ، ١٩٥٧ .

٢ — البلاذري ، احمد بن يحي (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)
فتوح البلدان ، تحقيق عبد الله الطباع وانيس الطباع ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ، ١٩٥٨—١٩٥٩ .

٣ — المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (ت حوالي ٣٤٥هـ/ ٩٥٦ م)
التنبيه والاشراف ، تحقيق م. دي غويه ، نشر (بالتصوير) مكتبة خياط ، بيروت ، ١٩٦٥ .

٤ — الاصبهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م)
الاغاني ، ج ١٣، طبعة دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٨ .

٥ — التهامي ، علي بن محمد (ت ٤١٦هـ/ ١٠٢٥ م)
ديوان علي بن محمد التهامي ، منشورات المكتب الاسلامي ، دمشق ، ١٩٦٤ .

٦ — الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م)
تتمة اليتيمة ، عني بنشره اقبال عباس، طهران ، ١٣٥٣ هـ .

٧ — ابن حزم ، ابو محمد علي بن سعيد (ت ٤٥٧هـ/ ١٠٦٥م)
جمهرة انساب العرب ، تحقيق أ. ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

٨ — ابن منقذ ، ابو المظفر مجد الدين أسامه (ت ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م)
كتاب الاعتبار ، تحقيق فيليب حتي ، مطبعة جامعة برنستون ، الولايات المتحدة ، ١٩٣٠ .

٩ — القلقشندى ، احمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨م)
قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٥٩ .

١٠— المقريزى، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)
البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق عبد المجيد عابدين ، ملتزم الطبع والنشر عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٦١ .

١١— الجزيرى ، عبد القادر بن محمد (ت بعد ٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م)
درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ .

ثالثا : الدراسات الحديثة باللغة العربية

١ — آل عبد القادر الانصارى الاحسائي ، محمد بن عبد الله .
تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ، القسم الاول ، طبع وتعليق حمد الجاسر، الرياض، ١٩٦٠ .

٢ — جب ، هاملتون .
"جيوش صلاح الدين" في دراسات في حضارة الاسلام ، ترجمة احسان عباس ومحمد يوسف نجم ومحمود زايد ، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٩٧—١٢٠ .

٣ — حسن ، علي ابراهيم
دراسات في تاريخ المماليك البحرية ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

٤ — الخفاجي ، محمد عبد المنعم
بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي ، ج ١ ، المطبعة الفاروقية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٥١ .

٥ — الدورى ، عبد العزيز
مقدمة في التاريخ الاقتصادى العربي ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٩ .

٦ - الراوى ، عبد الجبار
البادية ، بغداد ، ١٩٤٩ .

٧ - زكريا ، وصفي
عشائر الشام ، ٢ج ، دار الهلال ودار اليقضة العربية ، دمشق ، ١٩٤٥-١٩٤٧ .

٨ - سعداوى ، نظير حسان
جيش مصر في أيام صلاح الدين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
التاريخ الحربي المصرى في عهد صلاح الدين الأيوبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

٩ - سرور، محمد جمال الدين
دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

١٠- الطباخ ، محمد راغب
اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، ٧ج ، ط ١ ، المطبعة العلمية ، حلب ، ١٩٢٣-١٩٢٦ .

١١- عاشور، سعيد عبد الفتاح
العصر المماليكي في مصر والشام ، ط ١ ، دار النهضة القومية ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

١٢- عبد السيد ، حكيم امين
قيام دولة المماليك الثانية ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٦٧ .

١٣- العزاوى ، عباس
تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ١ : حكومة المغول ، مطبعة بغداد ، بغداد ، ١٩٣٥ .

١٤- علي ، جواد
تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٤ ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٥٥ .

١٥- العلي ، صالح
التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية في البصرة في القرن الاول الهجرى ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٣ .

١٦- كراتشكوفسكي ، أ. ى.
تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، قسم ١-٢، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٦٣-١٩٦٥ .

١٧ — كرد علي ، محمد
خطط الشام ، ٥ ج ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩٢٥ — ١٩٢٧ .

١٨ — متز ، آدم
الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ٢ ج ، ط ٣ ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريده ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

١٩ — النص ، احسان
العصبية القبلية في الشعر الأموي ، دار اليقظة العربية ، بيروت ، ١٩٦٧ .

رابعا : المصادر والدراسات باللغات الاجنبية

1. Al-Feel, M.R.
The Historical Geography of Iraq Between the Mongolian and Ottoman Conquests 1258-1534, Najef, 1965.
"Iraq and al-Jazira as Described by Ibn Sa'id al-Maghribi", Majallat Kulliyat al-Adab (Eng. Section Baghdad University, vol. V (1962), pp. 85-100 (Arabic text and English Trans.).

2. Ayalan, D.
"Studies on the Structure of the Mamluk Army", BSOAS, vol. 15 (1953) pp. 203-228, vol. 16 (1954) pp. 57-90.
"The System of Payment in the Mamluk Military Society", Journal of the Economic and Social History of the Orient, vol. I (1958), pp. 37-65, 257-296.

3. Boswarth, C.E.
The Islamic Dynasties, Series of Islamic Surveys, no. 5, ed. by W.M. Watt, Edinburgh, the University press, 1967.

4. Brockelmann, C.
Oeschichte Der Arabischen Lettertur, Vol. 1-2, Leiden, E.J. Brill, 1943-1949, Supplement, vol. 1-3, Leiden, E.J. Brill, 1937-1942.

5. Browne, G
A Literary History of Persia, vol. 3, Cambridge, England, 1928.

6. Cahen, C.
"Une Chronique Syrienne Du VIe /XIIe Siecle: Le Bustan Al-Jāmi'", Bulletin D'Etudes Orientales, Institut Francais De Damas, T. VII - VIII (1937-1938) pp. 113-158.
"La chronique Abregee D'al-Azimi", Journal Asiatique , vol. 230 (Juill.-Sep. 1938) pp. 356 ff.

7. Encyclopaedia of Islam, First edition, 4 volumes, Brill, Leiden, 1913-1942; Second edition, volumes 1 & 2, Leiden and London, continuing.

8. Fischel, W.J. (Translator)
"Ascensus Barcoch" : A latin Biography of the Mamluk Sultan Barqūq of Egypt, Arabica, vol. 6 (1959) pp. 57-74, 152-172.

9. Gibb, H.A.R.
A Damascus Chronicle of the Crusades, London, 1932.
"The Caliphate and the Arab States", in A History of the Crusades, (ed. by K.M. Setton) vol, I, ed. by M. Baldwin, Philadelphia, University of Penn. Press, 1955, pp. 81-98.

10. Lapidus, I.M.
Muslim Cities in the Later Middle Ages, Cambridge, Mass. Harvard University Press, 1967.

11. Le Strange, G.
Palestine Under the Muslims, Khayats' Oriental Reprints no. 14, Beirut, 1965.

12. Makdisi, G
"Notes on Hilla and the Mazyadids in Medieval Islam", Journal of the American Oriental Society, vol. 74 (1954), pp. 249-267.

13. Muir, W.
The Mamelüke or Slave Dynasty of Egypt, London, 1896.

14. Poliak, A. N.
Feudalism in Egypt, Syria, Palestine, and the Lebanon, 1250-1900, London, 1939 .
"Some Notes on the Feudal System of the Mamluks", Journal of the Royal Asiatic Society, 1937, pp. 98-107 .

15. Popper, W.
Egypt and Syria Under the Circassian Sultans, vol. 1-2, Berkeley - Los Angeles, University of California press, 1955-1957.

16. Rabin, C.
Ancient West - Arabian, London, 1951.

17. Sadique, F.
Baybars I of Egypt, Pakistan, Oxford University press, 1956.

18. Smith, W.R.
Kinship and Marriage in Early Arabia, Boston, The Beacon press, N.D.

19. Wiet, G.
Les biographies du Manhal Safi, le Caire, Impr. de L'Institut Francais d'archeologie Orientale, 1932.

20. William of Tyre.
A History of Deeds Done Beyond the Sea, Translated and Annotated by E.A. Babock and A.C. Krey, 2 vol., New York, 1943.

21. Ziadeh, N.A.
Urban Life in Syria Under the Early Mamluks, Beirut, 1953. (Publication of the Faculty of Arts & Sciences, American University of Beirut No. 24).